الوَصَايَا الشَّاذِلِيَّة

لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ المَنُوفِي المِصْرِي الشَّاذِلِي
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (857 - 939 هـ)

يُطلب الكتاب من المؤلف

لوغو اسم دار النشر

بيروت – لبنان

تفاصيل ومعلومات عن الكتاب

الوَصَايَا الشَّاذِلِيَّة

لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ المُنُوفِي المِصْرِي الشَّاذِلِي

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (857 - 939هـ)

شَرَحَهَا

الشَّيْخُ عَبْدُ الهَادِي الخَرْسَةُ

الدِّمَشْقِي الأَزْهَرِي


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وأصحابه وعلينا معهم:

أما بعد: فقد أهدى إليَّ أخ لي في الله هذا الكتاب المنسوب إلى الإمام أبي الحسن الشاذلي علي بن عبد الله بن عبد الجبَّار (٦٥٦) هـ رضي الله عنه وعنا به، وهو كتاب يشتمل على وصايا وحكم، فألهمت أن أشرحها شرحًا مُوجَزاً، مستعينًا بالله تعالى ومستمِّداً منه السَّداد والتَّوفيق.

وهذه الوصايا في غالب ظني ليست للإمام الشاذلي رضي الله عنه، لأنه لم ينقلها أحد من تلامذته أو ممن ترجم له، وكتبت بعد الألف من السنة الهجرية المباركة بل هي للشيخ أبي الحسن الشاذلي:

عليِّ بن محمد بن محمد المَنُوفي المصري الشاذلي.

وُلد ٨٥٧ – توفي ٩٣٩ هجري وهو من فقهاء المالكية، مولده ووفاته بالقاهرة، وله تصانيف. وجاء في آخر مخطوط مكتبة الأزهر العامرة:

كمل المجموع بحمد الله وحسن عون، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، على يد أفقر الورى إلى محمد بن محمد الصباغ الأندلسي غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له ولجميع المسلمين، ووافق الفراغ سنة ١٠٩٣.

الوصايا الشاذلية

أ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين

اللهمَّ صلِّ أفضل صلواتك، وسلِّم أتمَّ تسليماتك، على حبيبك سيِّدنا محمَّد بن عبد الله عبدك ورسولك النبيِّ الأميِّ الفاتح الخاتم، وعلى آله وأصحابه، وعلينا معهم، عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلَّما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

أمَّا بعد: قال المؤلِّف رحمه الله ورضي عنه وجزاه ووالدينا وأشياخنا وعلماء المسلمين خير الجزاء وجزاء الخير بفضله آمين:

١- **[إيَّاك والعجز؛ فإنَّه شَينُ الدِّين، وبئسَ القرين].**

٢- **[إيَّاك والعجز؛ فأوَّله جنون، وآخره ندم]**، أقول: جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم في حديث طويل قوله: **(احرِص على ما ينفعُك، واستعِن بالله ولا تعجَز)**[١].

وعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه مرفوعًا: **(اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجُبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال)**[٢]، أعاذنا الله والمسلمين من ذلك كلِّه.

۞ جاء في ترجمة الإمام الكِسائيِّ رحمه الله: أنَّه بدأ في طلب علم النحو ثمَّ صَعُب عليه، فوجد نملةً تحمل طعامًا تريد أن تصعد به حائطًا، كلما صعدت قليلاً سقطت، وهكذا حتَّى صعدت، فأخذ درسًا من ذلك، فكابد حتَّى صار إمامًا في النحو.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٥).

۞ قال الشاعر:

لم أر في عيوب الناس عيبـاً كنقص القادرين على التمام

وقال غيرُه:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ وَتَعْظُمُ في عَينِ الصَّغيرِ صغارُها

وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارمُ وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٣- [إيَّاك والبِطْنة؛ فمَن لزمها كَثُرت أسقامه، وفسدت أحلامه].

أقول: قال السَّفَّارينيُّ رحمه الله في «غذاء الألباب»: قال الإمام ابن الجوزيِّ رحمه الله في «تبصرته»: الشبع يوجب ترهُّل البدن وتكاسله، وكثرة النوم وبلادة الذهن، وذلك بتكثير البخار في الرأس حتَّى يغطِّي موضع الفكر والذكر، والبطنة تذهب الفطنة وتجلب أمراضاً عسرة، ومقام العدل أن يرفع يده وهو يشتهي الطعام، ونهاية المقام الحسن ما رواه المقداد بن مَعدِي كَرِب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: **(ما ملأ آدمي وعاء شرّاً من بطن، بحسب ابن آدم أُكُلاتٌ يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنَفَسه)**[١]، والأكل على مقام العدل يُصِحُّ البدن، ويبعد المرض، ويقلِّل النوم، ويخفِّف المؤنة، ورُوي موقوفاً: **(الْبِطْنَةُ تُذْهِبُ الْفِطْنة)** مِنْ كَلامِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَغَيْرِهِ رضي الله عنهم، وروي عن مُجَاهِدٍ رحمه الله قَالَ: قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: « أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْبِطْنَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلاةِ، مُفْسِدَةٌ لِلْجَسَدِ، مُوَرِّثَةٌ لِلسَّقَمِ، وَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبْغِضُ الْحَبْرَ السَّمِينَ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِي قُوتِكُمْ، فَإِنَّهُ أَدْنَى مِنَ الإِصْلاحِ، وَأَبْعَدُ مِنَ السَّرَفِ، وَأَقْوَى عَلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَإِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْثِرَ شَهْوَتَهُ عَلَى دِينِهِ».

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣٨٧) وحسَّنه.

۞ وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «إياكم والبطنة فإنها ثِقَل في الحياة، ونَتْنٌ في الممات»، البِطْنة: امتلاء البطن بالطعام والشراب.

۞ ونُقِل عن إبراهيم بن أدهم ﷺ أنه قال: من ضبط بطنه ضبط دينه، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان، والشبع يميت القلب، ومنه يكون الفرح والمرح والضحك.

۞ وقد رُوِيَ عن النَّبي ﷺ أنه قال: (**صُوموا تَصِحُّوا**)[١].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٤ - [إيَّاك وطاعةَ الهوى، فإنه يقودك إلى كلِّ مِحْنَة].

أقول: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٣]

۞ وفي الحديث: عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا يُؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به**)[٤]

۞ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (**أخوفُ ما أخاف عليكم شهواتِ الغَيِّ في بطونكم وفروجكم ومُضِلاتِ الهوى**)[٥].

---

[١] رواه الحافظ أبو نُعيم ﷺ في الطب النَّبوي، وقد أورد الحافظ الهيثمي ﷺ هذا الحديث في المَجْمَع، وقال فيه: رواه الإمام الطبراني ﷺ في الأوسط ورجاله ثقات.

[٢] سورة ص، الآية (٢٦)

[٣] سورة النازعات، الآية (٤١)

[٤] قال الإمام النووي ﷺ: حديث صحيح رُوِّيناه في كتاب الحجّة بإسناد صحيح، و صححه الحافظ أبو نعيم وغيره، كما وثّق الحافظ ابن حجر العسقلاني ﷺ رجال إسناده.

[٥] رواه أحمد والبزار والطبراني عن أبي برزة الأسلمي ﷺ.

۞ ورُوي عن النبي ﷺ: **(أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه)**[١] وقال سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجهه: « إن أخوف ما أخاف عليكم اتِّباعُ الهوى وطولُ الأمل،أما اتِّباع الهوى فيصدُّ عن الحق، وأما طولُ الأمل فيُنسي الآخرة ».

۞ وقال بعض السلف: « إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيُّهما أرشد؛ فخالف أقربهما من هواك؛ فإن أقرب ما يكون الخطأ في متابعة الهوى».

۞ وقال بشر الحافي رحمه الله ورضي عنه: « البلاء كلُّه في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إيَّاه»، وقد قيل للحسن البصري رحمه الله: « يا أبا سعيد أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك».

قال الشاعر:

نُونُ الْهَوَانِ مِنَ الْهَوَى مَسْرُوقَةٌ فَإِذَا هَوِيْتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانَا

نسأل الله السَّلامة من مُوجِبَات النَّدامة في الدنيا وفي القبر وفي يوم القيامة.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٥- **[إياك والمنَّ بالمعروف، فإنَّ الإمنان بالمعروف يُفسد الإحسان].**

أقول: بل يبطله؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾[٢]، وفي الحديث الصحيح: عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال:

(ثلاثةٌ لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ)، قال: فقرأها رسول الله ثلاث مرارٍ، قال أبو ذرٍّ: خابوا وخسروا،

---

[١] رواه ابن النجار.

[٢] سورة البقرة، الآية (٢٦٤)

من هم يا رسول الله؟ قال: (**المُسبل إزارَه، والمَنَّان، والمُنَفِّقُ سلعتَه بالحلْف الكاذب**)[١].

قال بعضُهم: إذا اصطنعتم صنيعةً فانسَوها، وإذا أُسديت إليكم صنيعة فلا تنسَوها. والمَنُّ نوعان:

١ - **مَنٌّ بالقلب**؛ وهذا إن لم يُبطل الصَّدقةَ فهو من نقص الاعتراف بمنَّة الله عليه؛ أن يَسَّرَ له المالَ لينفقَه.

٢ - **مَنٌّ باللِّسان**؛ وفيه اعتداء على مَنْ أحسن إليه؛ وهو من كبائر الإثم المحبطة للعمل.

وقيل: اختصَّ الله تعالى المنَّ لنفسه؛ لأنه من العباد تكدير وتعيير، ومَنُّ الله تعالى إفضالٌ وتذكير، والله أعلم.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٦ - [**إنما العقلُ التَّخُّوفُ من الإثم، والنَّظَرُ في العواقب، والأخذُ بالحَزْم**].

أقول: العقل نور روحاني، يعبر عنه بأنه آلة باطنة للرُّوح، به تدرك العلوم والعِبَر، وبهِ يُميِّز صاحبه بين الحقِّ والباطل، وبين النَّافع والضَّارَ.

قال الله جَلَّ جَلالُه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[٢].

والعقل عقلان:

آ - **عقل عاقل** وهو: الذي يعقل هوى النفس؛ فلا يتبَّع الهوى؛ بل يعقل عن الله تعالى أمره ونهيه ومراده، ويلتزم بمنهج الله؛ وهذا الذي أشار إليه المصنف؛ فصاحبه يتخوف من الإثم، ويخاف مقام ربه وعذابه؛ قال الله تعالى

---

[١] رواه مسلم برقم (١٧١).

[٢] سورة الزمر، الآيات (١٧ - ١٨)

حكاية: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾[٢].

۞ وينظر في عواقب الأمور؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٣].

۞ ويأخذ بالحزم؛ فلا يتردَّد في فعل ما ينفعه، واجتناب ما يضرُّه؛ قال تعالى: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾[٥].

ب - **وعقل معقول بهوى النفس**؛ فهو معطَّل عن الوعي والإدراك؛ فلا يعقل أمراً ولا نهيًا؛ لأن صاحبه اتخذ إلهه هواه؛ وهؤلاء ذمَّهم الله تعالى في كتابه وسمَّاهم شرَّ الدَّوابِّ؛ فقال عَزَّ مِنْ قائل: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٦]، ويعترفون بذلك وهم في النار؛ قال تعالى حكاية: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[٧].

۞ وقد قيل: لَا غِنَى كَالْعَقْل، وَ لَا فَقْرَ كَالْجَهْلِ.

۞ والعقل هو: مَناط الخطاب والتكليف، وبه يكون الثواب والعقاب.

وفي الأثر: إِذَا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنُ حَالٍ فَانْظُرُوا فِي حُسْنِ عَقْلِهِ، فَإِنَّمَا يُجَازَى بِعَقْلِهِ.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

---

[١] سورة الأنعام، الآية (١٥)

[٢] سورة إبراهيم، الآية (١٤)

[٣] سورة النمل، الآية (٦)

[٤] سورة البقرة، الآية (٦٣)

[٥] سورة مريم، الآية (١٢)

[٦] سورة الأنفال، الآية (٢٢)

[٧] سورة الملك، الآية (١٠)

٧ - [إنما النَّاس عالمٌ ومتعلِّمٌ ومستَمِعٌ، وما سواهم هَمَج].

أقول: نسب هذا الكلام لسيدنا عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، ونصه: « النَّاس ثلاثة: فعالِمٌ ربَّاني، ومتعلِّمٌ على سبيل نجاة، وهَمَج رَعَاع – غَوْغاء– أتباع كلِّ ناعق، يميلون مع كلِّ ريح، لم يستضيئوا بنورِ العلم، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيق».

❁ وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكرَ الله تعالى وما والاه، وعالمًا ومتعلمًا) [١]

❁ وجاء من قول أَبَي الدَّرْدَاءِ ﷺ، ونحوه عن ابن مسعود ﷺ؛ قَالَ: « كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُحِبًّا أَوْ مُتَّبِعًا، وَلَا تَكُنِ الْخَامِسَ فَتَهْلِكَ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: وَمَا الْخَامِسُ ؟ قَالَ: الْمُبْتَدِعُ »[٢].

❁ قال الحافظ ابن عبد البر ﷺ:

الخامسة: معاداة العلماء وبغضهم، ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب؛ وفيه الهلاك، وقال أبو الدرداء ﷺ أيضًا:

« تعلَّموا وعلِّموا فإن العالِمَ والمتعلِّمَ في الأجر سواء، ولا خيرَ في سائر الناس بعدهما ». وقال: « تعلَّموا قبل أن يُرْفعَ العلم؛ وإنَّ رفعَ العلم ذهابُ العلماء، وإن العالِمَ والمتعلِّم في الأجر سواء، وإنما النَّاس رجلان: عالم ومتعلم، ولا خيرَ فيما سواهما ».

❁ ومن أقوال الشيخ عبد القادر القصاب ﷺ:

النَّاس خمسة إذا حَسَبْتهم ... ففارسٌ يومَ الوغى ذو دَرَقه
يجول في ميدانها مبارزاً ... إذا رأى صفَّ القتال خَرَقه
ومحسنٌ يُنفقُ جُودا مالَه ... جميعَه ذهبَه ووَرِقَه

---

[١] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه واللفظ له.

[٢] رواه البيهقي، والدارمي بنحوه، والطَّحاوي، وابن عبد البر.

وعالـــمٌ يـدرسُ في كتـابــه ... يســـــرُده ورقـــةً فـــوَرَقـــه
وحاكـــمٌ أقـامَ فينـــا عدلَـه ... في قلبه للعالميـــن شَـــفَقَـــة
وعابدٌ يقـومُ في جُنْـح الدُّجـى ... يشكو الجَوى من النَّوى وحِرَقَه
فـهـؤلاءِ خيرُهـم وغيرُهـــم ... فلا هـمُ لحـــمٌ ولا هُـمْ مَرَقـه
بل هَمَـجٌ من هَمَجٍ إذا مشَـــوا ... يُضيّقـــوا على التقـــيِّ طُـرَقه

والهَمَج من الناس: حُمقاؤهم وجَهلتُهم، جَمْعُ هَمَجَة، وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والدَّوابِّ وأعينها، فشُبِّه هَمَجُ الناس به.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٨ - [**إنَّما العالِم مَنْ قادَه علمُه إلى الوَرَع، والزُّهدِ في عالَم الفَناء، والرَّغبة في عالَم البقاء**]، أقول: هذا هو العلم النافع الذي قارنته الخشية؛ فينبسط في الصَّدر شعاعُه، ويُكْشَف به عن القلب قِنَاعُه، ويورث صاحبه الورع، والزُّهدَ فيما سوى الله تعالى؛ والورعُ غاية التقوى، وهو: ترك الشبهات؛ فعن عطية بن عروة السعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا يبلغُ العبدُ أن يكونَ مِنَ المُتَّقين حتى يدعَ ما لا بأسَ بهِ حذراً لِمَا به بأس**)[١]، والزُّهد هو: اجتناب الحرام والمتشابه، وترك التوسع في المباح، وإنفاق ما زاد عن حاجته وحاجة أهل بيته على أرحامه وإخوانه الفقراء؛ جاء في الحديث عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا**)[٢]، فهذه هي ثمرات العلم؛ قال مطر الوراق: سألت الحسن البصري ﷺ عن مسألة فقال فيها؛ فقلت: يا أبا سعيد يأبى عليك الفقهاء ويخالفونك؟ فقال: ثكلتك أمك يا مطر! وهل رأيت فقيها قط؟ وهل تدري ما الفقيه؟ الفقيه: الورع، الزاهد، الذي

---

[١] رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

[٢] رواه الترمذي وحسَّنه، وأحمد، والحاكم وصححه.

لا يَسْخَر ممَّن أسفل منه، ولا يَهْمِزُ من فوقه، ولا يأخذ على علمٍ علمه الله حُطاماً.

۞ وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (**إذا دخل النُّورُ القلبَ انفسح وانشرح**) قالوا فما علامة ذلك يا رسول الله؟ قال: (**الإنابةُ إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعدادُ للموت قبل نزوله**)[١].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٩ - [**إنما يَعْرِفُ الفضلَ لأولي الفضلِ أولوا الفضل**].

أقول: جاء في (تاريخ بغداد) للخطيب (١٤/ ١٥) و(الوفيات) لابن خَلِّكَان. (٢/ ٢٢٨) في ترجمة الإمام الأديب النحْوي إمام الكوفيين في النحو يحيى بن زياد الفراء الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧هـ رحمه الله ما نصه:

« كان الخليفة المأمون قد وكَّل الفرَّاء يلقِّن ابنيه النحو، فلما كان يوماً أراد الفرَّاء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانها له، فتنازعا أيُّهما يُقدِّمها، ثم اصطلحا على أن يقدِّم كل واحد منهما فردة، فقدماها وكان المأمون له على كل شيء صاحبُ خبر – أي: رجل يأتيه بالأخبار – فرفع إليه ذلك الخبر، فوجَّه إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له: مَنْ أعزُّ الناس؟ قال: ما أعرف أحداً أعزَّ من أمير المؤمنين؛ قال: بلى؛ من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى رضي كل منهما أن يقدِّم له فردة.

قال: يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما من ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهُما عن مَكْرُمَةٍ سبقا إليها، وأكسِرَ نفوسهما عن شريفة حَرَصاً عليها، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أمسك للحسن والحسين رضي الله عنهما ركابيهما حتى خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر: أتُمسك لهذين الحَدَثين ركابيهما وأنت أسنُّ منهما؟ فقال له: اسكت يا جاهل، لا يعرفُ الفضلَ لأهل الفضل إلا ذوو الفضل؛ فقال له

---

[١] رواه الحافظ عبد الرزاق، والبيهقي، وابن ابي شيبة، قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: لهذا الحديث طرق مرسلة ومتصلة يشدُّ بعضها بعضاً، والله أعلم.

المأمون: لو منعتَهما عن ذلك لأوجَعتُك لَومًا وعَتَبًا، وألزمتك ذنبًا، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما، وبيَّن عن جوهرهما، ولقد ثبتت لي مَخِيلة الفِراسة بفعلهما، فليس يكبُر الرجل – وإن كان كبيراً – عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه، ووالده، ومعلِّمه العلم، وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما».

۞ قال الشاعر:

لا يَعــرِفُ الفَضلَ لأَهـلِ الفَضلِ إلا أُولو الفَضـلِ مِن اهـلِ العَقـلِ
هَيهاتَ يَدري الفَضلَ مَن لَيسَ لَهُ فَضــلٌ ولو كـانَ من اَهلِ النُّبـلِ

۞ قال الحافظ الذهبي رحمه الله في السِّيَر (٤/ ٤٠٢) قال ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة سألت أبا جعفرٍ وابنه جعفراً عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقالا لي: يا سالم تولَّهما، وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامَي هدى.

قال الذهبي معقِّبًا: كان سالم فيه تشيع ظاهر؛ ومع هذا فيبث هذا القول الحق وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل، وكذلك ناقلها ابن فضيل شيعي ثقة، فعثَّر الله شيعة زماننا ما أغرقهم في الجهل والكذب؛ فينالون من الشيخين وزيري المصطفى ﷺ، ويحملون هذا القول من الباقر والصادق رضي الله عنهما على التَّقِية.



الوصايا الشاذلية

ب

- حرف الباء -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٠ - [بحُسْنِ المُوافَقَة؛ تدومُ الصُّحْبة].

أقول: المراد بالموافقة: ما يوافق أحكام الشريعة وآدابها، وكل صحبة أو محبة تُبنى على غير ذلك فعاقبتها المفارقة والمقاطعة والعداوة؛ قال الله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[١].

روى ابن عمر ﷺ، قال رسول الله ﷺ: **(مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، أَوْ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُفَرَّق بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا)**، وفي لفظٍ: **(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا، إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا)**[٢].

۞ وقد بيَّن الشيخ أبو الحسن ﷺ الموافقة في وصية أخرى له فقال:

« لا تصحب إلا من تكون فيه أربع خصال: الجود من القلة، والصفح عن المظلمة، والصبر على البلية، والرضا بالقضية ».

۞ وقال الإمام أحمد الرفاعي ﷺ: « اصحب الله بالموافقة، والخَلْق بالمناصحة، والنَّفس بالمخالفة »، وقال: « أدب صحبة مَنْ فوقك الخدمة، ومن هو مثلُك الإيثَار والفُتوَّة، ومن هو دونك الشَّفقة والتربية والمناصحة ».

۞ أقول: وحروف كلمة الصحبة دالة على الأوصاف التي يتحلى بها كل صاحب: فالصاد: دالَّة على الصبر والصدق، والحاء: على الحياء والحُبِّ، والباء: على البِرِّ والبذل، والهاء: على الهداية والهناء، وإن قرئت تاء دلت على التقوى والتوفيق، قال العارف:

---

[١] سورة الزخرف، الآية (٦٧)

[٢] رواه الإمام البخاري ﷺ في الأدب المفرد من حديث أنس ﷺ، ورواه الإمام أحمد ﷺ في المسند.

فاختر إلى الصحبة من أطاعا إن الطباع تسـرق الطباعا

۞ وفي الحكم العطائية: « ما صحبك إلا مَنْ صحبك وهو بعيبك عليم؛ وليس ذاك إلامولاك الكريم؛ خير من تصحب من يصحبك لك، لا لشيء يعود منك إليه »، والله أعلم.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١١ - [بالإحسانِ يُستعبَد الإنسان]

أقول: المؤمن مأمور بالإحسان لكل شيء؛ ليصل إلى مقام المحبوبية عند الله تعالى؛ قال عز وجل: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[١].

۞ وعن أبي يعلى شدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله كتب الإحسان على كل شيءٍ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة، ولْيُحِدَّ أحدُكم شفرته، ولْيُرِحْ ذبيحته**)[٢].

۞ وعَنِ ابْنِ مَسْعُود رضي الله عنه، موقوفًا: (**جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا**)، وأحق الأشياء بالإحسان هو إحسان الإنسان للإنسان؛ لأن الإنسان إما أخوك في الدين، أو نظيرك في الخَلْق، والإحسان العملي هو ثمرة الإحسان الشهودي؛ لأن صاحب مشهد الإحسان يراعي في كل وَجْهٍ؛ وَجْهَ مَنْ خَلَقه.

۞ قال شيخنا الشاغوري قدَّس الله روحه ونور ضريحه:

من كان في مشهد الإحسان عبد رضا حاشا يُرَى في غـدٍ عبداً لمنتقم

---

[١] سورة البقرة، الآية (١٩٥)

[٢] رواه مسلم.

۞ و قال أبو الفتح البُسْتي رحمه الله:

زيـــادة المرء في دُنيـــاه نقصـــانُ ... وربحـه غير محضِ الخير خســـرانُ
أحسن إلى الناسِ تَســتعبد قلوبهـــم ... فطالما اســـتعبدَ الإنسـان إحســـان
يـا خـادمَ الجـــسم كم تَسعى لخدمتَهِ ... أتطلـــب الربـــحَ مما فيه خســـران؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بـالنفس لا بـالجسـم إنســـان

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٢ - [بالتَّواضُعِ تُعْرَفُ الرِّفْعة]

أقول: التواضع طريق الرفعة، والأشياء تُعْرَف وتتميز بأضدادها؛ وفي الحديث الشريف: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يقول الله تبارك وتعالى: من تواضع لي هكذا - وجعل يزيد باطن كفه إلى الأرض وأدناها - رفعته هكذا - وجعل باطن كفِّه إلى السماء ورفعها نحو السماء**)[١].

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما من آدمي إلا في رأسه حَكَمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حَكَمته، وإذا تكبر قيل للملك: ضع حَكَمته**)[٢].

والحكمة: بفتح الحاء والكاف هي كالِّلجام ونحوه.

۞ وعن إبراهيم بن عابس بن ربيعة قال: قال عمر رضي الله عنه وهو على المنبر: أيها الناس تواضعوا سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**مَنْ تواضَع لله رفعه الله**)[٣].

۞ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما تواضَع أحدٌ لله إلا رفعه الله - عز وجل -**)[٤].

---

[١] رواه الإمام أحمد والبزار.
[٢] رواه الطبراني والبزار
[٣] رواه الطبراني.
[٤] رواه مسلم، والترمذي.

قال الإمام ابن عطاء الله ﷺ: « التَّواضع الحقيقيُّ هو ما كان ناشئًا عن شهود عظمة الله وتجلِّي صفته».

فمن أراد أن يرتفع عند الله فليتضع لله وليتذلل للمؤمنين بأن لا يتميز عليهم، ويقابل ذلك التعزز على الكافرين والتكبر على المتكبرين، فمن تخلَّق بكلٍّ من ذلك في موطنه فهو الكامل الذي يصلح الاقتداء به.

وعن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: (**اللهمَّ اجعلني شَكوراً، واجعلني صَبوراً، واجعلني في عيني صَغيراً، وفي أعين النَّاس كبيراً**)[١].

قال العلامة المُنَاوي ﷺ في فيض القدير: قوله: - اللهمَّ اجعلني شَكوراً - أي: كثير الشكر لك؛ قال الإمام الغزالي ﷺ: والشُّكْر الاعتراف بنعمة المُنعِم على وجه الخضوع، قوله - واجعلني صَبوراً - أي: لا أُعاجَل بالانتقام، أو المراد الصبر العامُّ، قوله - واجعلني في عَيني صغيراً وفي أعين النَّاس كبيراً - استوهب ربه أن يعظِّمه في عيون الخلق؛ ليسهل عليه في الجملة أمره؛ الذي هو خلافة الله في أرضه، وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون، ومقاساة جلائل الخطوب، ومعاناة أهوال الحروب، والله أعلم.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٣ - [بالتَّوفيق تكونُ السعادة]

أقول: التَّوفيق هو خَلْق قدرة الطَّاعة في العبد؛ فكل من برزت له من فضل الله طاعة وخلقها الله فيه ونسبها إليه فهو الموفِّق.

وقد أجمع العارفون بالله أنَّ التوفيق هو: أن لا يَكِلَكَ الله إلى نفسك، وأنَّ الخِذْلان هو أن يُخْلِيَ بينكَ وبين نفسك، وقال العارفون: وعلامات التوفيق:

---

[١] ذكره الحافظ الهيثمي ﷺ؛ في مجمع الزوائد، وقال: رواه البزار.

الاشتغال بشكر وشهود المُنْعِم عند كلِّ نعمة، والرَّغبة في العلم النَّافع مع العمل به على وجه الإخلاص، وإتباعُ كلِّ ذنب استغفاراً وتوبة، وصحبة الصَّالحين، والاقتداءُ بهم، والتَّأدبُ معهم، فمن صحب السعيد سعِد، والتَّقللُ من الدُّنيا بإنفاق الزَّائد عن الحاجة في وجوه الخير، واغتنام ما ينفع الإنسان بعد الموت.

ومن علامات الخِذلان والعِياذُ بالله تعالى: اشتغالُ الخَلْق بالنِّعمة عن شكرها، ورغبتُهم في العلم و تركهم العمل، والمسارعةُ إلى الذَّنب وتأخير التوبة، والاغترارُ بصُحْبة الصالحين وترك الاقتداء بفِعالهم، وإدبارُ الدُّنيا عنهم وهم يتَّبعونها، وإقبال الآخرة عليهم و هم معرضون عنها.

نسأل الله السَّلامة مِنْ مُوجِباتِ النَّدامة، في الدُّنيا وبعد الموتِ وفي يوم القيامة.

۞ وفي الحديث موقوفـًا: عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: (**السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ**)[١].

۞ وثمرة التوفيق السَّعادة بالرِّضا في الدُّنيا، و مجاورة الله تعالى ومشاهدته بعد الموت و في الجنة، قال الشاعر:

وَلستُ أرى السعادةَ جَمْعَ مالٍ ... ولكـنَّ التقيَّ هو السـعيدُ
وتـقـوى اللهِ خيرُ الـزادِ ذُخْـراً ... وعنـد اللهِ لِلْأَتْقَى مَـزِيـدُ
وما لا بـُدَّ أن يـأتـي قـريـبٌ ... ولكنَّ الذي يمضي بعيـدُ

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٤ - [بالصِّدقِ تكونُ النَّجاة].

أقول: الصِّدْق مُطَابَقة الخَبَر للواقع، وقال الإمام القُشيري ﷺ: الصِّدق ألا يكونَ في أحوالِك شَوْب، ولا في اعتقادك رَيبْ، ولا في أعمالك عَيْب.

وفي الحديث: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**عَلَيْكُمْ**

[١] رواه مسلم.

بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)[١].

۞ وروى الإمام مالك ﷺ في «الموطأ» عن صفوان بن سُلَيم ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ فَقَالَ: (**نَعَمْ**)، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلاً؟ فَقَالَ: (نَعَمْ)، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا ؟ فَقَالَ: (**لَا**)[٢].

۞ وأعلى درجات الصدق:

الصدق مع الله تعالى؛ توجُّهًا وعقيدة وعملاً وتخلُّقًا؛ حتى يعمَّ جميع أحوال المكلف ظاهراً وباطنًا، مراقبة ومشاهدة، وهو الذي يتولد منه في عبد الله الصادق الصِّدقُ مع الخلق حتى في مواضع الهَلَكة؛ فالصِّدقُ أنجى، والصِّدق يوصل العبد إلى الصِّدِّيقية الكبرى؛ وهي أعلى مقامات الولاية الخاصة، وهو الذي ينفع صاحبه عند ربه؛ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾[٣]، ويُستفاد الصدق اكتسابًا إن لم يكن خُلُقًا جِبِلِّيًا في العبد؛ بمجالسة الصادقين وصحبتهم والانتساب إليهم وقراءة سِيَرهم؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[٤].

---

[١] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[٢] رواه الإمام مالك ﷺ في الموطأ، ومن طريقه رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، قال الإمام أبو عمر ابن عبد البَرِّ ﷺ: لا أحفظ هذا الحديث مُسْنَداً من وجه ثابت، وهو حديث حسن مُرْسَل.

[٣] سورة المائدة، الآية (١١٩)

[٤] سورة التوبة، الآية (١١٩)

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٥ - [بالرِّفْقِ تُدْرَك المَقَاصد]

أقول: الرِّفْق: هو الخُلُق الكريم الذي يتميز به العقلاء الكاملون، ويعني: اللِّين والتُّؤدَة والتعقل، ويُثْمر التآلف والتَّحابب والتَّوادد، ويُضَادُّه: العُنْف والطَّيش والشِّدة، وقارىء السيرة العطرة يجد الرِّفق في حياة النبي ﷺ في شؤونه كلها؛ فهو ﷺ في هديه ودعوته يصحح الأخطاء، ويُقَوِّم السلوك، ويهدي إلى الفضائل؛ بألطف عبارة، وأحسن إشارة، وطريقة مؤثِّرة.

وقد رغَّبَ ﷺ في التَّخلُّق بالرِّفْق فقال: (**إن اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرفق في الأمرِ كُلِّه**)[١]. وعن عائشة رضي الله عنها أن النَّبي ﷺ قال: (**إنَّ الرِّفق لا يكون في شيءٍ إلا زَانه، ولا يُنْزَع من شيءٍ إلا شَانه**)[٢].

إنِّ الرِّفق يعني لين الجانب بالقول والفعل، واللُّطفَ في اختيار الأسلوب الأنجع، وانتقاء الكلمات، وطريقة التعامل مع الآخرين، وتركَ التعنيف والشدة والغِلْظة في ذلك، والأخذَ بالأسهل، والرفق عامٌ يدخل في كل شيء تعامل معه الإنسان حتى نفسه، إن استعمال الرِّفق في الأمور يؤدي إلى أحسن النتائج، وأطيب العواقب، ويبارك الله في هذا السلوك وينفع به، وأما استعمال العنف والشدة والغِلْظة؛ فإنها تُفسد الأمور، وتُصعِّبها على أصحابها، وتجعل النتائج عكسية، ويُحْرَم الخير مَنْ ترك الرِّفق، وتُرْفَعُ البَركة مِنْ عمله، ويصعب عليه الأمر؛ قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخيرَ كُلَّهُ**)[٣]، وقال ﷺ: (**إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفق، ويُعطي على الرِّفق ما لا يعطي على العُنْف وما**

---

[١] متفق عليه.

[٢] رواه مسلم.

[٣] رواه مسلم

لا يُعطِي على ما سواه)[١]، لقد كان رسول الله ﷺ يعيش الرفق ويتمثل به في سائر أحواله وشؤون حياته؛ وقد ثبت ذلك عنه في مجالات كثيرة منها: الرِّفقُ مع الأهل من زوجةٍ وأولاد وأرحام، والرِّفق مع الخادم، والرفق مع الأطفال، والرِّفق مع السائل علمًا أو مالاً، والرِّفق في تعليم الجاهل، والرِّفقُ في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والرِّفقُ مع العاصي، والرِّفق في التعامل مع الجيران ولو كانوا كفاراً، والرِّفق بالناس في العبادات لمن كان إمامًا، والرِّفق مع الحَيَوان والجماد؛ وشواهد ذلك في الأحاديث الصحيحة كثيرة فليرجع إليها من أحب، ومن أراد النَّجاح والفلاح والوصول إلى ثمرات أعماله في الدنيا والآخرة فليتخلق بهذا الخُلُق العظيم، والوصولُ إلى التَّخَلُّق بخُلُق الرفق يكون بالتزكية، وصحبة أهل الرِّفق من العلماء والصالحين والعقلاء، وكثرةِ الصَّلاة والسَّلام على رسول الله ﷺ.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٦ - [بالإخلاص تُرْفَع الأعمال].

أقول: قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[٢].

فإذا وجد الإخلاص لله تعالى في عمل، وكان على وَفْق العلم؛ رفع إلى خِزانة عمل العبد في السماء، وقَبِله الله تعالى بفضله، و آتى العبد ثماره وثوابه.

وَعُرِّف الإخلاص بأنه: التَّوقي عن حظوظ النفس، وعن ملاحظة الأشخاص، وعلامة المُخْلِص: ألا يتَغَيَّر بالامتحان، ولا بقول الناس فيه مدحًا أو قدحًا، ولا عطاءً أو منعًا، ولا إقبالاً أو إدباراً، والإخلاص طريق الاستخلاص؛ جعلنا الله

[١] رواه مسلم

[٢] سورة البينة، الآية (٥)

وإيَّاكم بمَنَّه من المُخْلِصين المُخْلَصين، واجمعنا معهم في البرازخ كُلِّها، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٧ - [بالتَّواني يكون الفَوات].

أقول: التَّواني هو الكسل؛ وقد استعاذ منه النبي ﷺ، وقيل: أتوانيا وقد جَدَّ قرناؤك ؟ وقيل: من أراد المَجْد لا يعرف إلا الجِدَّ.

وقال العارف أبو علي الرُّوذَباري رحمه الله:

« التصوف مذهب كلُّه جِدٌ فلا تخلِطوه بشيء من الهَزْل»، فمن ابتُلِي بالتَّواني والغفلة والكسل فاته كثير من الخير، وقالوا: الطريق لمن صَدَق لا لِمَن سَبق، فالمبتدِيء صادق، والمنتهي صِدِّيق.

وقال الإمام الجنيد رضي الله عنه: « لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أكثر مما ناله » وذلك لأن التَّجليَ لا يتكرر، فمن كان عاكفًا قلبُه في مجالسة الله تعالى، حاضراً في مراقبته؛ أدرك في يسيرٍ من الزَّمن من مِنَن الله تعالى ما لا يُدْرَك ولا يُلْحَق، فطريق أهل الله عاجزه لا يُسْبَق، فرسانه لا تُلْحَق؛ كما قال العارف الرَّواس رضي الله عنه وعنّا به.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٨ - [بِقَدْر اللَّذات يكون التَّنغِيص].

أقول: اللَّذات النَّاتجة عن الشَّهوات غيرِ المأذون بها شرعًا، والمقرونةُ بالغفلة عن ذكر الله تعالى؛ تُورِث صاحبها التنغيص والكَدَر في أموره كلها؛ فلا يصفو له حال خالٍ عن كَدَر وضيق، قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[١]،

---

[١] سورة طه، الآية (١٢٤)

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ١٧﴾[١]، وقيل: مشقة الطَّاعة تذهب ويبقى ثوابها، ولذَّة المعصية تذهب ويبقى عقابها، وقيل: شهوة ساعة تُورِث نَدَم الأبد، وقيل: كم من شهوة دَنِيَّة حَرَمتْ من رُتبةٍ عَلِيَّة، وقليل الماء إذا رميت فيه بحجر ظهر فيه العَكَر، والبحر لا تُكَدِّره الدِّلاء، وقليل النجاسة يُنجِّس قليل الماء؛ بخلاف كثيره فإنه لا يُؤثِّر فيه الخَبَث إلا ما غيَّر أحد أوصافه؛ وكذلك نفوسُ السَّالكين.



[١] سورة الجن، الآية (١٧)

الوصايا الشاذلية

ت

- حرف التاء -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٩ - [تكادُ ضمائرُ القلوبِ تَطَّلعُ على سرائرِ الغُيوب].

أقول: القلب إذا صفت زجاجتُه، وقوِيَ نورُه، وانفتحت عينُه؛ كشف له عن عالم الملكوت؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾[١]، فيرى ملكوتُ القلب ملكوتَ الأشياء؛ في الأرض وفي السماء؛ قال الله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[٢]، فعالَم الملكوت ممتزِجٌ بعالَم المُلك، وعالَم الغيب ممتزج بعالَم الشَّهادة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾[٣].

وأقرب الغيبِ الملكوتي للإنسان روحُه وقلبُه وعقلُه، وتعلُّقات واستمداد كُلٍّ منها من عالَمه، فيُكْشَف للعبد المقرَّب نُبوَّةً أو وِراثةً عن كُلِّ ذلك، أو عن بعضه، وما صحَّ اطِّلاع عبدٍ عليه؛ صح اطِّلاع غيره عليه من مِشكاته أو انعكاس مِرآته؛ قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾[٤].

وأوَّلُ ما يُكْشَف للعبد من الغيوب؛ العيوبُ التي هي قواطعُ وحُجُب؛ فيعملُ على تزكِيَة نفسه منها؛ وفي الحكم العطائية:

تشوُّفك إلى ما بطن فيك من العيوب، خيرٌ من تشوُّفك إلى ما حُجِب عنك من الغيوب، وقيل: تَطهَّر من كُلِّ عَيْب؛ يُفْتَح لك شهودُ الغيب، وقال

---

[١] سورة الأنعام، الآية (٧٥)

[٢] سورة يس، الآية (٨٣)

[٣] سورة هود، الآية (١٢٣)

[٤] سورة الجن، الآيات (٢٦- ٢٧)

الأستاذ أبو سليمان الداراني ﷺ: «إذا اعتادت النُّفوس تركَ الآثام؛ جالت في الملكوت، ثم رجعت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤديَ إليها عالم علماً »، ثم يترقى بنور الفُرْقان إلى أن يُبْصرَ بنور الله؛ فيفرِّقَ بين الحقِّ والباطل فيما يرى ويسمع، ثم يُؤتى الفِراسة، وفي الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ**)[١]، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾[٢].

وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾، قال: للمُتَفَرِّسين، وعن أنس ﷺ رفعه: (**إن لله عباداً، يَعْرِفون الناس بالتَّوَسُّم**)[٣]، ثم يكون الكشف الملكوتي الذي يكون للملائكة عليهم السلام، و لبعض الحَيَوان غير الإنسان بعضه في الدنيا، والذي يكون لجميع الإنس والجن عند الموت؛ قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾[٤].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٠ - [تجرُّعُ غُصَصِ التَّحكُّم يُطفِئ الغَضَب].

أقول: جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**ليس الشَّديد بالصُّرَعة، إنما الشَّديد الذي يَملِكُ نفسَه عند الغَضَب**)[٥]؛ فالغضب من أجل حظٍّ نفسٍ أو دنيا، مَرَضٌ نفسي يُبتلى به ضعيف الإيمان، خفيف العقل؛ مرضٌ يُفْسدُ عليه دينه ودنياه، ويُوقعه في المهالك، وقد قيل: إن الشيطان يملِك

---

[١] رواه الترمذي عن أبي سعيد الخُدري ﷺ، وقال: غريب.

[٢] سورة الحِجْر الآية (٧٥)

[٣] رواه البزار، والطبراني، وأبو نعيم في الطب بسند حسن.

[٤] سورة ق، الآية (٢٢)

[٥] متفق عليه

الإنسان فيوقِعُه في المهالك في حالتين: إذا شبع، وإذا غضب، فأرشد الشيخ إلى أنَّ تجرَّع غُصَص الحِكْمة العقلية، والتَّحكُّمَ في هوى النفس؛ يقي الإنسانَ أضرار الغضب ومهالكه، وفي الهَدْي النبوي؛ أن يتوضأ الغاضب، وأن يغيِّر حالته من قيام إلى قعود إلى اضطجاع، لينطفِئَ غضبُه، ويذهبَ عنه ضررُه، وأعلى حالات المرء؛ أن يكون بطيء الغضب، سريع الفَيْئة والرضا، وهذا من علامات العقل الكامل، والتَّحكُّمِ في هوى النفس، ومن يُوق عِلل نفسه وأمراضها، ووُفِّق لأن يملِكها، وحُفظَ من أن تملِكه؛ فقد أفلح وفاز في الدنيا والآخرة.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢١ - [تكثُّرُكَ بما لا يَبقى لكَ ولا تَبقى له؛ مِنْ أعظم الجَهْل].

أقول: من ألهاه التَّفاخر والتَّكاثر في الأموال والأولاد وغيرِ ذلك مما يَفْنى عن الاستعداد لما بعد الموت، ولقاء الله تعالى في آخرته، فلم يسعَ لها سعيها، واشتغل بالفانيات عن الباقيات الصالحات ولم يصبُغْ الفانيات بصِبغة الباقيات؛ فاستدل بذلك على وجود جهله وسَفَاهته؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ ﴾[١].

قال الإمام الشاعر إسماعيل المُقْري ﷺ:

لقد ضاع عمر ساعة منه تُشْترى ... بملء السما والأرضِ أيةَ ضَيعةِ
أيُنْفَق هذا في هوى هذه التي ... أبى الله أن تَسوى جَناح بعوضةٍ
أَتَرْضَى من العيشِ الرَّغيدِ تعيشُه ... مع الملأ الأعلى بعيشِ البهيمةِ
فيا دُرَّةً بين المَزابل أُلقيتْ ... وجوهرةً بِيعت بأبخسِ قِيمةِ
أفانٍ بباقٍ تَشتريه سَفاهةً ... وسُخْطًا برِضوان وناراً بجَنَّةِ
أأنتَ صَدِيقٌ أم عدوٌ لِنَفْسِه ... فإنك تَرْميها بكُلِّ مُصيبةِ

[١] سورة البقرة، الآية (١٣٠)

ألا فاستفق لا تَفْضَحَنْها بمَشهدٍ من الخلق إن كُنتَ ابنَ أمٍّ كريمةِ

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٢ - [تَتبُّعُ العُيوب من أعظم الذُّنوب].

أقول: جاء النَّهيُ الصَّريح عن تَتبُّعِ العيوب، والأمرُ بسَترها، وعدمِ نشرها؛ في صحيح حديث رسول الله ﷺ؛ ومن ذلك:

۞ ما رواه أبو بَرْزَة الأَسْلَمِي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يا معشر من آمنَ بلسانه ولم يَدْخُلِ الإيمانُ قلبَه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تَتَّبِعوا عَوْرَاتِهم، فإنَّه من اتَّبع عَوْراتِهم يَتَّبعِ الله عَوْرَته، ومن يَتَّبعِ الله عَوْرَتَه يَفْضَحْه في بيته، أو في جوف رحله**)[١].

۞ وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إنَّك إن اتَّبعتَ عوراتِ النَّاس أفسدتهم، أو كِدْتَ أن تُفْسدَهم**)؛ فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: « كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها »[٢].

۞ وفي رواية أخرى عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(**أعْرِضوا عن النَّاس، ألم ترَ أنَّك إن ابتغيتَ الرِّيبَة في الناس أفسدتهم، أو كِدْت تُفْسدُهم**)[٣].

قال الحافظ المُناوي رحمه الله: «أي: ولُّوا عن الناس، ولا تتَّبعوا أحوالهم، ولا تبحثوا عن عوراتهم... ألم تعلم أنك إن اتَّبعت التُّهمة فيهم لتعلمها وتظهرها؛ أوقعتهم في الفساد، أو قاربت أن تفسدهم؛ لوقوع بعضهم في بعض بنحو غِيبةٍ، أو لحصول تهمة لا أصل لها، أو هتكِ عرضِ ذوي الهيئات المأمور بإقالةِ

---

[١] رواه الأئمة أحمد، وأبو داود، وابن حِبَّان وصححه، والترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وحسّنه.

[٢] رواه أبو داود، وابن حِبَّان

[٣] رواه البخاري رحمه الله في الأدب المفرد

عثراتهم، وقد يترتب على التفتيش من المفاسد ما يربو على تلك المفسدة التي يُراد إزالتها، والحاصل أنَّ الشارع ناظر إلى السَّتر مهما أمكن، والخطاب لولاة الأمور ومن في معناهم».

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (**مَنْ استمعَ إلى حديثِ قومٍ وهم له كارهون، أو يَفرّون منه، صُبَّ في أُذُنه الآنُكُ يوم القيامة**)[١]، والآنُك: الرَّصاص المُذاب.

۞ ومن شُؤم ذِكر عيوب النّاس ما رُويَ عن بعض السَّلف أنَّه قال: «أدركتُ قومًا لم يكن لهم عيوبٌ، فذكروا عيوبَ النّاس، فذكر النّاسُ لهم عيوبًا، وأدركتُ أقوامًا كانت لهم عيوبٌ، فكَفُّوا عن عُيوب الناس، فنُسِيَت عيوبهم»، والجزاء من جنس العمل، والوصفُ الذي تُعَامل به الخَلْق يعاملُك به الحقُّ.

۞ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: (**ومن سَتَر مسلمًا سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة**)[٢]، قال الإمام النووي رحمه الله: « وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد».

۞ وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (**أَقِيلوا ذوي الهَيْئات عَثَراتِهم إلَّا الحُدود**)[٣].

۞ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**من سَتَر عورةَ أخيه المسلم سَتَر اللهُ عورتَه يومَ القيامة، ومن كشفَ عورةَ أخيه المسلم كشفَ اللهُ عورتَه، حتى يَفْضَحَه بها في بيته**)[٤].

وفي قِصَّة ماعز بن مالك الأسلمي رضي الله عنه عندما جاء إلى النَّبي ﷺ واعترف على

---

[١] رواه البخاري

[٢] رواه مسلم

[٣] رواه أبو داود

[٤] رواه ابن ماجه

نفسه بالزِّنى، قال النبي ﷺ للرَّجل الذي أشار عليه أن يأتي إليه ويُقِرَّ على نفسه بالزِّنى: **(يا هَزَّال، لو سَتَرْته بردائك كان خيراً لك)**[١].

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله: « وقوله ﷺ لـهَزَّال: **(يا هَزَّال، لو سَتَـرْته بردائك كان خيراً لك)**، يريد: ممَّا أظهرته من إظهار أمره، فكان سَتْره بأن يأمره بالتَّوبة، وكتمان خطيئته، وإنَّما ذكر فيه الرِّداء على وجه المبالغة، بمعنى أنَّه لو لم تجد السَّبيل إلى سَتْره إلَّا بأن تَسْتُره بردائك ممَّن يشهد عليه، لكان أفضلَ ممَّا آتاه، وتسبَّب إلى إقامة الحدِّ عليه».

وقال العلامة ابن الأثير رحمه الله: « **(ألا سَتَرْته بثوبك يا هَزَّال)**، إنما قال ذلك حُبّاً لإخفاء الفضيحة، وكراهيةً لإشاعتها».

۞ وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «لـوْ لـمْ أجِدْ للسارق والزَّاني وشارب الخمر إلا ثوبيَ لأحببتُ أن أسترَه عليه»[٢]، والله حَيِّيٌ سِتِّير يُحِبُّ العبدَ الحييَّ السِّتِّير.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٣ - [تناسَ مساوئَ النَّاسِ تستدمْ وُدَّهم].

أقول: مِنْ قواعد أهل المعرفة بالله الطَّاهرة قلوبُهم؛ إذا اطَّلعوا على ذنب أو عيب في أحد ثم فارقوه، فإنهم يمحون من ألواح ذاكرتهم صورةَ الذَّنب الذي رأوه منه، فإذا لَقُوه يَلْقَونه على ظنِّ أنه تاب، وأنَّ ذنبه غُفِر له بسببٍ سابقٍ أو لاحق، ولا يَلْقَونه وصورةُ ذَنْبه في خيالهم خشية أن يتجدَّد لهم الإثم بغِيبته ولو في أنفسهم؛ وقد مثَّل لذلك الشيخ الأكبرابن عربي رحمه الله فقال ما معناه: ليت الفقهاء يُحسِّنون

---

[١] رواه أحمد

[٢] رواه الحافظ عبد الرزاق في المصنف

الظَّنَّ بعُصَاة المسلمين؛ كما يُحسِّنون ظنَّهم بالهِرَّة؛ إذا رأوها تأكل فأراً ثم غابت عن أعينهم وراء الجدار وعادت وليس على فمها أثر النجاسة يحكمون بطهارة سؤرها؛ فإذا غاب العاصي عن أعينهم ثم عاد لماذا لا يحكمون بتوبته وطهارته؟.

وقد ذُكر لشيخ مشايخنا السيد محمد الهاشمي ﷺ: أن أحد إخوانه رؤي على معصية منذ عشرين سنة وهُجِر وقُوطع من أجلها؛ فقال لمن هجره: هو مِنْ عشرين سنة تاب، وأنت بعدُ لم تتب!.

فليتناسَ الأخ مساوئَ أخيه، ولا يقبلْ فيه قول من يطعُن فيه أو يجرحُه؛ فنحن في الطريقة لا نقبل قول ذامٍّ في أحد إخواننا، ولا نتركُ يقين محبتنا بالشَّكِّ والظَّن، وقد روي في أثر: إذا أردت أن يدومَ لك وُدُّ أخيك فلا تجادله، ولا تمازحه، ولا تَعِدْه موعداً فتُخْلِفَه، أقول: ولا تقبل فيه قول النَّاس إذا ذَمُّوه، وعاملْه في الدُّنيا على نِيَّة أن تنفعَه، ولا تستغلَّه لمجرَّد منفعتك، فمن لم ينفعْ أخاه في دنياه لا ينفعُه في آخرته، والنَّاجي مِنَّا يأخذْ بيدِ أخيه، وقد زرتُ مرَّةً أخـًا فاضلاً وعندما ودَّعتُه للانصراف؛ قلت له: استر ما رأيت منا؛ فقال لي:

ما قلتَ أنتَ ولا سمعتُ أنا ... هــذا كــلامٌ لا يـليقُ بنـــا

إنَّ الكِـــرامَ إذا صحبتَهــمُ ... ستروا القبيح وأظهروا الحسنا

وهو بمعنى: إذا أردتَ أن يدوم التَّواصل فعليك بالتَّغافل، قال الإمام أحمد ابن حنبل ﷺ: تسعة أعشار حُسْنُ الخُلُق في التَّغافل.

وقال الشاعر أبو تمَّام:

ليس الغَبيُّ بِسَيِّدٍ في قومه ... لكنَّ سَيِّدَ قومِه المُتَغابي

الوصايا الشاذلية

ث

- حرف الثاء -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٤ - [ثمرةُ العِلْمِ معرفةُ الله تعالى]

أقول: العِلْم بالله من طريق الدَّليل والبُرْهان، ثُمَّ من طريق الشُّهود والعِيان؛ مُوصِل إلى معرفة الله تعالى؛ معرفةً تحجُز العبد عن محارم الله أدبـًا مع الله وحياء منه، وتُورِثه الصِّدق في العبودية، والقيامَ بحقوق الربوبية؛ فيعبد الله كأنه يراه؛ وهو مقام الصَّحابة الكرام رضي الله عنهم، والعارفين بالله.

قال العلامة الكَلَاباذي رحمه الله في كتابه التعرف:

فَقَدْ قَالَ حَارِثَةُ رضي الله عنه: «عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ، وَإِلَى أَهْلِ النَّارِ يُعَذَّبُونَ»[١]، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: « إِنَّا كُنَّا نَتَرَاءَى اللهَ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ يَعْنِي فِي الطَّوَافِ»[٢]، وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه فِي ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: « كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ دُونِ سِتْرٍ رَقِيقٍ»[٣]، فَهَذِهِ أَوْصَافُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ورضي الله عنهم، وهو من ثمرات التحقق بمقامات شهود أنه لا إله إلا الله. قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[٤].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٥ - [ثمرةُ الإيمانِ الفوزُ بالله تعالى].

أقول: الإيمانُ هو: الجزم المُطَابقُ للواقعِ عن دليل، وهو التوحيد العلمي:

---

(١) أخرجه البزار والطبراني بسند ضعيف.

(٢) رواه الحكيم الترمذي.

(٣) تاريخ دمشق والإصابة.

[٤] سورة آل عمران، الآية (١٨)

إفراد المعبودِ الحقِّ بالعبادة، مع اعتقاد وَحْدته ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً، ويعني عند العارفين بالله: معاملةَ الله تعالى عن مراقبة أو مشاهدة، والتَّقربَ إليه بما يُحِبُّه ويرضاه من الأقوال والأفعال والأخلاق، فمن تخلَّق بذلك وتحقَّق به في ظاهره وباطنه فاز بلقاء الله وبرضائه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[١] وقال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾[٤]، اللهم اجعلْنا معهم ومنهم بفضلك وكرمك، واجعلنا ممن يخشاك كأنه يراك، آمين يا رب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٦ - [ثمرةُ الوعظِ الانتباه]

أقول: الوعظ من علوم الكتاب والسنة، ومما عَمِل به علماء السَّلف والخَلَف، وهو علم الرَّقائق التي تَرِقُّ بها القلوبُ وتذهبُ به عنها قسوتها.

قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ

---

[١] سورة الأنبياء، الآية (٢٥)

[٢] سورة الكهف، الآية (١١٠)

[٣] سورة المائدة، الآية (١١٩)

[٤] سورة البينة، الآية (٨)

[٥] سورة البقرة، (٦٦)

فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٣٤﴾[٤]، وقال عز وجل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾[٥].

وفي الحديث: عَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ»[٦]، واستعاذ النبي ﷺ من قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع.

قال العلماء: علامة قَسْوة القلب جُمودُ العين، وقالوا: من لم يكنْ له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ، وقال ابن سيرين ﷺ: « إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل له واعظاً في قلبه يأمره وينهاه »، وقال الشاعر أبو نواس:

لن ترجع الأنفس عن غَيِّها ما لم يكن منها لها زاجر

قال أبو العتاهية: « وددتُ أني قلت هذا البيت بكل شيء قُلتُه ».

فجعل الشَّيخ ﷺ ثمرة الوعظ الانتباه وهو الاتِّعاظ والتَّذكر كما قالوا: «الماءُ مع لَطافته عند تقاطره يُؤثِّر في الحَجَر مع قسوته».

قال الشاعر:

اطلُبِ العلم ولا تضجرا فآفَةُ الطَّالب أن يضجرا

---

[١] سورة البقرة، الآية (٢٧٥)

[٢] سورة آل عمران، الآية (١٣٨)

[٣] سورة يونس، الآية (٥٧)

[٤] سورة النور، الآية (٣٤)

[٥] سورة الزمر، الآية (٢٢)

[٦] رواه أبو داود، والترمذي وصححه.

أما تـرى المـاءَ بتكـــراره في الصخرة الصَّمَّاءِ قد أثَّرا

وقيل: هما في الحَبْل.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٧ -[ثمرةُ العقلِ الاستقامة].

أقول: جعل الشيخ ثمرة العقلِ العاقلِ عن الله شرعَ الله؛ الاستقامةَ على ما يُحِبُّه الله ويرضاه من القَول والعمل، والمداومةَ عليه وإن قل، وقد جاء مدح ذلك في الكتاب والسنة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾[١].

وأما السنة: فعَنْ أَبِي عَمْرٍو وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: قُلْت: يَا رَسُولَ اللهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَك؛ قَالَ: **(قُلْ: آمَنْت بِاَللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ)**[٢].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(استقيموا ولن تُحْصُوا واعلموا أنَّ خَيْرَ أعمالِكُم الصَّلاة، ولا يحافظُ على الوضوءِ إلا مؤمنٌ)**[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سُئل: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله قال: **(أدومُه وإنْ قَلَّ)**[٤].

وقد رؤي بيد الإمام الجُنَيد رحمه الله سُبْحَة فقيل له: مثلُك يحتاج إلى مُذَكِّر؛ قال: سبب كنت عليه في بدايتي لا أدعه في نهايتي.

---

[١] سورة فصلت، الآية (٣٠)

[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ

[٣] رواه مالك، وأحمد، وابن ماجه، والدَّارِمي.

[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٨ - [**ثمرةُ الحَزْمِ السَّلامة**].

أقول: الحَزْم: هو التَّمسك بالشريعة أحكامًا وأخلاقًا وآدابًا بعزم، وتركُ الرُّخَص والتأويلات التي فيها حظُّ نَفْسٍ أو عَرَضٌ دُنيوي بكسبٍ فيه شُبْهة أوخلاف؛ إلا في حق الضُّعَفاء من أهل وأصحاب وعامة، فعاقبةُ من أخذ بالعزائم السَّلامةُ من التُّهَم، والعافيةُ في دينه ودنياه، وهذا من علامات النُّفوس الراقية الراضية المرضية المطمئنة، وأصحاب الهِمَم العالية التي تُحِبُّ معاليَ الأمور وتكره سَفْسَافها.

۞ قال حكيم: « من تحرَّزْ لم يكَدْ يَعطَبْ، ومن غَرَّر لم يكدْ يَسْلَم».

۞ وقالوا: الحكيمُ من تحرَّز من لائمةِ العاقل، بالتَّوقي من عَيْب الجاهل.

۞ وقال عمر بن الخطاب ﷺ لرجل وهو يعظه: « لا تتكلَّمْ فيما لا يَعنيك، واعتزلْ عَدوَّك، واحذرْ صديقَك إلَّا الأمين، والأمينُ من يخافُ الله».

۞ وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد لإبراهيم بن العباس الكاتب:

لو قيل لي خذ أمانا ... من أعظم الحَدَثانِ

لَمَا أخـذتُ أمانـا ... إلا مـن الإِخـوانِ

و لبعضهم:

بصيـرٌ بأعقابِ الأمور برأيه ... كأنَّ له في اليوم عينًا على غَدِ

۞ وأنشد محمد بن الفضل الرازي:

يَرَى عَزَماتِ الرَّأي حتى كأنَّها ... تُخاطِبُـه في كُلِّ أمرٍ عواقبُه

۞ وقال حكيم:

ركوبُك الهولَ ما لم تلقَ فُرْصَتـه ... جهـلٌ ورأيُك بالإقحـام تغريـرُ

أعظمْ بدنيا ينـالُ المخطئـون بها ... حظَّ المُصيبين والمغرورُ مغرورُ

ازرعْ صوابًا وحَبْل الحزمِ مُوتَرَةٌ ... فلنْ يُذَم لأهل الحزم تدبيرُ
فإن ظفِرتَ مصيبًا أو هلكتَ به ... فأنت عند ذَوي الألباب معذورُ
وإن ظفِرتَ على جهلٍ وفُزْتَ به ... قالوا جَهُول أعانَتْه المقاديرُ

۞ وقال علي بن داود الحراني:

تزيدُه الأيَّامُ إن ساعَفَتْ ... شِدَّة حَزْمٍ بتصاريفها
كأنَّها في حال إسعافها ... تُسمِعُه ضَجَّة تخويفها

۞ وقال مسلمة بن عبد الملك: «ما حمِدتُ نفسي على ظَفَر ابتدأته بعَجْز، ولا لُمتُها على مكروهٍ ابتدأتُه بحَزْم»، وقال حكيم: «لا ينبغي لأحد أن يَدَعَ الحَزْم لظَفَرٍ ناله عاجز، ولا يرغبَ في التضييع لنكْبةٍ حلَّت على حازم».

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٩ - [ثمرةُ اللَّجَاج العَطَب].

أقول: الثَّمرة هنا بمعنى العاقبة والنتيجة؛ فعاقبة اللَّجاج وهو الخُصومة والتَّمادي فيها؛ العَطَبُ وهو الهلاك؛ وقد جاء معناه في كلام السلف الصالحين رحمهم الله تعالى: « اللَّجاجُ آفةُ العقل». « لَجّ الرجل لَجاجًا: تَمادى في العِناد إلى الفعل المزجورِ عنه »، اللَّجاجُ بَذْرُ الشَّرّ، اللَّجاجُ أكثرُ الأشياء مَضَرّةً في العاجل والآجل، اللَّجاجُ وَقاحة « الوقاحة: قلّة الحياء»، اللَّجاجُ يُفسِد الرأي، اللَّجاجُ يَشينُ النَّفْس (شانَه: عابَه)، اللَّجاجُ يُنتجُ الحروب، ويُوغِرُ القلوب، اللَّجاجةُ بلاءٌ لِمَن اضطَرّتْه إلى حمل الآثام، اللَّجاجةُ تَسُلُّ الرأي: أي: تذهب به وتَنزِعُه، اللَّجاجة: شدّة الخصام تعصّبًا، لا للحقِّ، اللَّجاجة تُورِث ما ليس للمرء إليه حاجة، اللَّجوجُ لا رأيَ له.

۞ وفي شعر أبي نُوَاس غفر الله له:

ومُســـتعبِدٍ إخـــوانـــهُ بـثَـرائِـــــهِ
لبســـتُ لـهُ كِبْـراً أَبـــرَّ على الكِبـــرِ
إذا ضَـمّنـــي يـــوْمـًا وإيّـــاهُ محْفِـــلٌ
رأى جانبـــي وَعـراً يـزيـد على الوعـــرِ
أُخـــالِـفُـــهُ في شـــكْله وأجـــرّهُ
إلى المنْطـــقِ المنـــزورِ والنَّظَـرِ الشَّزْرِ
لقد زادَني تِـيهـــًا على النـــاس أنّنـي
أرانيَ أغـنـاهـــمُ وإن كنـــتُ ذا فـقـــرِ
فـوَاللهِ لا يُـبْـــدي لســـاني لَجاجَـــة
إلى أحَـــدٍ حتى أُغَـــيَّـبَ في القَـــبرِ
فلا تطمعَـــنْ في ذاك منّـيَ سُـــوقَةٌ
ولا مَلِكُ الدنيـــا المحجَّبُ في القَصْـرِ
فلو لم أرِثْ فخراً لكانـــتْ صِيانتـــي
فمي عن سؤال الناس حسبي من الفَخْر

فمن شأن أهلِ الحقَّ أن يُبَيِّنوا الحقَّ بدليله ولا يجادلوا فيه جَدَلا مُورِثًا للعداوة والخصومة؛ ومن كلام السلف: « لا تَشْترِ مَودَّة ألفِ رَجُلٍ بعَداوة رجل».

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٣٠ -[ثمرةُ العَجْز فَقْدُ الطَّلب].

أقول: علامةُ وجود العَجْز في الإنسان أن يَفْقدَ طلبَ ما ينفعه، وقد استعاذ النبي ﷺ من العَجْز والكَسَل، قال أهل العلم: «الإنسان مندوب إلى استعاذته بالله تعالى من العَجْز والكَسَل، فالعَجْز: عدمُ القُدْرة على الحِيلة

النَّافعة، والكَسَل: عدم الإرادة لفعلها، فالعاجز لا يستطيع الحِيلة، والكسلان لا يريدها»، ووصف العجز والكسل أنهما « مِفتاحُ كُلِّ شر».

وفي الحديث: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**المؤمنُ القَوِيُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيف، وفي كلٍّ خير، احرِصْ على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجَزْ، وإن أصابَك شيء فلا تقل لو أنِّي فعلتُ كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتحُ عمل الشيطان**)[١].

قال الإمام النووي ﷺ: « والمراد بالقُوَّة هنا، عزيمةُ النَّفس والقَريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثرَ إقداماً على العدوِّ في الجهاد، وأسرعَ خروجاً إليه، وذهاباً في طلبه، وأشدَّ عزيمةً في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المَشاقِّ في ذات الله تعالى، وأرغبَ في الصلاة، والصوم، والأذكار، وسائر العبادات، وأنشطَ طلباً لها، ومحافظةً عليها، ونحو ذلك ».

وعن أبي وَهْب الْجُشَمِيِّ -وكانت له صحبة- ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: (**تَسَمَّوْا بأسَماءِ الأنبياء، وأحَبُّ الأسماءِ إلى الله: عَبدُ الله وعبدُ الرحمن، وأصدَقُها: حارِثٌ وهَمَّامٌ، وأقْبَحُها: حَرْبٌ ومُرَّة**)[٢].

والحديث قد جاء من طريق آخر مُرْسَلٍ جَيِّد يقويه، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ الْيَحْصُبِيِّ ﷺ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**خَيْرُ الْأَسْمَاءِ عَبْدُ اللهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَنَحْوُ هَذَا، وَأَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ الْحَارِثُ، وَهَمَّامٌ، حَارِثٌ لِدُنْيَاهُ وَلِدِينِهِ، وَهَمَّامٌ بِهِمَا، وَشَرُّ الْأَسْمَاءِ حَرْبٌ، وَمُرَّةُ**)[٣].

---

[١] رواه مسلم

[٢] رواه البخاري في «الأدب المفرد »، وأحمد في «المسند»، وأبو داود في «سننه»، وأبو يعلى في «مسنده»،

[٣] حديث حَسَن بمجموع الطريقين.

قال الإمام الخَطَّابي رحمه الله في «معالم السنن»: إنما صار الحارث من أصدق الأسماء: من أجل مطابقة الاسم معناه الذي اشتق منه؛ وذلك أن معنى الحارث الكاسب، يقال: حَرَث الرَّجل إذا كَسَب، واحتراث المال كسبه؛ قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾[١].

وأما همَّام: فهو من هَمَمْتُ بالشيء، إذا أردتَه، وليس من أحد إلاّ وهو يَهُمُّ بشيء، وهو معنى الصِّدق الذي وصف به هذان الاسمان، وقال العلَّامة ابن بطَّال رحمه الله: « فأولى الأسماء أن يُتسمَّى بها أقربُها إلى الصدق »[٢]، فمن لم يكن فيه وصف الحارث والهَمَّام وُجِد فيه العجزُ والكسلُ؛ وبالتالي علامته: فقدان طلب ما ينفعه في دينه ودنياه؛ فيكون خائبًا ذليلاً محسوراً محروماً والعياذ بالله تعالى.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٣١ - [ثمرةُ الزُّهْدِ الرَّاحةُ].

أقول: وردت النصوص الكريمة في الكتاب والسُّنة ومن حال رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بالزُّهد في الدنيا ومتاعها وزينتها، والزهد على ثلاث مراتب: زُهدٌ في الحرام باجتنابه، وزهد في المتشابه بالتَّورع عنه، وزهد في الحلال بترك التَّوسع فيه، وإنفاقِ ما زاد عن الحاجة على فقراء الأرحام والمسلمين، والتَّخلي عن الكَمَاليات بإنفاق ثمنها في ضروريات المحتاجين؛ فلو أن كل غنيٍّ من أغنياء العالَم تخلَّى عن الكماليات وأنفق ثمنها في سد حاجِيَّات وضَرورات فقير من الفقراء لتحققتِ العدالة الاجتماعية بين بني البشر، ولَساد الأمن والسلام والاستقرار.

---

[١] سورة الشورى، الآية (٢٠)

[٢] من شرح صحيح البخاري (٩/ ٣٤٧)

فمفهوم الزُّهد لا يَعني تركَ السَّعي والكسب، ولا ينافيه كثرة المال ما دام يُؤدِّي حقَّ الله فيه، ويواسي فيه الفقراء والمساكين؛ فهذا يُثمِرُ لصاحبه راحةَ البال، وراحة الضمير، وطُمأنينة النَّفْس، والزُّهد عند أهل الله في كُلِّ ما سِوى الله تعالى فيقطعُ كُلَّ قاطع له عن الله، ويتخلَّى عن كُلِّ ما يشغله عن الله، أو يوقعه في معصية الله، أو يورثه الغفلة عن الله، كما وقع للصَّحابي الذي شُغِل عن صلاته فلم يَدْرِ كم صلَّى بسبب طائر دَخَلَ بستانه؛ فكفَّر عن اشتغاله بالتصدق بالبستان كله.

فعن عبد الله بن أبي بكر أن أبا طلحة الأنصاريَّ رضي الله عنه «كان يُصلِّي في حائطه فطار دُبْسِيٌّ فطفِق يتردَّد يلتمس مَخْرَجا فأعجبه ذلك فجعل يُتبِعُه بصرَه ساعة، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلى، فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة، فجاء إلى رسول الله ﷺ فذكر له الذي أصابه في حائطه من الفِتنة؛ وقال يا رسول الله: هو صدقةٌ لله فضَعْه حيثُ شئت»[١]، والله أعلم.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٣٢ - [ثمرةُ طولِ الحياةِ السَّقَم والهَرَم].

أقول: الثَّمرةُ هنا العاقبةُ وما يصير إليه حال الإنسان، وقد بيَّن ربُّنا سبحانه وتعالى أحوال الإنسان من بداية خلقه إلى عاقبته فقال عز وجل:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾[٢].

وقد حثَّ رسول الله ﷺ على اغتنام خمس قبل خمس فقال:

(اغتنم خمسًا قبل خمسٍ: شبابَك قبل هَرَمِك، وصِحَّتَك قبل سَقَمِك، وغِنَاكَ قبل فَقْرِك، وفَراغَك قبل شُغْلِك، وحياتَك قبل مَوْتِك)[٣].

---

[١] رواه الإمام مالك رحمه الله في الموطأ.

[٢] سورة الروم، الآية (٥٤)

[٣] رواه الحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: « ما شبَّهتُ الشَّباب إلا بشيءٍ كان في كُمِّي فسقط».

وقد استعاذ النبي ﷺ من سيِّء الأسقام، ومن عُضَال الدَّاء، واستعاذ بالله من الهَرَم وسُوءِ الكِبَر؛ لأن الإنسان يُرَدُّ فيه إلى أرذل العُمُر حتى لا يعلمَ من بعد علمٍ شيئًا، فنعوذ بالله ممَّا استعاذ منه النَّبي ﷺ وعباد الله الصالحون.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٣٣ -[ثَمرةُ المُجَاهدة قَهْرُ النَّفْس].

أقول: أمرنا الله تعالى بمُجَاهدَة النَّفْس؛ حتى تتخلَّصَ من الإصرار على الذنوب، وتتطَهَّر من العُيوب، ومن الرُّعونات ومن عِلَل الأعمال؛ ومنها الشَّكوى والدَّعوى، فمن تَخلَّص من ذلك كُلِّه رُزِقَ الهداية والإخلاص والاستقامة؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[١]، فيُدخله الله في عباده المحسنين؛ الذين لهم مَعِيَّة الله الخاصَّة بالتأييد والنُّصْرة، ويكون في مقام - رضِيَ الله عنهم ورَضُوا عنه -، وأشار الشيخ إلى أنَّ ثمرة المُجَاهدة قَهرُ النفس بمخالفة هواها إلا وَفْقَ الشَّرْعِ المُطَهَّر؛ وبه يأمن من العقوبات والحِجاب والغَفْلة؛ فلا يتعلَّق به اسم الله المنتقم؛ قال شيخنا الشاغوري رحمه الله:

من كان في مشهد الإحسان عبد رضى ... حاشا غداً أن يُرَى عبداً لمنتقم

ومن أعظم قَهْرِ النَّفس ألَّا ينتصرَ لها، وأن يُنْصِفَ ولا يَنْتَصِف، وألا يُجِيبَ عنها فيما نُسب إليها، وأن يُؤثِر عليها ولا يستأثرَ بشيء؛ قال الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: « إذا رأيتَ الفقير مُجِيبًا عن نفسه فاعلم أنَّه والترابَ سواء »؛ أقول: وهو مقامٌ عالٍ لا يصِل إليه إلا الأفرادُ من أقوياءِ السَّالكين، جعلنا الله وإيَّاكم بِمَنِّه منهم، آمين.

---

[١] سورة العنكبوت، الآية (٦٩)

الوصايا الشاذلية

ج

- حرف الجيم -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٣٤ - [جَمِيلُ الفِعال يُوجِب حُسْنَ الجزاء].

أقول: المسلم الكامل مُتَّصف بالجَمال في أقواله وأفعاله وأحواله لأن الجمال محبوب لله تعالى، ويرجو بذلك أن يشفع له هذا الوصفُ عند ربِّه، وأن يُثِيبَه الله عليه بفضله؛ حُسْنَ الجزاء ليكون من عباد الله الذين قال فيهم: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾[١].

وليكون من وُرَّاث نبيِّ الله وخليله ﷺ الذي قال الله في حقه: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾[٢].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٣٥ -[جُودُ الإنسانِ يُوجِبُ له الإحسان، وجَهَالتُه يُغَطِّيها السَّخَاء].

أقول: الجُودُ خُلُقٌ كريمٌ من أخلاق أولياء الله تعالى؛ فما جَبَل الله وليًا إلا على السَّخاء وحُسْنِ الخُلُق، والجُود يتخلَّق به المسلمون لأنه من الأخلاق المحبوبة عند الله تعالى، وجزاؤه عند الله الإحسان؛ كما قال تعالى:

﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾[٣]، فالوصفُ الذي تُعَامِل به الخَلْق يعاملكَ به الحق، ثم إذا وقَع السَّخِيُ في زلَّةٍ أو جَهَالة يُغطِّيها سخاؤه كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

وإنْ كثرتْ عيوبكَ في البرايا ... وسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَها غِطَاءُ
تَسَتَّرْ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ ... يُغطِّيهِ كما قيلَ السَّخاءُ

---

[١] سورة آل عمران، الآية (١٤٨)

[٢] سورة العنكبوت، الآية (٢٧)

[٣] سورة الرحمن، الآية (٦٠)

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٣٦ -[جميعُ السَّيئاتِ تمحُوها الحسنات].

أقول: شاهد ذلك في الكتاب والسنة؛ قال الله تعالى:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾[١].

وعن أبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ، وأبي عبْدِالرَّحْمنِ مُعاذِ بْنِ جبلٍ رضيَ الله عنهما، عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: (**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**)[٢].

وأفضل الحسنات قول لا إله إلا الله؛ فعَنْ أَبِي ذَرٍّ-رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: (**إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا**). قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنَ الْحَسَنَاتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ: (**هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ**)[٣].

قال العلامة ابن رَجَبٍ الحنبلي رحمه الله:

« فإن كمَل توحيد العبد وإخلاصُه لله فيه، وقام بشروطه كُلِّها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرةَ ما سلف من الذُّنوبِ كُلِّها، ومنعَه من دخول النار بالكُلِّية، فمن تحقَّق بكلمة التوحيد قلبُه، أخرجت منه كل ما سوى الله محبةً، وتعظيماً، وإجلالاً، ومهابة، وخشية، ورجاء، وتوكلاً، وحينئذ تُحْرَق ذنوبُه وخطاياه كُلُّها ولو كانت مثل زَبَدِ البحر، وربما قلبتها حسنات،.. فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وُضِعَ منه ذَرَّةٌ على جبال

---

[١] سورة هود، الآية (١١٤)

[٢] رواهُ التِّرْمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ

[٣] رواه الامام احمد في مسنده

الذنوب والخطايا لقلبها حسنات » انتهى من [جامع العلوم والحكم].

وكذلك الوضوءُ، والمشيُ إلى المساجد، وانتظارُ الصَّلوات؛ فعن أَبي هريرةَ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **(أَلا أَدُلُّكُمْ عَلى مَا يمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلى يَا رسولَ اللهِ. قَالَ: إِسْباغُ الْوُضُوءِ عَلى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطا إِلى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بعْد الصَّلاةِ، فَذلِكُمُ الرِّباطُ، فَذلكُمُ الرِّباطُ)**[١].

وكذلِكَ مُوجِباتُ الرَّحْمة، وعزائمُ المغفرة، والغنيمةُ من كل بِرٍّ، والسَّلامةُ مِن كلِّ إثمٍ؛ قال صاحب الجوهرة العلامة إبراهيم اللَّقَاني رحمه الله:

وباجتنابٍ للكبائر تُغْفَرُ صغائرٌ وَجا الوُضو يُكَفِّرُ

والحمدُ للهِ على هذهِ النِّعَم الشَّرعية الجليلة، وله المِنَّة والفضل والثناء الحَسَن.



[١] رواه مسلم

الوصايا الشاذلية

ح

- حرف الحاء -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٣٧ - [حِكْمَةُ الحِكْمَةِ الإعراضُ عن دار الفناء، والوَلَهُ بدارِ البقاء].

أقول: الحكمة مما علَّمه الله تعالى لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وبعثهم بتعليمها لأممهم؛ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[٢].

وفُسِّرت الحكمة بالسُّنة، وفُسِّرت بأنها فعل ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، وقسَّمها العلماء إلى حكمة علمية، وحكمة فكرية، وحكمة دَعَوية، وحكمة عرفانية، وهي التي أرادها الشيخ بكلامه وهي: الإعراضُ عن الدنيا وأهلها، قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾[٣]، والمراد من الإعراض عدم التعلُّق القلبيِّ بها، وعدمُ جمعِها ومنعِ حقِّ الله منها، فأبغضُ العباد إلى الله الجَموع المَنوع.

وعلامة المُخْلِص الحكيم؛ أن يفتقر بعد الغنى، وألَّا يجعلَ التَّدين والتَّعلُّم مصدراً للغِنى؛ بالمُتَجارة بالدِّين، واستغلال الأتباع والمريدين، والتزلُّفِ للأغنياء الغافلين وموافقتهم لأهوائهم طمعا بما في أيديهم، وقد سئل الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: بِمَ صِرْتَ إماماً؟ قال: « بخَصْلة واحدة»، قالوا:

---

[١] سورة آل عمران، الآية (١٦٤)

[٢] سورة النساء، الآية (٥٤)

[٣] سورة النجم، الآية (٢٩)

ما هي؟ قال: « الإعراضُ عن الدُّنيا وأهلها»، وقال: « خَصلة واحدة إذا فعلها العبد صار إمام النَّاس من أهل عصره وهي: الإعراضُ عن الدُّنيا، واحتمالُ الأذى من أهلها ».

ولا يُفْهَمُ من الإعراض عن الدنيا تركُ العمل، وأن يكون الإنسان عالةً على غيره؛ لأنَّ اللهَ وصفَ عباداً له بالعمل والتجارة ولا يُلهِيهِم ذلك عن ذكر الله تعالى وإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة؛ قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾[١]، ووعدهم سبحانه على ذلك أن يَجْزِيهم أحسن ما عملوا، ويزيدَهم من فضله، وأن يرزقَهم بغير حساب؛ فقال سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾[٢]، جعلنا الله وإياكم منهم بفضله وكرمه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٣٨ -[حدُّ العقل النَّظرُ في العواقب، والرِّضا بما يَجري به القضاء].

أقول: سُمِّي العقلُ عقلاً لأنه يعقِل عن الله تعالى أمره ونهيه وحكمته، ولأنه يعقِل النَّفس عن الهوى المذموم، وعلامته: نور به يتبصر صاحبُه العواقبَ قبل الإقدام على أسبابها والعمل بوسائلها، والرِّضا عن الله تعالى في قضائه وقدره؛ فلا يشكو الله ولا يتَّهمه ولا يُسِيءُ الظَنَّ به، وفي الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**)[٣].

---

[١] سورة النور، الآية (٣٧)

[٢] سورة النور، الآية (٣٨)

[٣] رواه الترمذي وحسَّنَه

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٣٩ - [حرامٌ على كُلِّ ذي عقلٍ مغلوبٍ بالشَّهوات أن ينتفعَ بالحِكْمة].

أقول: العقلُ آلةٌ من آلات النفس الباطنة تُسْتَعمَل في النَّظر والتَّفكر والتَّدبر للوصول إلى معرفة الحق تعالى بالدليل والبُرْهان، ولا بُدَّ لهذه الآلة من السَّلامة بداية ونهاية ليَحْكُم على المُقَدِّمات والنَّتائج بالصِّحة والقَبول، وهذه الآلةُ كالبصر في المحسوسات، وأدنى قَذاةٍ تُصِيْب العَيْن تُضْعِف البصر وتمنع الرؤية وكمالها ودوامها، وكذلك الأمر في العقل؛ فكُلُّ شهوةٍ من شَهَوات النَّفس المُحَرَّمة عند العلماء، والمتشتبِهة عند العارفين تمنع العقل من صِحَّةِ النَّظر، ومن الانتفاع بالحكمة، فيمرُّ على كثير من آيات الله مسطورةً في القرآن أو منشورةً في الأكوان ولا يعقل شيئًا منها ولا يُدْرِكُ خِطاب الله له فيها؛ قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[١]، وأولئك ألحقهم الله بالأنعام فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[٢]، فغلبةُ الشَّهوات على العقل حاجبةٌ له عن الحِكْمةِ والحكماء، صادَّةٌ لصاحبها عن الانتفاع بما يسمع أو يبصر، وهذا يسمى تعطيل وسائل الإدراك مع وجودها؛ قال تعالى:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[٣]، نسأل الله السَّلامة والعافية، وقال أهل التصوف: «لا تَسْكُنُ الحِكْمةُ قلبًا مُلِئتْ مَعِدَّةُ صاحبِهِ من طعامٍ حلال».

---

[١] سورة يوسف، الآية (١٠٥)

[٢] سورة الفرقان، الآية (٤٤)

[٣] سورة الأعراف، الآية (١٧٩)

وقال الإمام يحيى بن معاذ رحمه الله: «لا تسكنُ الحكمةُ قلبًا فيه ثلاث خصال: همُّ الرِّزق، وحَسَدُ الخلق، وحُبُّ الجاه».

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٤٠ - [حرامٌ على كُلِّ قلبٍ متولَّهٍ بالدُّنيا تسكُنُه التَّقوى].

أقول: إذا دخل حُبُّ الدُّنيا إلى قلبٍ وتمكَّن منه؛ أفسد ما فيه من التَّقوى والخشية والمراقبة ومقامات المؤمنين؛ حتى إنه لا يذوق منها مقامًا ولا يجد لها طَعْمًا أو حلاوةً، ولذا قال النَّبيُّ ﷺ في دعائه: (**اللهم لا تَجْعلِ الدُّنيا أكبرَ هَمِّنا ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا**). وجاء في الأثر: «حُبُّ الدُّنيا رأسُ كُلِّ خَطيئةٍ وعِمادُ الذُّنوب».

والمرادُ بحُبِّ الدُّنيا: جمعُها ولومن حرامٍ أو مَشْبوهٍ، والمفاخرة، والمكاثرة، والتبذير والإسراف، والأَثَرَةُ، ومنع حق الله فيها؛ حتى يصبح عبداً للدِّرهم والدِّينار، فتكون له التَّعَاسة التي ذكرها رسول الله ﷺ بقوله: (**تَعِسَ عبدُ الدِّرهم، تَعِسَ عبدُ الدِّينار، تَعِسَ عبدُ القَطِيفة، تَعِسَ عبدُ الخَمِيصَة، إن أُعطيَ رَضِيَ، وإنْ لمْ يُعطَ سَخِط، تَعِسَ وانتكَس، وإذا شِيكَ فلا انتَقَش**)[١]؛ فيعيشَ حياتَه قَلِقًا مُضْطَرِبًا، لا يعرفُ راحةً ولا طُمَأنينةً ولا حُبًّا ولا عَمَل خير، ويدخل في ذلك حبُّ الشُّهْرة والمَحْمَدة، والثَّناءِ والتعظيمِ والسُّمْعَة، وكلُّ ذلكَ مِنَ المُهْلِكات، ومن علامات الإفلاس والخُسْران والحِرْمان، نسأل الله السَّلامة والعافية.



[١] رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

الوصايا الشاذلية

خ

- حرف الخاء -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٤١ - [خيرُ العلومِ ما أصلحك].

أقول: العلمُ وسيلةٌ لا غاية؛ فيُتوَسَّل بالعِلم لِيُتَّوصل به إلى غايات متعددة لاختلاف مقاصد المتعلمين؛ ومنها: تزكية النفس وتطهيرها مما يحجبها عن الله تعالى، ومنها: تصحيح العمل ليكون قربة إلى الله لا على وَفْق الهوى، ومنها: ضبط الفكر بقواعد الاستنباط المُتَّفَق عليها بين العقلاء وعلماء الاستنباط؛ ليُحْفَظ العالِمُ من الخطأ في الأحكام، وكل ذلك سمَّاه الشيخ صلاحًا للنفس، فيدخل صاحبه في زمرة عباد الله الصَّالحين الذين دعا خليل الرحمن سيدنا إبراهيم، ونبي الله ورسوله سيدنا يوسف؛ على نبينا وعليهما وعلى كل نبيٍّ ووليٍّ الصَّلاةُ والسلام بأن يُلْحِقَهُما الله بهم؛ فقال الله تعالى حكاية عن خليله محمد ﷺ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾[١]، وقال حكاية عن نبيِّه يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[٢]، فلا يكون المسلم من الصَّالحين ولا يُلْحَقُ بهم إلا بالعلم المقرون بالعمل على وجه الإخلاص فيهما، وَلْيَنْوِ طالب العلم بالتعلُّم، والعالم بالتعليم؛ رفع الإثم عن نفسه فيما هو فرض عين، وعن المسلمين فيما هو فرض كفاية، فَيُرْجَى أن يُكتَبَ له من الحسنات بعدد من نوى رفع الإثم عنهم، وَلْيَعْلَمْ أنَّ نافلة العلم أعظم من نافلة العبادة، وذلك لتعدي منفعة العلم للغير بخلاف العبادة للزومها صاحبها؛ وفي الحديث القدسي في التقرُّب

---

[١] سورة الشعراء، الآية (٨٣)

[٢] سورة يوسف، الآية (١٠١)

إلى الله تعالى فرضاً ونافلة، علماً وعبادة، قوله تعالى فيما رواه عنه رسول الله ﷺ:(**وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه، ولا يزال عبدي يَتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتى أُحِبَّهُ**)، فانظُر ماذا أورث العلمُ والعَمل صاحبَه؛ مقامَ المحبوبية عند الله تعالى، وفَّقنا الله وإيَّاكم إلى ذلك بفضله وكرمه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٤٢ -[خيرُ العَملِ ما صحِبَه الإخلاص].

أقول: إذا كان العمل على وَفْق العلم، وعلى وجه الإخلاص؛ تفضَّل الله تعالى بقَبوله والإثابة عليه، فالإخلاصُ شرطٌ لقَبولِ الأعمال، وقد أمرنا الله تعالى به في كتابه فقال سبحانه: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[٢]، وجعل الله تعالى الإخلاص أحدَ شروط الدُّخولِ في زمرة المؤمنين، والتَّطَهُّرِ من النفاق والمنافقين؛ فقال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾[٣].

۞ وروي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: يَارَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي قَالَ: (**أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ**)[٤].

وعُرِّفَ الإخلاص بأنه: ترك الالتفات إلى حظِّ النَّفْس، والتَّوقي عن ملاحظة الخلق؛ قال أبو طالب المكي رحمه الله: « الإخلاصُ: إخراجُ الخَلْق من معاملة الخالق،

---

[١] سورة غافر، الآية (١٤)

[٢] سورة البينة، الآية (٥)

[٣] سورة النساء، الآية (١٤٦)

[٤] رواه الحاكم، والبيهقي، بسند ضعيف

وأول الخَلْق النَّفْس».

فمن لم يلتفت إلى حظِّ نفسه العاجل أو الآجل، وعَبَد الله لله؛ لأنه ربٌّ يستحقُ العبادة، وتَوَقَّى عن ملاحظة الخلق، ولم يقف مع مدحهم وذمِّهم، وعطاءهم ومنعهم، وإقبالهم وإدبارهم واستوى عنده كل ذلك فهو المُخْلِص، قالوا: « وعلامةُ المُخْلِص ألَّا يتغيرَ بالامتحان».

وقالوا: « المُخْلِص يزدادُ نشاطه إذا خلا بالحق، وبعُد عن نواظر الخلق».

وقالوا: « إذا رأيتَ نفسك تَكْسَل عن العِبادة في الخلا، وتَنْشَط لها في الملا؛ فاعلم أنك عن الوصول إلى الإخلاص لم تَحُمْ حَوْمَة الخَوَاصّ».

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٤٣ - [خيرُ إخوانِك مَنْ واساك، وخَيرٌ منه مَنْ كفاك].

أقول: يبيِّنُ الشَّيخ رحمه الله الإخوان في الله وهم الذين قامت بينهم الأُخُوَّة بحقوقها، وأولئك هم أحباب الله الذين جمعوا الصفات الأربعة:

وهي الحُبُّ، والمُجَالسة، والتَّزاور، والتَّباذل في الله؛ ففي الحديث القدسي الصحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال: قال اللهُ تعالى: (**وَجَبَتْ مَحَبَّتِي للمُتَحابِّينَ فِيَّ، والمُتَجَالِسين فِيَّ، والمُتَزاوِرين فِيَّ، والمُتَباذِلين فِيَّ**).

وفي روايةٍ قال: يقولُ اللهُ تعالى: (**المُتَحابُّونَ في جلالي؛ لهم مَنابِرُ من نورٍ يَغْبِطُهم النَّبيونَ والشُّهداءُ**) ومعنى يغبطهم هنا: يستحسنون مكانهم وقربهم من الله تعالى[١]. وفي رواية أخرى: قال الرَّبُّ عزَّ وجلَّ: (**حَقَّتْ مَحبَّتي للمُتحابِّينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحبَّتي للمُتزاوِرينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحبَّتي للمُتباذِلينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحبَّتي للمُتواصِلينَ فِيَّ**) [٢].

---

[١] رواه مالك في ((الموطأ)) واللفظ له، وأحمد والطبراني رحمهم الله

[٢] رواه أحمد وبنحوه عند الترمذي.

وهؤلاء هم الذين يعيشون مع إخوانهم في الله تعالى أُخُوَّةَ المهاجرين والأنصار ﷺ فهم أشباههم وعلى شاكلتهم ومن وُرَّاثِهم (وقَلِيلٌ ماهُمْ)، وكَانَتِ الْحُكَمَاءُ تَقُولُ: إِنَّ مِمَّا يَجِبُ لِلْأَخِ عَلَى أَخِيهِ مَوَدَّتَهُ بِقَلْبِهِ، وَتَزْيِينَهُ بِلِسَانِهِ، وَرِفْدَهُ بِمَالِهِ، وَتَقْوِيمَهُ بِأَدَبِهِ، وَحُسْنَ الذَّبِّ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُ فِي غَيْبَتِهِ، وهؤلاء هم أهل المُسَامحة والصَّفْح والعفو والمغفرة.

كما قال الشاعر؛ بشار بن بُرد:

أخوكَ الذي إن رِبْتَهُ قال إنَّما ... أَرَبْتُ وإن عاتبتَه لانَ جانبُه
إذا كُنتَ في كُلِّ الذُنوبِ مُعاتِباً ... صَديقَكَ لَم تَلقَ الَّذي لا تُعاتِبُه
فَعِش واحِداً أَو صِل أَخاكَ فَإِنَّهُ ... مُقارفُ ذَنبٍ مرةً وَمُجانِبُه
إِذا أَنتَ لَم تَشرَب مِراراً عَلى القَذى ... ظَمِئتَ وَأَيُّ الناسِ تَصفو مَشارِبُه؟

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٤٤ - [خيرُ مَنْ صاحبْتَه ذو العِلْم والحِلْم].

أقول: العاقل يختار لصحبته الأخيار من أهل العلم والحلم وهم أولوا الألباب؛ وفي الحديث بيان أوصافهم: فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ ؟، قَالَ: (**مَنْ ذَكَّرَكُمْ بِاللهِ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بِالآخِرَةِ عَمَلُهُ**)[١]، وَفِي رواية: (**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ جُلَسَائِكُمْ !، مَنْ ذَكَّرَكُمُ اللهَ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَكُمْ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بِالآخِرَةِ عَمَلُهُ**)[٢]. والمراد بالحِلْم: العقل، وسَعَةُ الصدر، فليس عنده طَيْشٌ أو سرعةُ غضب، وقد قيل: ما ضُمَّ شيء إلى شيء أفضلُ مِنْ حِلْمٍ إلى عِلْم؛ ومعناه: أن يسع العالمُ جهل الجاهل

[١] رواه البزار، والحكيم، وهو حسن لغيره

[٢] أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَاواللفظ له، وَأَبُو يَعْلَى، وَعَنْهُ ابْنُ عَدِيٍّ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي « شُعَبُ الإِيْمَانِ »، ورجاله ثقات.

وألا يجهل عليه بمثل جهله، وقال الإمام ابن عطاء الله السكندري ﵀ في حكمه: « لا تَصحبْ مَنْ لا يُنْهِضُكَ حالُه، ولا يَدُلُّكَ على اللهِ مَقَالُه»، ومن كلام السَّلَف: « خيرُ الأصْحابِ مَنْ يَسُدُّ خَلَلَك، ويَسْتُر زَلَلَك، وَيُصْلِحُ عِلَلَك».

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٤٥ - [خيرُ من شاورتَ ذو النُّهى والعقل، وأولوا التَّجارُب والحَزْم].

أقول: المُشاوَرة أمر الله بها نبيَّه ﷺ تعليمًا وإرشاداً لأُمَّته بقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[١]، ووصف الله بها المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾[٢].

فعلى هذا الشُّورى لا يَستغني عنها عاقل؛ وقد قال بعض السلف: «ما خَابَ مَنْ استشار، ولا نَدِمَ من استخار »، ويقول أحدهم: « من أُعطِي أربعًا لم يُمنع أربعًا: من أُعطِي الشكرَ لم يُمنع المزيد، ومن أُعطِيَ التَّوبةَ لم يُمنع القَبول، ومن أُعطِيَ الاستخارةَ لم يُمنعِ الخِيرَة، ومن أُعطِي المَشُورةَ لم يُمنعِ الصَّواب »، ويقول آخر: مِن حق العاقلِ أن يُضيف إلى رأيه آراءَ العلماء، ويجمعَ إلى عقله عقولَ الحكماء، فالرأيُ الفذَ ربّما زلّ، والعقلُ الفردُ ربما ضلّ، فأعقلُ النَّاسِ مَنْ جَمَع عقلَ النَّاسِ إلى عقله.

ويرشدنا الشيخ ﵀ إلى مَنْ نُشَاور وهم أولوا الأحلام والنُّهَى؛ أي: أصحابُ العقولِ الرَّاجحة، والبصائر النافذة؛ مِنْ أهل التَّجارب، وأصحاب العزم والحزم، فمن أُكْرِمَ بذلك نَجَح وأَفلَح في عاجل أمره وآجله، وحُفِظَ وسَلِمَ في دينه ودنياه،

[١] سورة آل عمران، الآية (١٥٩)

[٢] سورة الشورى، الآية (٣٨)

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٤٦ - [خيرُ الاجتهادِ ما قارَنه التَّوفِيق].

أقول: الاجتهاد هو: بذل الجُهْد وهو الوُسْع والطاقة لتحقيق غاية دنيوية أو أخروية، أو تقول: للوصول لمعرفة الحقِّ حقـًا والباطل باطلاً في العقائد والأفكار والأحكام، وهذا الاجتهاد إذا اقترن به التَّوفيق من عند الله هُدِيَ صاحبه إلى صراط مستقيم، وكانت اجتهاداته كلها عبادات وقربات.

والتوفيق: خَلْقُ الطَّاعة في العبد وتيسيرُ أسبابها ووسائلها؛ فيؤخذ بناصية العبد وقلبه إلى فعل الخيرات، وترك المُنْكَرات، وحُبِّ المساكين، ويصبح صاحبه رقيقَ القلب رحيمـًا بكُلِّ ذِي قُرْبى ومسلم، يُحبِّب الله إليه الإيمان ويُزيِّنه في قلبه، ويُكَرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، ويحبِّبُه الله إلى الصَّالحين، ويحبِّبهم إليه، وأما الخِذلانُ؛ والعِياذُ بالله فهو أضداد ما ذُكر؛ وتكون عاقبة اجتهاد المخذولِ الحِرمانَ والخُسْران فهو داخل في قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾[١]، وقد أَجمَعَ العَارِفُونَ بِاللهِ أنَّ التَّوفِيقَ هُوَ أَلا يَكِلَكَ اللهُ إِلى نَفسِكَ، وَأَنَّ الخِذلانَ هُوَ أَن يُخَلِّيَ بَينَكَ وَبَينَ نَفسِكَ.

قال الشاعر:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأوَّلُ ما يَجْني عليه اجتهـــادُه

فليطلُبِ العبد العونَ من الله على ذكره وشكره وحُسْنِ عبادته، ولْيسألِ الله التَّوفيق الدائم والإخلاص وأن يُلْهِمَه الحقَّ والحكمة والرُّشْدَ والصواب له و لأهله ولإخوانه وللمسلمين.

---

[١] سورة الغاشية، الآيات (٣ - ٤)

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٤٧ -[خيرُ النَّاسِ مَنْ أَخْرجَ الحِرْصَ من قلبه، وخالفَ هواهُ في طاعةِ ربِّه].

أقول: الخَيْرية في الأفراد لوجود وصفٍ يُحِبُّه ويرضاه الله تعالى، أو عِدَّةِ أوصاف، فليس الأخيار على درجة واحدة، وهناك صفاتٌ مشتركةٌ بين الجميع، وصفةٌ أو صفاتٌ ينفردُ بها كل واحد منهم، ومن الصِّفات المشتَرَكة كما جاء في الحديث: الفِقهُ في الدِّين، وتعلُّمُ القرآن وتعلِيمُه، والخَيْريةُ من جهة النَّسب، والخَيْريةُ للأهل والأقارب، والنَّفعُ للنَّاس.

ومن الصفات الخاصَّة ما أشار إليه الشيخ ﷺ من طهارة القلب من عِلَّةِ الحِرْص على الدُّنيا وجمعها ومنعها، وكذلك مخالفة هوى النفس المُحَرَّم؛ طلبًا لمرضاةِ الله تعالى، ورجاءَ دخول الجنة برحمة الله وفضله؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾[1]، جعلنا الله وإيَّاكم من أهلها، وممن سعى لها سعيها وهو مؤمن، بفضله وكرمه.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٤٨ - [دارِ عدوَّكَ وأخلِصْ له وُدَّك؛ تحظَ بالآخرة، وتَحُزِ المُروءة].

أقول: هذا التَّوجيه القيِّمُ، والإرشاد النَّاصح، هو من عِلْم الحِكْمة العملية والدَّعَوية، فلا بُدَّ لكُلِّ إنسان من مُحِبٍّ ومِنْ عَدُوٍّ؛ وهي من سُنَن الله في عباده، وربُّنا سبحانه عاداه بعض عباده، ونسبوا إليه مالا يليق به، سبحانه وتعالى.

وعاملهم الله بصفات الجمال من الرَّحمةِ والحِلْم والكرم على الأعم الغالب في الدنيا؛ فهو يرزقهم ويُمِدُّهم من عطائه بما يحتاجون إليه في حياتهم الدنيا، و العارف بالله مع عباد الله على أخلاق الله يعاملهم بها، ويفوِّضُ أمرهم

---

[١] سورة النازعات، الآيات (٤٠- ٤١)

إلى ربهم، ويقول ما يقوله السيد المسيح عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[١]، ومن هذا نجد أن الله تعالى جعل لكل نبيٍّ عدوًّا من المُجْرمين؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[٢]، وكذلك وُرَّاثُهم من الأولياء والعلماء والمؤمنين؛ لكُلِّ واحد منهم عدوٌّ من المجرمين الكافرين أو المنافقين، حتى لو أنَّ مؤمنًا اعتزل في جبل لجاءه من يُؤْذِيه، قال ابن الوَردي ﷺ في لاميته:

ليس يخلُو المرء من ضدٍّ ولو ... حاول العُزْلةَ في رأس جبلِ

أضِفْ إلى ذلك ما يكون بين الأقران وعلماء الظاهر العَصْرِيِّين وعامَّةِ المسلمين من عَدَاوات منشؤُها داءُ الحسد؛ فكُلُّ هؤلاء يُعامَلونَ بالمُدَاراة، وإخلاص النِّية، والمودَّة، وكأنَّ أحدهم وليٌّ حميم، كما أرشدنا ربُّنا سبحانه في محكم التنزيل بقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾[٣]، وبقوله جلَّ جلالُه وعمَّ نوالُه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[٤].

فمن تخلَّقَ بذلكَ وعملَ به دفعَ الشَّرَّ الأكبر بتحمُّلِ الأصغر، وحظِيَ برضا الله تعالى، وثوابه في الآخرة، ووُصِفَ بالمرؤوة التي هي من مكارم الأخلاق.

ومن كلام الإمام الشافعي ﷺ في ذلك:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أرحتُ نفسيَ من هَمِّ العداواتِ

---

[١] سورة المائدة، الآية (١١٨)

[٢] سورة الفرقان، الآية (٣١)

[٣] سورة المؤمنون، الآية (٩٦)

[٤] سورة فصلت، الآية (٣٤)

إنِّي أُحَيي عَـدُوِّي عنْدَ رُؤْيَتِـهِ ... لأدفعَ الشَّـرَّ عنـي بالتَّحِيَّـاتِ
وأُظْهِرُ الْبِشرَ لِلإِنْسَـانِ أُبْغِضهُ ... كما أنْ قدْ حَشى قَلْبي مَحَبَّـاتِ
النَّاسُ داءٌ وَدَاءُ النَّـاسِ قُـرْبُهُمُ ... وفي اعتزالهـمُ قطعُ المـودَّاتِ

وقال أيضـًا:

قالوا سَكَتَّ وقدْ خُوْصِمْتَ قلتُ لهم ... إن الجوابَ لِبَابِ الشَّـرِ مِفْـتَاحُ
والصَّمْتُ عن جاهلٍ أو أحمقٍ شَرَفٌ ... وفيه أيضـًا لصَونِ العِرْضِ إصلاحُ
أما تَرى الأُسْد تُخْشى وهي صامتـة ... والكَلْب يُخْسى لعَمِري وهـو نبَّاح



الوصايا الشاذلية

د

- حرف الدال -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٤٩ - [دعِ الانتقامَ فإنه من سُوءِ أفعال المُقْتَدِر، ولقد أَخَذَ بجوامعِ الفَضْل مَنْ رَدَعَ نَفسَه عن سُوءِ المُجَازاة].

أقول: من شروطِ سالكِ الطَّريقةِ المُربَّى المُزكَّى ألَّا ينتصرَ لنفسه، وأن يعفوَ عند المَقْدِرة، وألَّا يُجَازِيَ السُّوءَ بمثله؛ بل يعفو ويغفر، ويُحسنُ إلى من أساء إليه؛ وقد جاء في ذلك نصوصٌ كثيرة في الكتاب والسنة وفي الآثار تدُلُّ على ذلك ؛

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[١].

ومن الحديث: عن معاذ بن أنس الجُهَنيِّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ)**[٢].

۞ ومن كلام الإمام أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه: « الفقيرُ إذا انتصر لنفسه تَعِب، وإذا سَلَّمَ الأمر إلى الله تعالى نصرَه من غير عشيرةٍ ولا أهل».

۞ ومن كلام الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه: « إذا انتصرَ الفقيرُ لنفسهِ وأجابَ عنها فهو والترابُ سواء».

والعفو عند المقدرة مِنْ شِيَم الكرام، مِنْ شِيَم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فهذا نبيُّنا السيِّد الأعظم محمَّد ﷺ عفا عن قريش وأهل مكة؛ الذين آذَوه وعذبوه وطردوه، وأخرجوه من أرضه ووطنه، فلما فتح مكة لم ينتقم منهم، ولم يعاملهم بما عاملوه به، بل عفا عنهم وأكرمهم.

---

[١] سورة آل عمران، الآية (١٣٤)

[٢] رواه أبو داود، والترمذي.

وهذا نبيُّ الله يوسفُ الصِّدِّيقُ عليه الصَّلاة والسَّلام، يعفو عن إخوته الذين حاولوا قتله، بل رمَوه في البئر، وفرَّقوا بينه وبين أبيه صغيراً وحيداً فريداً، فعفا عنهم عند القُدْرة على الانتقام منهم، قَالَ سبحانه وتَعَالَى عن يوسف عليه الصَّلاة والسلام: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[١].

وجاء في حديث حسن من طرق: الأمر بأن (**يَصِلَ المؤمن مَنْ قَطَعه، ويعطيَ مَنْ حَرَمه، ويعفوَ عمَّن ظَلَمَه**)[٢]، وعدَّ ذلك من مكارم الأخلاق.

۞ وفي حديث حَسَن عن علي رضي الله عنه: قال عليه أفضل الصلاة والسلام: (**اعفُ عمَّن ظَلَمَك، وصِلْ مَنْ قَطَعَك، وأَحسِنْ إلى مَنْ أساءَ إليك، وقلِ الحقَّ ولو على نفسك**).

۞ ومن أقوال حكماء الصوفية: « مَنْ أحسنَ إلى مَنْ أساء إليه فقد استحقَّ كرامةً وشكراً، ومن أساء إلى من أحسنَ إليه فقد بدَّل نعمةَ الله كفراً ».

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٥٠ - [داوِ الغضبَ بالصَّمْت]

أقول: الغضب قسمان: محمود، ومذموم؛ فما كان لله تعالى ولشرعه فهو محمود، وما كان للنَّفس والدُّنيا فهو مذموم.

۞ وفي وصية رسول الله ﷺ الجامعة كما جاء في الصحيح: قال: (**لاتغضب**) ردَّدها مراراً، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**ليس الشَّديد بالصُّرَعة، إنما الشَّديد الذي يَمْلِك نفسه عند الغَضَب**)[٣].

---

[١] سورة يوسف، الآية (٩٢)

[٢] حديث حسن، رواه الحاكم، والبيهقي.

[٣] متفق عليه

۞ والغَضَبُ له أدوية شرعية:

منها: الاستعاذة بالله، ومنها الوضوء، ومنها تغيير الحالة، ومنها مفارقة المكان، ومنها كما قال الشيخ هنا الصَّمْت؛ فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من صَمَتَ نَجا)**[١].

۞ وروي بسند ضعيف مرفوعًا، ونُسِب إلى لقمان الحكيم رضوان الله عليه: **(الصَّمْتُ حِكْمَة وقليلٌ فاعلُه)**.

۞ و من صَمَتَ إذا أُسِيءَ إليه وكَظَمَ غيظَه يكْرِمه الله بكرامتين:

۞ **الكرامة الأولى في الدنيا**: بأن يبعث له ملَكًا يُدَافع عنه؛ ففي الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ يَشْتِمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ، قَالَ: **(إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ)**.

ثُمَّ قَالَ: **(يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا أَعَزَّ اللهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ، يُرِيدُ بِهَا صِلَةً، إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً، إِلَّا زَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً)**[٢].

۞ قال العلامة القاري في «مرقاة المفاتيح» في سبب ردّ أبي بكر على الرجل: عَمَلاً بِالرُّخْصَةِ الْمُجَوِّزَةِ لِلْعَوَامِّ، وَتَرْكًا لِلْعَزِيمَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِمَرْتَبَةِ الْخَوَاصِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[٣]، ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا

---

[١] رواه أحمد، والترمذي وهو حديث حسن صحيح

[٢] أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود في «سننه»

[٣] سورة الشورى، الآية (٣٩)

فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[١] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[٢]، وأما قيام النَّبي ﷺ من المجلِس، فلأمرين:

الأول: أنه أراد من أبي بكر رضي الله عنه أن يأخذ بالكمال المناسب لمنزلته وفضله، قال العلَّامة القاري في «مِرْقاة المفاتيح»: « وَهُوَ رضي الله عنه وَإِنْ كَانَ جَمَعَ بَيْنَ الِانْتِقَامِ عَنْ بَعْضِ حَقِّهِ، وَبَيْنَ الصَّبْرِ عَنْ بَعْضِهِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ الْكَمَالَ الْمُنَاسِبَ لِمَرْتَبَتِهِ مِنَ الصِّدِّيقِيَّةِ؛ مَا اسْتَحْسَنَهُ ﷺ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ ».

و قال الصَّنْعَاني في «التحبير لإيضاح معاني التيسير»: وكأنه ﷺ أحبّ لِلصِّدِّيق الصبر والمغفرة، لقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[٣].

الثاني: أنه مجلس حضر فيه الشيطان، والنبي ﷺ لا يحضر مجلسًا حضر فيه الشيطان، قال ابن رسلان في «شرح سنن أبي داود»: « فإن النَّبي ﷺ لا يحضر في مكان حضر فيه الشيطان، بل ينتقل منه كما في قضيَّة الوادي، إذ قال: إن به شيطانًا حضر لما فاتتهم الصلاة فارتحلوا عنه ». اهـ

۞ **و الكرامة الثانية في الآخرة**: بأن يُخَيِّرَه الله تعالى من الحُورِ العِين ماشاء: ففي الحديث عن معاذ بن أنس رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال:

(مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وهوَ قادِرٌ على أنْ يُنْفِذَهُ؛ دعاهُ اللهُ سبحانَهُ على رُؤوسِ الخَلائِقِ يومَ القيامةِ حتى يُخَيِّرَهُ مِن الحُورِ العِينِ ما شاءَ)[٤].

وقال بعض السلف: « إياك وصَوْلةَ الغضب فإنها تُصيِّرُك إلى ذِلَّة الاعتذار».

[١] سورة الشورى، الآية (٤٠)

[٢] سورة النحل، الآية (١٢٦)

[٣] سورة الشورى، الآية (٤٣)

[٤] أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه

وقالوا: يملك الشيطان ابن آدم ويوقعه في معصية الله وغضبه في حالتين: إذا شَبِع، وإذا غَضِب، اللهُمَّ أعِذنَا من شرور أنفسنا، وآتِها تقواها، وزَكِّها أنت خير من زكَّاها، وأعذنا من شَرِّ الشيطان وشِرْكه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٥١ - [**داوِ الشَّهوةَ بالعقل**].

أقول: الشَّهوة ما تشتهيه النفس من شَهْواتِ الأعضاء والأمانِيِّ؛ المُسمَّاة بمعاصي الجوارح، وميول الطَّبع الظُّلْماني، ويدخل فيها حُبُّ الشُّهرة، وحُبُّ الظُّهور، وحُبُّ المَحْمَدة والثناء، وحُبُّ التعظيم والتَّقديم، وما إلى ذلك من رعونات النفس، ويصحب ذلك التنقيص للآخرين ولو بالإشارة والتعريض، وعدم حب ذكرهم وذكر فضائلهم، وهذا البلاء لا يخلو أحد من العامَّة أو الخاصَّة منه إلا من رحم ربِّي؛ بأن آتاه كمال الإيمان والعقل؛ فدفعه ذلك إلى أن يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبَّ لنفسه، وفكَّر في قِسْمَة الله لعباده، واختصاص مَن أحبَّ منهم بمواهب؛ فلم يعترض على الله في ذلك بل رضي عن الله فيه، وجعل الشَّيخ ﷺ دواء الشَّهوة العقل؛ بمعنى: أن يعقِل عن الله حكمته وأمره ونهيه، وعاقبةَ هذه الشهوة، وعقوبَتها في الدُّنيا والآخرة.

۞ وقد قال أهل الله العارفين به:

« رُبَّ شَهوةِ ساعةٍ تُورِثُ نَدامة الأبد، ما صَدَق اللهَ مَنْ أحَبَّ الشُّهْرَة، الظُّهُور يَقْسِم الظُّهور، من تصدَّر قبل أوانه، فقد تصدَّى لهوانه».

ونُقِل عن الإمام الشافعي ﷺ قوله: « أُحِبُّ أنْ يُنْشَر هذا العلم، وألَّا يُنسَبَ إليَّ حرفٌ منه»، ونُقِلَ عنه: « لا أبالي على يدِ مَنْ هدى الله عباده أو نَفَعهم»، ومن آثر أخًا له في ذلك كان له مِثلُ أجره.

وذكر الشَّيخ الشَّعراني ﵀ أنه كان يُسَرُّ اذا تَحوَّل أحد إخوانه إلى شيخ آخر، وذلك من حيثُ حصولُ الخير لأخيه وانتفاع الناس به، ومن حيثُ تخفيفُ الحساب عنه يوم القيامة بخروج ذلك الأخ الطالب أو المريد من عَهْده وتربيته؛ بذهابه إلى شيخ آخر.

۞ وحجة الإسلام أبو حامدٍ الغزالي ﵀ لمَّا أنهى سِياحته وتزكيته لنفسه، ومَرَّ بأماكن وَعْظه ودروسه صار يقول: هَهُنا كنَّا نعصي الله؛ والمراد: معاصي النَّفْس التي تصحب العلماء غالبًا.

أعاذنا الله من فتن العلم ومن رعونات النفس بفضله، وجعلنا من الراشدين، آمين.



الوصايا الشاذلية

ذ

- حرف الذال -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٥٢ - [ذِلَّ في نفسكَ وعِزَّ في دِينك].

أقول: يأمر الشيخ رضي الله عنه المُريد السَّالِك بشيئين:

١ - أن يتذلَّل في نفسه؛ وذلك بذمِّها وتحقيرها في داخل نفسه، وبالتواضع لإخوانه وعدم التميُّزِ عليهم، وبخدمتهم وقضاء حوائجهم، وحمل أمتعتهم بيده وعلى عاتقه، وذلك اقتداءً بالنَّبي ﷺ وأصحابه وَوُرَّاثِه رضي الله عنهم؛ قال الحافظ العسقلاني رحمه الله: التواضُع بضم الضاد المعجمة مشتق من الضِّعة بكسر أوله، وهي الهَوان، والمراد من التواضع: إظهار النزول عن المرتبة إذا أُرِيدَ تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله، انتهى.

۞ وقال بعض العارفين: اعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع وهو التَّذَلُّل والتَّخَشُّع إلا إذا دام تجلِّي نور الشُّهود في قلبه؛ لأنه حينئذ يذيب النفس، ويُصفِّيها عن غِشِّ الكِبْر والعُجْب فتلين، وتطمئِنُّ للحقِّ والخلق بمحو آثارها وسكون وَهَجها، ونسيان حقَّها، والذُّهولِ عن النَّظر إلى قَدْرها، ولما كان الحظُّ الأوفر من ذلك لنبيِّنا ﷺ كان أشدَّ النَّاس تواضعًا، وحسبك شاهداً على ذلك أن اللهَ تعالى خيَّره أن يكون نبيًّا مَلِكًا أو يكون عبداً نبيًّا فاختار أن يكون عبداً نبيًّا، ومِن مُثُلِهِ أنَّه: لم يأكل متكئًا بعدُ حتى فارق الدنيا، وقال: أجلِس كما يجلِس العبد، وآكل كما يأكُل العبد، ولم يقل لشيء فعله خادمُه أنسٌ رضي الله عنه أفٍّ قطُّ، وما ضرب أحداً من عبيده وإمائه، وهذا أمرٌ لا يتَّسع له الطَّور البشري لولا التأييدُ الإلهيُّ، وفي الحكم العطائية: « التَّواضُع الحَقِيقيُّ هو ما كان ناشئًا عن شُهُود عَظَمَتِه وتجلِّي صِفَتِه».

٢ - وأن يعتزَّ بدِينه فيُظْهِرَ الفرائضَ والسُّنَن، ويُعلِنَ الشَّعائر ومكارم الأخلاق، والبِرَّ والبذل والإحسان، ويَنْويَ دعوة الخلق إلى الحقِّ بحالهِ قبل قالهِ، وإدخالَ السُّرور والعِزَّة على نفوسِ المؤمنين، وإغاظةَ الكافرينَ والمنافقين، وكُلُّ ذلك يُكْتَب له به عملٌ صالح، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[١].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٥٣ - [ذُلُّ الرِّجالِ في المَطَامِع].

أقول: مَنْ طَمِع بالوصول إلى شيء أو الحصولِ عليه فإنَّه يَتذلَّل في ظاهره من أجل ذلك، فإذا وصلَ إليه وحصلَ عليه تعزَّز؛ لأن التَّذلل السَّابق كان لعلةٍ فزال بزوالها، وهذا عامٌّ في المطالبِ الدُّنيوية للخاصَّة والعامَّة.

۞ قال الشيخ ابن عطاء الله السكندري ﷺ في حكمه: « ما بَسَقَتْ أغصانُ ذُلٍّ إلا على بِذْرِ طَمَع».

وأما في المطالب الأُخروية فإنَّ تذلُّل المؤمنين لله تعالى ظاهراً وباطناً لا يزول؛ لأنَّه من لوازم العُبودِيَّةِ الكاملة، ومثله تذلُّلِ الكاملين مِنَ المُؤمنين لِكُلِّ مُؤمن؛ قال الله تعالى في وصفهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

---

[١] سورة التوبة: ١٢٠

[٢] سورة المائدة: ٥٤

۞ قال سيِّدي محمَّد الحرَّاق ﵀:

إذا يبدو امرؤٌ من حـيِّ ليـلى ... يــذِلُّ لـهُ وينكَسِـرُ انكســارا
ولولاها لما أَضْحَــى ذليــلاً ... يقبِّلُ ذا الجــدارَ وذا الجـدارا
وما حُبُّ الدِّيارِ شــغفْنَ قلبي ... ولَكنْ حُبُّ مَنْ سكن الدِّيـارا
ولمَّــا أنْ رأتْ ذُلِّــي إليهــا ... وحبِّـي لـم يَـزدْ إلا انتشــارا
وأحْسَبُ في هواها الذُّلَ عِــزَّاً ... وحَـقْري في محبَتهـا افتخــارا
أباحت وصلَهــا لكــنْ إذا ما ... غَدَونا مِنْ مُدَامتها سُــــكارى
شَــــرِبْناهـا فلمَّا أن تجلَّــت ... نسِــــينا مِنْ مَـلَاحَتِها العُقَـارا
وكسَــــرنا الكؤوسَ بها افتتانـاً ... وهِمْنَا في المُــديرِ بلا مُـدَارا

۞ وقال بعض علماء النفس والاجتماع:

هلاكُ العامَّة في المطامع والمطاعم؛ أي: في الشهوات الظَّاهرية التي زُيِّنَتْ للناس، والجاه والمناصب والتكاثر والتفاخُر، وهلاك الخاصَّة في المطامع الخفية؛ أي: الشَّهوات الباطنية؛ مِنْ حُبِّ الظُّهُور والرِّياسة، وصَرْفِ وجوه النَّاس إليه، والمَحْمَدة والأَثَرة، وما شاكل ذلك مِن عِلل الأعمال ورُعونات النَّفْس، عافانا الله والمسلمين من كُلِّ ذلك ظاهراً وباطنـاً بمَنِّه، آمين.


الوصايا الشاذلية
ر

- حرف الراء -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٥٤ - [رأسُ الإيمان الصِّدق].

أقول: الإيمان هو: التَّصديق القلبيُّ الجازم عن دليل، والصِّدق الظاهر والباطن علامة كماله؛ فصِدْق الأقوال، والأفعال، والأحوال، والقَصْد، والتَّوجُّه، والحضور، وعدم ادِّعاء شيءٍ من ذلك، أو التَّشَبُّع به دون تحقُّقٍ فيه؛ من شأن المؤمنين الكاملين، والادِّعاء والتَّشبُّع بشيءٍ منه مع عدم التَّحقُّق من الكذب على الله تعالى؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[١].

۞ وعن أسماء رضي الله عنها أن امرأة قالت: يا رسول الله إنَّ لي ضَرَّةً فهل عَلَيَّ جُنَاحٌ إنْ تشبَّعتُ مِنْ زوجي غيرَ الذي يُعطِيني، فقال رسول الله ﷺ: (**المُتَشَبِّعُ بما لم يُعْطَ كلابسِ ثَوْبَي زُور**)[٢].

۞ قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: « قال العلماء؛ معناه: المُتَكثِّر بما ليس عنده؛ بأن يُظْهِرَ أنَّ عنده ما ليس عنده يتكثر بذلك عند النَّاس، ويتزَيَّن بالباطل؛ فهو مذموم كما يذم من لبِسَ ثوبَي زُور».

وقال أبو عبيد وآخرون: هو الذي يَلْبَس ثيابَ أهل الزُّهد والعبادة والورع؛ ومقصوده أن يُظْهِرَ للنَّاس أنَّه مُتَّصف بتلك الصفة، ويظهرمن التَّخَشُّع والزُّهد أكثرَ ممَّا في قلبه، فهذه ثياب زور ورياء، وقيل: هو كمن لبِس ثوبين لغيره وأوهم أنهما له، وقيل: هو من يلبس قميصاً واحداً ويصل بكميه كمين آخرين فيظهر أن عليه قميصين، وحكى الخطَّابي رحمه الله قولاً آخر: أن المراد هنا بالثَّوب الحالةُ

---

[١] سورة الزمر، الآية (٦٠)

[٢] رواه البخاري

والمَذهب، والعربُ تُكَنِّي بالثَّوب عن حال لابسه، ومعناه أنه كالكاذب القائل ما لم يكن، وقولاً آخر: أن المراد الرجل الذي تُطْلَب منه شهادة زُور؛ فيلبس ثوبين يتجمَّل بهما فلا تُرَدُّ شهادته لحسن هيئته، والله أعلم.

ويدخل في الكَذِب المُنافي للصِّدق ادِّعاء المشيخة والخلافة والإذن الخاصِّ أو العامِّ كذبـًا على شيوخه وطريقته لِيَصْرِفَ وجوه النَّاس إليه، ولِيُنازِعَ الأمرَ أهلَه؛ فذلك من أكبر الغِشِّ والخديعة للمسلمين؟، وقد قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّي**)[١]، والحمدُ للهِ الذي عافانا ممَّا ابتلى به كثيراً مِنْ خَلْقِه، ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[٢]، وسلامٌ على عبادِه الذِّين اصطفى، وسلامٌ على المُرْسَلِين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٥٥ - [رأسُ الإسلامِ الأمانةُ].

أقول: جاء التعبير برأسِ الإسلام في كلام رسول الله ﷺ؛ ومنه استعاره الشَّيخ رحمه الله، ففي حديث سيِّدنا مُعاذ بن جبل رضي الله عنه؛ قال له النَّبي ﷺ: (**ألا أُخْبِرُكَ برأسِ الأمرِ وعَمُودِه وذِرْوةِ سَنَامه؟**)، قلت: بلى يا رسول الله، قال: (**رأسُ الأمرِ الإسلام، وعَمُودُه الصَّلاة، وذِرْوَةُ سَنَامِه الجِهاد**)، ثم قال: (**ألا أُخْبِرُك بمِلاكِ ذلكَ كُلِّه؟**) قلت: بلى يا رسول الله؛ فأخذ بلسانه ثم قال: (**كُفَّ عليكَ هذا**)[٣].

وشبَّه النَّبي ﷺ الصَّلاة بالرأسِ مِنَ الجَسد فقال: (**لا إيمانَ لِمَنْ لا أَمَانةَ لَهُ، ولا صَلاةَ لِمَنْ لا طُهورَ لَهُ، ولا دِينَ لمن لا صلاةَ لَهُ، إنَّما موضِعُ الصَّلاةِ مِنَ الدِّينِ كموضعِ الرَّأسِ منَ الجسَدِ**)[٤]، وقال سيدنا عَلِيٌّ رضي الله عنه: « الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ،

---

[١] وفي رواية (مَنْ غَشَّنا فليس مِنَّا) رواه مسلم

[٢] سورة الأعراف، الآية (١٢٨)

[٣] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح

[٤] رواه الطبراني عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وإسناده حسن

بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ»[١].

وفُسِّرَ الصَّبرُ بمراتبه الثَّلاثة وهي: الصَّبرُ على الطَّاعة، والصَّبر عن المعصية، والصَّبْرُ على البلاء والإيذاء، وفي دعاء الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في حزب البر: - اللَّهُم صبِّرنا على طاعتك، وعن مَعْصِيَتك، وعن الصِّفات المُوجِبة للنَّقْص والبُعْد عنك - والشَّيخ عبَّر هنا بالأمانة التي تَجْمَع جميع التَّكاليف الشَّرعية من فرائضَ وواجباتٍ وأخلاق في معاملة العبد لِرَبِّه، ومعاملته لِخَلْقِ الله تعالى؛ وقد سبق قول رسول الله ﷺ: (**لا إيمانَ لِمَنْ لا أمَانةَ له**).

وقال أنس رضي الله عنه: ما خَطَبَنَا رسولُ الله ﷺ إلَّا قال: (**لا إيمانَ لِمَنْ لا أمانةَ له، ولا دِينَ لِمَن لا عَهْدَ له**)[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسولِ اللهِ ﷺ، أنَّهُ قالَ: لمن حولَهُ من أصحابه: (**اكفُلوا لي بستٍّ أَكْفُلْ لَكُمُ الجنَّةَ**، قالوا وما هيَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: **الصَّلاةُ، والزَّكاةُ، والأمانةُ، والفَرجُ، والبطنُ، واللِّسانُ**)[٣].

وتأتي الأمانة يوم القيامة فتكون على جَنَبة الصِّراط؛ فعن حذيفة رضي الله عنه في حديث الشَّفاعة، عن رسول الله ﷺ قال: (**وتُرْسَل الأمانةُ والرَّحِمُ فتقومان جَنبَتَي الصِّراط يمينًا وشمالاً**)[٤]، وسمَّى النَّبي ﷺ الغُسْل من الجَنَابة أمانةً فقال:

(خمسٌ مَن جاء بهنَّ مع إيمانٍ دخَل الجنَّةَ؛ مَن حافَظ على الصَّلواتِ الخمسِ على وضوئِهنَّ وركوعِهنَّ وسجودِهنَّ ومواقيتِهنَّ، وصام رمضانَ، وحجَّ البيتَ إن استَطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزَّكاةَ طيِّبةً بها نفسُه، وأدَّى الأمانةَ؛ قيل: يا نبيَّ اللهِ وما أداءُ الأمانةِ؟ قال: الغسلُ من الجَنابةِ؛ إنَّ اللهَ لم يأمَنِ ابنَ آدمَ

[١] رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»، والبَيهقيُّ في «الشُّعَب»، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»، و سعيد بن منصور في «سننه».

[٢] حديث صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده.

[٣] رواه الطبراني بإسناد لا بأس به؛ وله شواهد كثيرة.

[٤] رواه مسلم

على شيءٍ من دينِه غيرَها)[١]، وجاءت الأمانة مفسرة بالغسل من الجنابة من قوله في رواية؛ وبهذا يتبيَّن أنَّ الوظائف الشَّرعية، وما اشتملت عليه من عبادات ومعاملات؛ هي الأمانةُ التي أشار إليها الشَّيْخ ﷺ أنها رأس الإسلام، والتي يذهب الإيمان بذهابها، وأرشد النبي ﷺ في المعاملات إلى أداء الأمانة وترك الخيانة بقوله: (**أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**)[٢].

نسأل الله الأمن والإيمان والأمانة؛ قال الشاعر الإسلامي محمد إقبال ﷺ:

إذا الإيمان ضاعَ فلا أمـــانٌ ... ولا دُنْيا لِمَنْ لَمْ يُحِي دينا

ومَنْ رضيَ الحَياة بغير دِينٍ ... فقد جعل الفَنَاء لها قرينـا

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٥٦ - [رأسُ النِّفاقِ الخِيانةُ].

أقول: النِّفَاقُ بِقِسمَيه العَقَدي والعَمَلي مشتركان بصفة الخيانة؛ وهي تعني: خُلْفَ الوَعْد، ونقضَ العَهْد، والتَّجسس، وإفشاءَ السِّرِّ، والبهتانَ، وغير ذلك من الأمور المذمومة في معاملة العبد لِرَبِّه تعالى، أو معاملته للخلق؛ سواء كانت في الشهادة أو الغيب؛ والعياذ بالله العظيم.

وقد جعل الشَّيخ ﷺ الخِيانةَ رأسَ النِّفاق، فهي مَجْمَعُ الشُّرور والآثام، وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن الاتِّصاف بها؛ فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾[٣]، وأخبر سبحانه أنه لا يُحِبُّ الخائنين، وأوجب التَّبرؤَ والحذر منهم؛ فقال سبحانه:﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن

---

[١] رواه أبو داود بإسناد جيد عن أبي الدرداء ﷺ

[٢] رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ بسند صحيح.

[٣] سورة الأنفال، الآية (٢٧)

قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾[١]، والخائنُ لا يكون هاديـًا ولا مَهْدِيًّـا؛ بل كيدُه وخيانته يَرجِع عليه وبالهما في الدنيا والآخرة؛ قال عزَّ مِنْ قائل حكايةً عن امرأة العَزيز: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾[٢]، وأرشدنا رسول الله ﷺ إلى عدم خيانة الخائن فكيف بمن لم يخن فقال: (**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**)[٣].

نسألُ الله السَّلامةَ من مُوجِبات النَّدامة في الدُّنْيا وفي القبر وفي يوم القيامة، آمين يارب العالمين.



[١] سورة الأنفال، الآية (٥٨)

[٢] سورة يوسف، الآية (٥٢)

[٣] رواه الترمذي وحسَّنه، والحاكم وصحَّحه.


الوصايا الشاذلية
ز

- حرف الزَّاي -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٥٧ - [زَينُ المُصَاحبةِ الاحتمالُ].

أقول: الزَّين: ما يقابل الشَّين، والمراد بالزَّين كُلُّ ما يُزَيِّنُ الإنسان في ظاهره أو باطنه من الأقوال والأفعال والأحوال، وخصَّ الشَّيخ ﷺ هنا المُصَاحبة مبيِّنًا أن الاحتمال يُزَيِّنها؛ والمُصَاحبةُ لها درجاتٌ متعددة ومتنوعة باعتبار جهاتها:

۞ فمنها: الصُّحْبة مع الله تعالى في السَّفَر الحقيقي والمعنوي؛ وأدبها: الخشية والمراقبة والحياء، والاحتمال هنا معناه: الصبر والرِّضا عن الله في التَّجَلِّيات القَهْرية والجلالية.

۞ ومنها: الصُّحْبَةُ مع شعائر الدِّين بشراً وغيره، وأدبها: التعظيم لها.

۞ والصُّحْبَة مع الأكابر والمشايخ بالحُرْمَة، والخِدْمة لهم، والقيام بأشغالهم؛ والاحتمال هنا: هو الصَّبر على نَفَرات المُعَلِّم وشدته وإهانته للمتعلم؛ قال الإمام الشافعي ﷺ:

اِصبِر عَلى مُرِّ الجَفا مِن مُعَلِّمٍ ... فَإِنَّ رُسوبَ العِلمِ في نَفَراتِهِ

وَمَن لَم يَذُق مُرَّ التَعَلُّمِ ساعَةً ... تَجرَّعَ ذُلَّ الجَهلِ طُولَ حَياتِهِ

وَمَن فاتَهُ التَعليمُ وَقتَ شَبابِهِ ... فَكَبِّر عَلَيهِ أَربَعًا لِوَفاتِهِ

وَذاتُ الفَتى وَاللَهِ بِالعِلمِ وَالتُقى ... إِذا لَم يَكونا لا اِعتِبارَ لِذاتِهِ

۞ والصُّحْبة مع الأقران والأوساط بالنَّصيحة والمواساة وبذل الموجود، والاحتمال هنا: عدم مقابلة الجهل والإيذاء بالمثل؛ قال الشاعر:

المرء يُعْرَفُ بالأنام بفعله ... و خصائلُ المرء الكريم كأصله

و إذا الصَّدِيق أسا إليك بجهله ... فاصفحْ لأجل الوُدِّ ليس لأجله

۞ والصُّحْبة مع الأصاغر والمُرِيدين بالإرشاد والتَّأديب، والحمل على ما يُوجِبه ظاهر العلم وأدب السنة، وأحكام البواطن، والاحتمال فيها: الصَّفْح عن عَثَرات الإخوان ونسيانُها، وترك تأنيبهم عليها؛ قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾[١].

وفُسِّر: أن لا يكونَ فيه تقريعٌ ولا تأنيبٌ ولا معاتبة، وقيل أيضاً: هو رضاً بلا عتاب؛ قال الفضيل بن عياض ﷺ: «الفُتُوَّة العَفْو عن عَثَرات الإخوان».

و قال عبد الله بن مُحَمَّد بن مُنَازِل: « المؤمن يطلب معاذيرَ إخوانه، والمنافق يطلب عثراتِ إخوانه»، وقال حمدون القصَّار ﷺ: «إذا زلَّ أخ من إخوانكم فاطلبوا له سبعين عذراً، فإن لم تقبله قلوبكم فاعلموا أن المَعيبَ أنفسُكم؛ حيث ظهر لمسلم سبعون عذراً فلم تقبله »؛ وهذا من معاني الاحتمال الذي أشار إليه الشيخ ﷺ، وقد جمع بعضهم آداب الصُّحبة بقوله: « كن مع اللهِ بالصِّدق، ومع النَّاس بالإنصاف، ومع النَّفس بالقَهْر، ومع العلماء بالتَّواضع، ومع الشُّيوخ بالخِدمة، ومع الفقراءِ بالسَّخاء، ومع الأطفالِ بالشَّفقة، ومع الأحباب بالنَّصيحة، ومع الأعداءِ بالحِلْم، ومع الجاهل بالسُّكوت».

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٥٨ - [زهدُك في الدُّنيا يُنْجِيك، ورغبتُك فيها تُرْدِيك].

أقول: الزُّهْد في الدُّنيا مُرَغَّب فيه، ومُحَبَّبٌ إلى الله تعالى ورسوله ﷺ في نصوص كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ القولية والفعلية، وهو يعني: الزُّهْدَ في الحرام باجتنابه، وفي المُشْتَبِه بالتَّورع عنه، وفي المُباح بترك التَّوسع فيه، وإنفاقِ ما يفضُل عن نفقة الإنسان ومَنْ يَعُول؛ إلى المحتاجين من الأرحام وفقراء

[١] سورة الحِجر، الآية (٨٥)

المسلمين؛ فمن فعل ذلك نجَّاه الله بفضل الصدقات من مصائبِ وفتن الدنيا، ومن أهوال يوم القيامة، وأدخله في عباده الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[١]، فأقرب الطرق إلى الله الإحسانُ إلى خَلْقِ الله، وقِيل: إنَّ صاحبَ المعروف لا يقع؛ وإن وقع وَجَد مُتَّكَأً؛ قال الشاعر:

إنَّ الجَـــوَاد وإن زلَّت به قَــدَمٌ ... يَهوِي على فُرُشِ الدِّيباج والسُّرُر

النَّاسُ اثنـانِ ذو علمٍ ومُسْـــتَمِعٌ ... واعٍ وســائرُهم كاللَّغـو والعَـكَرِ

۞ ثم بيَّن الشَّيخ ﷺ: أنَّ الرَّغبة في الدُّنيَا مُكَاثَرةً ومفاخرة، جَمْعًا لها ومنعًا لبذلها، تُرْدِي الإنسان، وتُوقعه في المهالك في دنياه وفي أخراه؛ نسأل الله السَّلامة من مُوجِبات النَّدامة في الدُّنيا وفي القبر وفي يوم القيامة، آمين يارب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٥٩ - [زَخَارِفُ الدُّنْيا تُفْسِدُ العُقُولَ الضَّعيفة].

أقول: الزَّخَارِف جمع زُخْرُف وهو في الأصل: الذَّهب، ثم استعمل في كل مموَّه مزوَّر، والمُزَخْرَف: المُزَيَّن، والزُّخْرُف من الأرض ألوان نباتها، وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم هذه الكلمة في مواضع فقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ

[١] سورة البقرة، الآية (٢٧٤)

[٢] سورة الزخرف، الآيات (٣٣ - ٣٥)

﴿ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾[١]، وقال جَلَّ جلاله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾[٢].

فكُلُّ من ألهته هذه الزَّخارف وهذه الزينة عن ذكر الله تعالى، وشَغَلَتْه عن الدَّار الآخرة والاستعداد لها؛ فهو ضعيفُ العقل فاسدُه، ومن لم يُلْهِهِ المال والولد والزُّخْرُفُ عن ذكر الله، ولم يشغله السَّعي والكسب عن الآخرة، وأن يسعى لها سعيها، وأخذ من الدنيا قَدْر كفايته وكفاية مَنْ يعول، وخلَّف لذُرِّيَّته منها ما يُغنيهم عن ذُلِّ المسألة، وأنفق ما زاد في صِلَةِ رحمه وفي وجوه الخير، وأوصى بثُلُثِ ماله في ذلك فقد جعل الدنيا قنطرةً ومزرعةً للآخرة؛ وكان من العقلاء الكاملين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨﴾[٣].

وحذَّرنا الله تعالى عن أن نتلهى بزخارف الدنيا عن ذكره، وجعل ذلك من أسباب الخسران؛ فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾[٤].

اللَّهُمَّ ربَّنا لا تجعلِ الدُّنيا أكبرَ همِّنا ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا، ونسألك اللهمَّ دُنيا

[١] سورة يونس، الآية (٢٤)

[٢] سورة الكهف، الآية (٧)

[٣] سورة النور، الآيات (٣٧ – ٣٨)

[٤] سورة المنافقون، الآية (٩)

واسعةً زكيةً لنا وللذُرِّية، وأخرج حُبَّها من قلوبنا وقلوبِهم بالكُلِّية، ووفِّقنا وإيَّاهم لإنفاقها في مصارِفِها الشَّرعية، تقَرُّبـًا إليك ياربَّ العالمين، اللهم آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٦٠ - [زِينةُ البواطنِ أَجْملُ مِنْ زِينةِ الظَّواهر].

أقول: زينة البواطن تخليةً عن كبائر الإثم الباطن كالعُجْب والكِبْر والحسد وغيرها، وتحليةً بمقامات القلب من الإخلاص والمراقبة والحياء والأدب؛ أجمل في عالَم الغيب، من زينة الظواهر من التَّرَجُّل والتَّطيُّب والتَّنعُّم في عالَم الشهادة، فأبناء الآخرة يهتمون بإصلاح قلوبهم وتزيينها أكثر من اهتمام أبناء الدنيا بإصلاح ظواهرهم وتزيينها؛ وفي حديث رسول الله ﷺ:

(ألا وإنَّ في الجسد مُضْغَةً إذا صلَحتْ صلَح الجسد كُلُّه، وإذا فسَدَت فسد الجسد كُلُّه، ألا وهي القلب)[١].

والقلب موضع نظر الله تعالى؛ فتزيينه بما يُحِبُّه الله تعالى وذلك بتطهيره وتنويره وتعميره؛ أولى من تزيين الجسد لنظر الخَلْق؛ لأنَّ من نظر الله إليه نظرة محبة ورضا أسعده وأرضاه وأغناه، وأمَّا نظر الخلق فلا نفع فيه؛ بل ربما انطوى على ضَرَر إن كان نظرَ حسد، ويُستثنى من ذلك مَنْ كان نظره بالله؛ فإنه يُعمِّر بإذن الله؛ وهو نظر المَدَد، نفعنا الله بنظر المَدَد، وكفانا شرَّ نظر الحسد، بفضله وكرمه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٦١ - [زِينةُ الإيمان طهارةُ السَّرائر، وحسن العوامل في البواطن لا الظواهر].

أقول: الله تعالى أخبَر بكلامه في القرآن الكريم؛ أنه حبَّب إلى المؤمنين الإيمان وزيَّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكُفْر والفسوق والعِصيان، وجعلهم من

[١] رواه البخاري، ومسلم؛ واللفظ له

الراشدين؛ فمن وجد ذلك في نفسه وقلبه فليَحْمَدِ الله تعالى؛ بأن جعله ممن كَتَبَ في قلوبهم الإيمان، وأيَّدهم برُوحٍ منه، وليجعل اهتمامه الدائم؛ في الثبات على الإيمان، والاستقامة عليه، وذلك بطهارة السرِّ ممَّا سوى الله مما يحجب عن الله تعالى، وصدِق التَّوجه الباطن إليه تعالى؛ بعُكوفِ القلب في حضرته؛ مراقبةً له ومشاهدةً؛ ولذا قيل: ذَرَّةٌ من أعمال أهل القلوب بالحُضور والإخلاص؛ تعدِل عبادة الثَّقلين أهل الغفلة، وأصحاب علل الأعمال؛ التي يصحبها الشِّرك الباطن،

۞ وفي الحديث عن أبي أمامة البَاهِلي ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمِسُ الأجرَ والذِّكرَ ما له؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **(لا شيءَ له)**، فأعادها ثلاثَ مرَّاتٍ، ورسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: **(لا شيءَ له)**، ثمَّ قال: **(إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلَّا ما كان خالصًا وابْتغِي به وجهُه)**[١].

۞ وعن أَبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: **(أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ:وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟قَالَ:قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُه)**[٢].

۞ وعن مَعْقِل بن يَسَار ﷺ قال: انطلقتُ مع أبي بكر الصديق ﷺ إلى النَّبي ﷺ فقال: **(يا أبا بكر لَلشِّركُ فيكم أخفى من دَبيب النَّمل، فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا مَنْ جعل مع الله إلهًا آخر؟ قال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لَلشِّركُ أخفى من دبيب النمل، ألا أدلُّك على شيءٍ إذا قلتَه ذهب عنك قليلهُ وكثيرهُ؛ قال:**

---

[١] رواه النسائي بسند صحيح

[٢] رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، وابن أبي شيبة، بسند حسن.

قل: اللهمَّ إني أعوذُ بك أن أُشْرِكَ بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرُك لِما لا أعلم)[١].

۞ وعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال:(**الشِّركُ في هذه الأمة أَخْفَى مِنْ دَبيبِ النَّملة السَّوداء على صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل)**[٢].

۞ وعن السيدة عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ:

(الشِّركُ أخفى في أمَّتي من دَبيبِ النَّملِ علَى الصَّفا في اللَّيلةِ الظَّلماءِ، وأدناهُ أن تُحبَّ علَى شيءٍ منَ الجَورِ، أو تُبْغِضَ علَى شيءٍ منَ العَدلِ؛ وَهَلِ الدِّينُ إلَّا الحبُّ في اللهِ والبُغضُ في اللهِ؟ قالَ اللهُ تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٣])[٤]، طهّر الله سرائرنا مِن كُلِّ وصف يحجُبنا عن مشاهدته، ومَنَّ علينا دائمًا أبداً بعُكوف قلوبنا في حضرته، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٦٢ - [زيادة الشَّهوة تُزْرِي بالمُروءة].

أقول: الشهوة: مايشتهيه طَبْع الإنسان ويميل إليه لوجود لذَّةٍ حِسِّيةٍ أو معنوية؛ كالطَّعام والوِقاع والجاه والمدح والثَّناء والتَّعظيم وحُبِّ الظُّهور والأَثَرة.

قال في القاموس: الشَّهوةُ: الرغبة الشديدة لما يُشْتَهَى من الملذَّات المادية، وشدّة الرغبة أو الميل إلى فِعْل الملذّات الحسِّية غالبًا، ومنه حُبٌّ شهوانيّ؛ أي:منافٍ للعِفَّةِ والطّهارة، والشَّهواتُ زُيِّنت للإنسان للابتلاء، ومن الناس من يغلِب عقلُه شهوتَه فيصبح مَلِكًا، ومنهم من تغلِبُ شَهوتُه عقلَه فيُصبح عبداً لها؛ قال الإمام الحَسَن البَصريُّ ﷺ:

---

[١] رواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو يعلى في مسنده، بسند صحيح.

[٢] رواه الحكيم الترمذي، وأحمد، وأبو يعلى بنحوه، بسند حسن.

[٣] سورة آل عمران، الآية (٣١)

[٤] رواه الحاكم، وأبو نُعيم بسند حسن.

رُبَّ مستورٍ سَبَتْهُ شـهوتُـه قـد عرِي مِن سِتره وانتهكا
صاحبُ الشـهوةِ عبدٌ فإذا مَلكَ الشهوةَ أضحى مَلِكَـا

وقد بيَّن الشيخ رحمه الله: أن زيادة الشهوة تُزري من - الإزراء وهو العَيبُ أو الهَوان - بالمروءة؛ وهي: خُلُق كريمٌ جامع للعِفَّةِ والكرامة والفُتُّوة؛ وهي: آدابٌ نَفْسانيَّة تحمِل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند مَحاسن الأَخلاق وجميل العادات، وهي: صدقٌ في اللسان، واحتمالٌ للعَثَرات، وبذلٌ للمعروف، وكفٌ للأذى، وكمالٌ في الرجولية، وصيانةٌ للنَّفْس، وطلاقةٌ للوجه، وهي من أخلاق العَرَب التي يَقِيسون بها الرِّجال، ويَزِنون بها العقول، وتَقِلُّ في رجال آخر الزمان؛ قال الشاعر:

مررتُ على المُروءة وهي تبكي فقلتُ عَلامَ تَنْتَحِب الفتاةُ
فقالت كيف لا أبكي وأهلي جميعـًا دون خَلْقِ الله ماتوا

فالشَّهوة تُضادُّ أخلاق المُروءة كُلَّها وتنقضها وتفسدها، وتَحْرِم المبتلى بها من الترقي في الكَمَالات، بل يبقى في أَسْرِ العادات، ويبتلى بكبائر الإثم الباطن بسبب ذلك، والعياذ بالله تعالى.

وقد قيل: « كم مِنْ شهوةٍ خَفِيَّة حَرَمتْ مِنْ رُتبةٍ عَلِيَّة »، وفي الحكم العطائية: « كيف تُخْرقُ لك العوائد وأنت لم تَخْرِق من نفسك العوائد ».

ودواء الشَّهوة: الصِّيام، والجوع، وكثرة الذِّكر، وخِدْمةُ الفقراء والمساكين، واجتنابُ مجالسة الأغنياء الغافلين، والصُّوفية الجاهلين، والفقهاء والقُرَّاء المداهنين، نسأل الله السَّلامة من مُوجِبات النَّدامة في الدُّنيا وفي يوم القيامة بفضله، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٦٣ - [زهدُ المرءِ فيما يَفْنى على قَدْر رَغْبتِهِ فيما يَبْقى].

أقول: الفانياتُ هي الأشياء التي لا تنتقلُ مع الإنسانِ إلى دار الآخرة أعيانًا كانت أو علومًا أو مبانيَ أو معانيَ تتجسد له بعد الموت ثوابًا بصُوَرٍ حَسَنةٍ، وبإمكان المسلم أن يجعلها من الباقيات الصالحات فتنتقلَ معه إلى دار الآخرة ويتنعمَ بها إذا ابتغى بها وجه الله وتقرَّب بها إليه، فكلماتُ القرآن، والذِّكر، والعلم النافع، والعبادات، والأخلاق، والماديات، والمعنويات؛ تُجَسَّدُ لصاحبها بعد الموت، وتكونُ معه في قبره تؤنسه، وتكون معه يوم القيامة شافعةً له عند الله تعالى، فزهد المسلم بالابتعاد عن الشَّهوات المُحَرَّمة والتحول عنها إلى الشهوات المباحة، وبجعل العاداتِ قرباتٍ بالنِّيات الصَّالحات على قَدْر رغبته في الله تعالى، وفيما عند الله تعالى، وإن لم يفعل ذلك خَسِر دنياه وما فيها، ولم يخرج منها بشيء ينفعه عند موته أو لقاء ربه؛ قال الله تعالى حكاية:

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[١]، بخلاف ما تمتَّع به الكافر من مَتاع الدُّنيا فإنه يُجَسَّد له بصُوَرٍ سيئة مُفْزِعة يُعَذِّبُه الله بها؛ لأنه لم يؤدِّ حقَّ الله فيها، ولم يبتغ بها وجه ربه.

وفي الحديث الصحيح: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ أن النبي ﷺ قَالَ: (**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ**...) إلى أن قال – في وصف حال المؤمن

[١] سورة القصص، الآية (٧٧)

في القبر -: (فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؛ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي) [١].

وفي رواية: (فيقول: أنا عملك الصالح؛ فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاك الله خيراً ثم يُفْتَح له باب من الجَنَّة، وباب من النَّار، فيقال: هذا منزلك لو عصيتَ الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة، قال: ربِّ عجِّل قيام الساعة، كيما أرجعُ إلى أهلي ومالي، فيقال له: اسكن)، وذكر صلوات الله عليه وسلامه: أن العبد الكافر أو الفاجر بعد أن يُسِيءَ الإجابة (ينادي منادٍ في السماء أنْ: كَذَب، فأَفْرِشُوا له من النَّار، وافتحوا له بابًا إلى النَّار، فيأتيه من حَرِّها وسَمومها، ويُضَيَّقُ عليه في قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه - وفي رواية: ويُمثَّل له - رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثِّياب، مُنْتِنُ الرِّيح، فيقول: أبشِر بالذي يَسوؤك، هذا يومُك الذي كنت تُوعَد، فيقول: وأنت فبشَّرك الله بالشر، من أنت؟ فوجهُك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله، فجزاك الله شراً، ثم يُقَيِّض الله له أعمى أصمَّ أبكمَ في يده مِرْزَبَّة، لو ضُرِب بها جبلٌ كان ترابًا، فيَضْرِبُه ضربةً حتى يصير بها ترابًا، ثم يعيده الله كما كان، فَيَضْرِبُه ضربةً أخرى، فيَصيحُ صيحةً يَسْمَعُه كُلُّ شيءٍ إلا الثقلين، ثم يُفْتَحُ له باب من

[١] رواه الإمام أحمد ﷺ بسند صحيح

النَّار، ويُمَهَّدُ من فَرْشِ النَّار)، فيقول: ربِّ لا تُقِم السَّاعة)[١].

و عن بُرَيْدَة بن الحُصيَب الأَسْلَمي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

(إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ. فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذِا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجَةِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذًّا كَانَ أَوْ تَرْتِيلاً)[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: **(مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ (يَعْنِي شِدْقَيْهِ) ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلا** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٣])[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما مِنْ صاحب ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لا يؤدي منها حقَّها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَتْ له صفائحُ من نار فأُحْمِيَ عليها في نار جهنم؛ فيُكوى بها جَنْبُه وجبينُه وظهرُه، كُلَّما بَرَدَتْ أُعِيدَت له في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألفَ سنة حتى يُقْضَى بين العباد؛ فيرى سبيلَه إمَّا إلى الجنَّة وإمَّا إلى النَّار، قيل: يا رسول الله: فالإبل قال: ولا صاحبُ**

---

[١] رواه أبو داود، والنَّسائي، وابن ماجه مختصراً.

[٢] رواه أحمد في «المسند»، وابن ماجه في «السنن»، وحسَّنه البوصيري في الزوائد.

[٣] سُورَة آلِ عِمْرَان، الآية (١٨٠)

[٤] رواه البخاري في الصحيح.

إبلٍ لا يُؤدِّي منها حقَّها - ومِنْ حَقِّها حَلْبُها يوم وِرْدِها - إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بِقاعٍ قَرْقَرٍ أوفرَ ما كانت، لا يفقِدُ منها فصيلاً واحداً، تطؤه بأخفافها وتَعَضُّه بأفواهها، كُلَّمَا مَرَّ عليه أُولاها رُدَّ عليه أُخْرَاها، في يومٍ كانَ مِقْدارُه خمسين ألفَ سنة حتى يُقْضَى بين العباد؛ فيَرى سبيلَه إمَّا إلى الجَنَّة وإمَّا إلى النَّار، قيل يا رسول الله: فالبقر والغنم؛ قال: ولا صاحبُ بَقَرٍ ولاغنم لا يؤدِّي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بِقاعٍ قَرْقَر لا يفقِد منها شيئًا، ليس فيها عَقْصَاءُ ولا جَلْحَاء ولا عَضْباء، تنطَحُه بقُرُونها وتطؤه بأظلافها، كُلَّما مَرَّ عليه أُولاها رُدَّ عليه أُخراها، في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألفَ سنة حتى يُقْضَى بين العباد؛ فيرى سبيلَه إمَّا إلى الجَنَّة وإمَّا إلى النَّار) [١] الحديث بطوله.

وفيه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(ما مِنْ صاحِبِ إبلٍ ولا بَقَرٍ ولا غَنَمٍ لا يُؤدِّي حقَّها إلا أُقْعِدَ لها يوم القيامة بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تطؤه ذات الظِّلْفِ بظِلْفها، وتنطَحُه ذات القَرْنِ بقَرْنِها، ليس فيها يومئذ جَمَّاءُ ولا مكسورةُ القرن)**، وفيه **(ولا مِنْ صاحبِ مالٍ لا يُؤدِّي زَكَاتَه إلا تحوَّل يوم القيامة شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَع صاحبَه حيثُما ذهب وهُو يَفِرُّ منه، ويقال: هذا مالك الذي كنت تَبْخَل به؛ فإذا رأى أنه لا بُدَّ منه، أدخل يَدَه في فيه فجعل يَقْضَمُها كما يَقْضَمُ الفَحْل)**[٢].

نسألُ الله تعالى مُوجِبَاتِ السَّعادة، والحُسْنَى وزيادة، والسَّلامة مِنْ مُوجِبات النَّدامة في الدُّنيا وفي القبر وفي يوم القيامة، آمين.



---

[١] رواه الإمام مسلم برقم (٩٨٧).

[٢] رواه الإمام مسلم برقم (٩٨٨)، والنَّسائي واللفظ له.


الوصايا الشاذلية
س

- حرف السِّين -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٦٤ - [سببُ فسادِ العَقْل: الهوى].

أقول: الهوى هو: مَيْلُ النَّفْس إلى خِلافِ مايقتضيه الشَّرع، مما تُحِبُّه النَّفْس مِنَ الشَّهواتِ الظَّاهرةِ والباطنة، ومن أحبَّ شيئًا أَتْبَعه هواه، ومالَ عن غيرِه إليه ووالاه، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[١].

قال ابن دُرَيد:

وآفة العَقْلِ الهوى فمَنْ علا ... على هواه عقلُه فقد نجا

وقال غيره:

إذا أنت لم تعصِ الهوى قادَك الهوى
إلى كل ما فيه عليك مقالُ

وقال غيره:

نونُ الهَوَان من الهَوَى مسروقةٌ ... وصريع كل هَوَىً صريعُ هَوَانِ

فجعل الشَّيخ رحمه الله اتِّباع الهوى المذمومِ سببًا في فساد العقل وفَوَات الرُّشْد، وعلامةً على مرضه، وأمَّا مخالفةُ الهوى؛ فهو: صِحَّة في العَقْل ونورٌ فيه، وعلامةٌ على الرُّشْد؛ الذي من أوصاف صاحبه: فعلُ الخيرات، وتركُ المُنْكَرات، وحُبِّ الطَّاعات والقُرُبات؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾[٢].

---

[١] سورة النازعات، الآيات (٤٠ - ٤١)

[٢] سورة الحجرات، الآية (٧)

ومن اتَّصفَ بذلك فله نَصِيب من وراثة الخُلَفاء الرَّاشدين وُرَّاثِ النَّبيِّين عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلام.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٦٥ - [سَبَبُ الشَّقاءِ حُبُّ الدُّنيا].

أقول: السَّعادة الدُّنيوية والأُخروية لها أسباب؛ مرجعُها إلى حُبِّ الله تعالى، ورسولِهِ ﷺ، وعبادِ الله الصَّالحين، و حُبِّ الجنَّة وما يُقَرِّبُ إليها من قولٍ وعملٍ ونِيَّة، والشَّقَاوة كذلك لها أسباب؛ مرجعُها إلى حُبِّ الدُّنيا، والشَّهوات المُحرَّمة فيها، والمُرَاد بحُبِّ الدُّنيا؛ جمع المال من غير طُرُق الحلال المشروعة، ومنع حقِّ الله تعالى فيه، وصرفُه في الملذات، والتَّكاثرُ والتَّفاخر فيه، وحُبُّ الدنيا هذا رأس كل خطيئة وعماد الذنوب، وليس المراد بِحُبِّ الدُّنيا العملَ المباح في أنواع التِّجارة وغيرها من المكاسب؛ وأداءَ حق الله فيها، وعدم تضييع فريضة من فرائض الله بسببها، وعدم ارتكاب محرَّم من المعاصي والمآثم، وأولئك هم الرِّجال الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾[١]، فالرَّجل هو الذي يأخذ ما قُسِمَ له من الرِّزق بإذن الله فيما شَرَع، ولا يأخذ ذلك بهوى النفس من طريق محرَّم، ولا يُضَيِّع آخرتَه من أجل دنياه، ولا دنياه من أجل آخرته، ويبتغي وجه الله ومرضاتَه في أخذه وعطائه؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[٢]، ولذلك ذمَّ النَّبي ﷺ الخبيرَ بدُنياه الجاهلَ بآخرته فقال: (**إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ، سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ،**

[١] سورة النور، الآية (٣٧)

[٢] سورة القصص، الآية (٧٧)

جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ)[١].

ومعنى الحديث؛ -كما قال أهل العلم-: الجَعْظَرِيُّ: المُتَكَبِّرُ الجافي عن الموعظة، وقيل: الفَظُّ الغليظ، والجَوَّاظ: هو الأَكول الشَّروب البَطِر الكَفور، وقيل: الجعظري: هو الذي يتنفخ بما ليس عنده، والجوَّاظ: المُخْتَال في مَشْيِه الغليظ الفظ، والسَّخَاب:- بالسين والصاد- كثيرُ الخِصَام، والسَّخَب في الأسواق: كثرة الخِصام، ورفع الصَّوت فيها، ومعنى قوله: جيفةٍ بالليل: كِناية عن كثرة نومه وخُمولِه، وعدمِ قيامه لصَلاة اللَّيل أو صلاة الفجر، ومعنى قوله: حمارٍ بالنَّهار: أنه بليدٌ في فهمه، منهمِكٌ في عمله الدُّنيوي لا يلتفت إلى سواه من الطاعة والعبادة.. فإذا جاء الليل استلقى على فراشه وبقي كالجيفة إلى الصباح، وهو مع هذا عالم بأمور دنياه ولكنه جاهل بأمر دينه؛ لا يَهْتَمُّ به ولا يَسْأل عنه.

۞ وفي دعائه ﷺ: (**اللهمَّ لا تجعلِ الدُّنيا أكبرَ هَمِّنا ولا مبلغَ عِلْمِنَا**)، اللهمَّ آمين ياربَّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٦٦ - [سببُ الفِتنة الحِقد].

أقول: الفِتنةُ تطلق على معانٍ؛ منها: الامتحانُ والاختبار بأنواع العذاب، وبالنَّار؛ وهي المُرَادة بقوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[٢]، وبقوله عز وجل: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[٣]، والمعنى: تعذيبُ الكُفَّار للمؤمنين بأنواع العذاب ليَرُدُّوهم عن دينهم أشدُّ وأكبرُ من قَتْلِهم لهم؛ قال الإمام مجاهد رحمه الله:

---

[١] رواه الإمام أحمد، وابن حبان، عن أبي هريرة رضي الله عنه

[٢] سورة البقرة، الآية (١٩١)

[٣] سورة البقرة، الآية (٢١٧)

القتلُ أخفُّ على المؤمن من الفتنة، ففتنة الكفار للمسلمين عن دينهم حتى يَهْلِكوا أعظمُ جريمةٍ تُرْتَكب على وجه الأرض، فأعظمُ الخلق جُرْمًا وأشدُّهم اجترامًا وأعظمُهم إثمًا رجل كافر فَتَنَ مسلمًا بأنواعِ التعذيب حتى يَرُدَّه عن دينه إِن استطاع أو يُهْلكَه ويقتلَه تحت العذاب، ومن معاني الفِتنة: المالُ، واختلافُ الآراء، والظُّلْمُ؛ فما يقع بين الأقارب وغيرهم من وجوه الاختلاف والتَّنازع إلى حدِّ التَّقاطع والاقتتال هو الفِتنة، وكُلُّ هذه المعاني يُبَيِّن الشَّيخ ﷺ سبب وقوعها فيقول: الحِقْدُ؛ أي: النَّاشئ عن الحسد والكِبْر، والحِقْدُ: ما يمتلأ به القلب والنَّفْسُ من حُبِّ الانتقام بعد حين، وإضمارُ نِيَّة السُّوء لإنسان، والتربُّصُ به لإيقاع الشَّرِّ والمَكْر والكَيْد به، وهو من أخطر أمراض النفس التي تنعكس على المجتمع بارتكاب أخطر الجرائم؛ وهي قتل النَّفْس البشرية تشفيًا لاختلافٍ في دين أو مذهب، أو تنازعٍ على مال أو منصب، قال الإمام جَعْفرُ الصَّادق رضي الله عنه وعن آبائه وذريته: «الحِقْد لا يسكنُ قلبَ المؤمن»، لأن الحَقود من أهلِ النَّار.

۞ وقال الشاعر في حال العرب:

هُزِمْنَا.. وما زلنا شَـــتَاتَ قبائلٍ تَعيشُ على الحِقْدِ الدَّفينِ وتثأر

۞ وقال أحمد شوقي: « ارْحَم نَفسَك من الحِقْدِ فإنّــه عَطَب، نارٌ وأنتَ الحَطَب»، وقال غيره:

طهِّر فؤادَك من حِقْدٍ ومن دَغَلٍ فشـــرُّ داءٍ يَضُرُّ القلبَ داؤُهما

۞ وقال عنترة:

لا يَحْمِلُ الحِقْدَ من تعلو به الرُّتَبُ ولا يَنالُ العُلَى مَنْ طبعُهُ الغَضَـبُ

۞ فتطهيرُ النَّفْس وتزكيَتُها من الأمراض؛ وخصوصًا الحِقْد، والتَّخْلق بالعفوِ والتَّسامح؛ من الواجباتِ الشَّرعية التي ينال بها العبد مرضاةَ الله تعالى

والقرب منه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[١].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٦٧ - [سببُ الفُرْقة الاختلاف].

أقول: الاختلاف في الوسائل أو المقاصد أو الفهوم أو الأهداف أو الأهواء؛ يؤدِّي إلى تَفْرِقة الكَلِمة وتناكُرِ القلوب، وإلى العداوة والبغضاء؛ وذلك مُؤْذِن برفع التَّأييد الإلهي للجماعة أو للأمة، وقد بيَّن الله تعالى أنَّ الأمم السَّابقة اختلفوا وتفرَّقوا من بعد ما جاءهم العِلْم بغيًا بينهم، فالعلم الذي هو سبب الاجتماع والتآلف جعلوه بأهوائهم وآرائهم سببَ الاختلاف والتَّفْرِقة، وقد حذَّر الله أُمَّة الإسلام أن يكونوا مثل هؤلاء؛ ولكن لم يلتزموا بتحذير الله لهم، فاختلفوا وتفرَّقوا طوائفَ وشِيَعًا، وهؤلاء الذين كانوا سببَ التَّفْرِقة والاختلاف يجبُ التَّبرؤ منهم وعدمُ مظاهرتهم أو التَّشَبُّهِ بهم؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[٣]، فكلُّ مَن دعا إلى تَفْرِقة، وخَرَجَ عن الجماعة يجب هَجْرُه في الله تعالى حتى يتوبَ إلى الله تعالى من بدعته، ويرجعَ عن هواه المُتَّبع، وإعجابِهِ برأيه؛ إلى ما عليه العلماءُ الرَّبَّانِيُّون فيما أجمعوا عليه.

---

[١] سورة فصلت، الآيات (٣٤ - ٣٥)

[٢] سورة الأنعام، الآية (١٥٩)

[٣] سورة الروم، الآيات (٣١ - ٣٢)

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٦٨ - [**سببُ السَّلامة الصَّمْت**].

أقول: لايَشُكُّ عاقل أنَّ الصمت عن الشُّرور والقبائح والآثام، وعند الغضب، ورفعَ اللِّسان عن ذكر مساوئ الخلق وعيوبِهم؛ هو أصل كل خير دِينيٍّ ودُنْيويٍّ وأُخْرَوِيٍّ، وأنَّه علامة الإيمان الكامل؛ ففي حديث الصحيحين: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (**من كان يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر، فَلْيَقُلْ خيراً أو لِيَصْمُت**)[١].

قال الإمام النَّووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: معناه: أنَّه إذا أراد أن يتكلَّم؛ فإن كان ما يَتكَلَّم به خيراً مُحَقَّقًا يُثَاب عليه؛ واجبًا أو مندوبًا فليتكلم، وإنْ لم يَظْهَرْ له أنَّه خيرٌ يُثَابُ عليه؛ فليُمْسِك عن الكَلَام؛ سواءٌ ظهر له أنه حرامٌ أو مكروهٌ أو مُبَاحٌ مستوي الطرفين، فعلى هذا يكون الكلام المُبَاح مأموراً بتركه، مندوبًا إلى الإمساك عنه؛ مخافةً من انجراره إلى المُحَرَّم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيراً أو غالبًا، وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في معنى الحديث: إذا أراد أن يتكلَّم فلْيُفَكِّر؛ فإنْ ظهرَ له أنَّه لا ضررَ عليه تكلَّم، وإن ظهر له فيه ضرر، أو شكَّ فيه؛ أمسك.

وروينا عن الأُستاذ أبي القاسم القُشَيري رحمه الله قال: الصَّمْت سلامة وهو الأصل، والسُّكوت في وقته صفة الرِّجال، كما أن النُّطق في موضعه من أشرف الخِصال، وقال: فأمَّا إيثار أصحاب المجاهدة السُّكوتَ فَلِمَا علموا ما في الكلام من الآفات، ثم ما فيه من حَظِّ النَّفْس، وإظهارِ صفاتِ المَدْح، والمَيْل إلى أن يتميَّزَ من بين أشكاله بحسن النُّطق، وغير هذا من الآفات، وذلك نعتُ أرباب الرِّياضة، وهو أحدُ أركانهم في حكم المُنَازلة وتهذيبِ الخُلُق.

---

[١] حديث صحيح، رواه الشَّيخان.

۞ وروينا عن الفضيل بن عياض ﷺ قال: « مَنْ عَدَّ كلامه مِنْ عمله قلَّ كلامُه فيما لا يَعْنِيه»، وعن ذي النون ﷺ: « أَصْوَنُ الناس لنفسه أمسكُهُم لِلِسانه»، والله أعلم.

أقول: ورُوِيَ: « الصَّمْتُ حِكْمة وقليلٌ فاعلُه» وأنَّ مَنْ أُوتيَه فإنَّه يُلَقَّنُ الحِكْمة، والمراد به صَمْت التَّفكر والتَّذكر، وليس السُّكوت عن الحقِّ، وليس عن عِيٍّ.

۞ ومن أقوال الحكماء فيه:

« الصمت أخفى للنَّقِيصة، وأنفى للغَمِيصة، إذا فاتَكَ الأدبُ فالزم الصمت، إنَّ في الصَّمْت لحُكْمًا، النَّدم على السُّكوت خير من النَّدم على القول، الزم الصَّمْتَ إذا لم تُسْأَل، الصَّمْتُ يُكْسِبُ المَحبَّة، الصَّمْت زَيْنُ العاقل، وسِتْر الجاهل، الصَّمْت في غير فِكرةٍ سهو، والقولُ في غيرِ حِكْمةٍ لغو، الكلام كالدَّواء إن أقللتَ مِنهُ نَفَع، وإن أكثرتَ منه قَتَل »، وقال لُقْمَان ﷺ لابنه: « يا بُنَيَّ إذا افتخرَ النَّاس بحُسْنِ كلامهم، فافتخر أنت بِحُسْنِ صَمْتِك، بِقَدْرِ ما يصمُتُ اللِّسَانُ يَعْمُر الجَنَان، وبقَدْر ما يَتكَلَّمُ اللِّسَانُ يَخْرُب الجَنان، إذا كثُر العِلْم قلَّ الكلام، وإذا قلَّ العِلْم كثُر الكلام، من عَرَف الله كَلَّ لسانُه »، وقيل لبعض العلماء: «هل العِلْم فيما سَلَفَ أكثر، أو اليومَ أكثر؟ قال: العِلْم فيما سلَفَ أكثر، والكلامُ اليومَ أكثر». نسأل الله السَّلامة والعافية من آفاتِ اللِّسان وشرورِه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٦٩ - [شرُّ إخوانِك المُواصِل عند الرَّخَاء، والمُنْقَطِعُ عند البَلاء].

أقول: يُبيِّنُ الشَّيخ ﷺ أنَّ الإخوان والأصحاب؛ منهم الأخيار؛ وهم الذين

يَسْعَون لك بكل ما ينفعك في دنياك وآخرتك، ومنهم الأشرار؛ وهم الذين لا نفعَ منهم إليك، و إنما يَصحبونك لينتفعوا منك إذا كنت في حال نعمة ورَخاء، ويبتعدون عنك إذا نزلت بك شِدَّة وبلاء، فهم يصحبونك ما دامت الصُّحْبة لهم مغنمًا، ويفارقونك إذا أصبحت مَغْرَمًا، فهم أصحاب المنفعة والمصلحة، ينتفعون ولا ينفعون، ويستأثرون ولا يُؤثِرون، وينتصفون ولا يُنصفون، وقد جاء عن سيدنا علي رضي الله عنه في بيان خير الإخوان: خير الإخوان من كانت في الله مودّتُه، خير الإخوان من لم تكن على الدنيا أخوّتُه، خير إخوانك من واساك، وخيرٌ منه من كفاك، وإذا احتاج إليك أعفاك، خير إخوانك من واساك بخيره، وخير منه من أغناك عن غيره.

۞ وقال الحكماء: الْإِخْوَانُ زِينَةٌ فِي الرَّخَاءِ، وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ، الصَّدِيقُ إِنْسَانٌ هُوَ أَنْتَ؛ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُكَ، الْأَصْدِقَاءُ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ فِي جُسُومٍ مُتَفَرِّقَةٍ، اصْحَبْ أَخَا الْتُّقَى وَالدِّينِ تَسْلَمْ، وَاسْتَرْشِدْهُ تَغْنَمْ، اخْتَرْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ جَدِيدَهُ، وَمِنَ الْإِخْوَانِ أَقْدَمَهُمْ، أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُؤنَسَ بِهِ الْوَدُودُ الأَلوف الْمَأْلُوفُ، أَفْضَلُ النَّاسِ سَالِفَةً عِنْدَكَ؛ مَنْ أَسْلَفَكَ حُسْنَ التَّأْمِيلِ لَكَ، أَصْدَقُ الْإِخْوَانِ مَوَدَّةً أَفْضَلُهُمْ لِإِخْوَانِهِ فِي السَّرَّاءِ، وَمُوَاسَاةً فِي الضراء، إِنَّ مُوَاسَاةَ الرِّفَاقِ؛ مِنْ كَرَمِ الْأَعْرَاقِ، نِظَامُ الْكَرَمِ مُوَالاةُ الْإِحْسَانِ، وَمُوَاسَاةُ الْإِخْوَانِ، نِظَامُ الدِّينِ خَصْلَتَانِ: إِنْصَافُكَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمُوَاسَاةُ إِخْوَانِكَ، مَا حُفِظَتِ الْأُخُوَّةُ بِمِثْلِ الْمُوَاسَاةِ، إِنَّمَا يُحِبُّكَ مَنْ لَا يَتَمَلَّقُكَ، وَيُثْنِي عَلَيْكَ مَنْ لَا يُسْمِعُكَ، تَمَسَّكْ بِكُلِّ صَدِيقٍ أَفَادَتْكَهُ الشِّدَّةُ، خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ لَا يُحْوِجُ إِخْوَانَهُ إِلَى سِوَاهُ، خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى إِخْوَانِهِ مُسْتَقْصِيًا، خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا فَقَدْتَهُ تُحِبَّ اللحاق به، خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرِ وَجَذَبَكَ إِلَيْهِ، وَأَمَرَكَ بِالْبِرِّ وَأَعَانَكَ عَلَيْهِ، خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ دَعَاكَ إِلَى صِدْقٍ

الْمَقَالِ بِصِدْقِ مَقَالِهِ، وَنَدَبَكَ إِلَى أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ بِحُسْنِ أَعْمَالِهِ، خَيْرُ الْإِخْوَانِ أَعْوَنُهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَأَعْمَلُهُمْ بِالْبِرِّ، وَأَرْفَقُهُمْ بِالْمُصَاحِبِ، عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرَّخَاءِ، وَعَوْنٌ فِي الْبَلَاءِ، مَنْ كَذَّبَ سُوءَ الظَّنِّ بِأَخِيهِ كَانَ ذَا عَقْدٍ صَحِيحٍ، وَقَلْبٍ مُسْتَرِيحٍ، مَنْ أَحْسَنَ مُصَاحَبَةَ الْإِخْوَانِ اسْتَدَامَ مِنْهُمُ الْوُصْلَةَ، مَنْ خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ احْتُمِلَتْ دَالَّتُهُ، وُدُّ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ يَدُومُ؛ لِدَوَامِ سَبَبِهِ، لَا تَطْلُبَنَّ الْإِخَاءَ عِنْدَ أَهْلِ الْجَفَاءِ، وَاطْلُبْهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحِفَاظِ وَالْوَفَاءِ.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

جَزَى اللهُ الشَّـــدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ ... وَإِنْ كانت تُغصّصُـــنِي بِرِيقِي

وَمَا شُـــكْرِي لهَا حمْداً وَلَكِن ... عرفتُ بها عدوّي من صديقي

وقال رحمه الله تعالى:

٧٠ - [شَرُّ الخلائقِ المُتكَبِرُون].

أقول: الكِبْر من أَخْطر الأمراض النَّفْسية التي يُبتلى بها الإنسان والتي يصير بسببها أَشرَّ الخلقِ والخَلِيقة، والعياذ بالله تعالى.

والكِبْر عرَّفه رسول الله ﷺ وحذَّر منه بقوله فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (**لا يدخل الجَنَّة من كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كِبْر! فقال رجل: إنَّ الرَّجل يُحِبُّ أن يكون ثوبه حسنـًا، ونعله حسنة؟ قال: إنَّ اللَه جميل يحبُّ الجمال، الكِبْر: بَطَر الحقِّ وغَمْطُ النَّاس**) [١].

ومعنى قوله: (**بَطَر الحق**) أي: دفعهُ وردَّهُ أَنَفَة، بخلاف من رَدَّ الحقَّ؛ لأنه لا يعلمُ أَنَّهُ الحقُ أو ردَّهُ لشُبْهةٍ أو نحو ذلك فهذا ليس من الكِبْر، إنما الكِبْر من ردَّ الحقَّ تعاظمـًا وأَنَفَةً وترفعـًا، فالمتكبِّرُ يردُّ الحقَّ مطلقـًا؛ أي: سواءٌ كان هذا الحق

[١] رواه مسلم

مما يتعلَّق بأمر الله، وأمر رسوله ﷺ، أو كان مما يتَّصِلُ بالحقوق الواجبة عليه، أو حقوق الناس، المُتَكَبِّرُ هو الذي لا يقبلُ الحق أيّـًا كان هذا الحقُ، ولا ينقاد إليه لما في نفسه من التعالي والتعاظم، فهذا معنى (**بَطَر الحق**).

وأمَّا (**غَمْطُ أو غَمْصُ النَّاس**) فالمراد به: هو احتقارهم وازدراؤهم، يعني: ليس للنَّاسِ عنده قَدْر وإذا ذُكِروا أمامه يقول إنهم هلكى، وجَهَلَة، وسُذَّج، وأنهم لا يَفْهمون، ويرى نفسه أنه يستحِقُّ التعظيم والتقديم دُونهم، وأنهم ليسوا في مرتبته ومنزلته فلا يراهم أهلا لمجالسته أو محادثته.

۞ ومعنى كونه: (**لايدخل الجنَّة**)؛ أي: مع أول من يدخلها، بل يؤخَّر عن دخولها إذا مات على التوحيد، أو أنه يُمَحَّص ويُطَهَّر بالنار ثم يخرج منها ويدخلها إن لم يعفُ الله عنه ويغفرْ له، نسأل الله السَّلامة من موجبات الندامة في الدنيا، وفي القبر، وفي يوم القيامة، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٧١ - [**شرُّ الشِّيَم الكَذِبُ**].

أقول: الكَذِبُ: هو الإخبارُ بما لم يقع، أو الإخبار بغير الواقع، والكَذِبُ مذمومٌ شرعـًا وعُرْفـًا إلا فيما رُخِّص فيه لضرورةٍ أو حاجةٍ لا يُمْكِنُ تحقيقُها بالمَعاريض؛ وفي الحديث عن أم كُلْثُوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ليسَ الكذَّابُ الذي يُصْلِحُ بين النَّاس فَيَنْمِي خيراً أو يقول خيراً**)، وفي رواية: (**ولم أسمعْه يُرَخِّصُ في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: تعني: الحربَ، والإصلاحَ بين الناس، وحديثَ الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها**)[١] والمراد بالحديث بين الزوجين هو عن الحب الذي يساعد

[١] رواه البخاري ومسلم

على دوام العِشْرة، والكذب قسمان:

١ - كذِبٌ على الله تعالى:

قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[١]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾[٢].

۞ ومنه الكذب على رسول الله ﷺ: بأن يقولَ عنه ما لم يَقُل؛ فعن المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنَّ كَذِبًا عَلَيَّ ليس كَكَذِبٍ على أحد، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النَّار**)[٣].

۞ ومنه الكذب على عينيه؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**مِنْ أفرَى الفِرَى أن يُرِيَ الرَّجُل عَينيه ما لم تَرَيا**)[٤]، وفي رواية: (**إنَّ مِن أعْظَمِ الفِرَى أنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إلى غيرِ أبِيهِ، أوْ يُرِيَ عَيْنَهُ ما لَمْ تَرَ، أوْ يقولَ علَى رَسولِ اللهِ ﷺ ما لَمْ يَقُلْ**).

۞ ومنه الكذب على الغَيْبِ الماضي أو المستقبل بالظَّنِّ، ويدخل فيه الكِهَانة[٥] والعِرَافة والتنجيم.

٢ - كذب على الناس بأن يَنْسُبَ إليهم ما لم يَقُولُوه أو يفعلوه، أو أن يُحَدِّثهم

---

[١] سورة الزمر، الآية (٦٠)

[٢] سورة الأنعام، الآية (٩٣)

[٣] رواه البخاري

[٤] رواه البخاري، وأحمد

[٥] الكِهَانة: بالفتح والكسر: تعاطي الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان، وادعاء معرفة الأسرار، ومثلها العِرافة والتنجيم.

بما لم يكن، أو بما كان على غير وجهه، وهو من أكبر الكبائر المُوجبة لغضب الله ولعنته ودخول النار ففي الحديث: عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)**[١].

۞ والكذب سبب لابتعاد ملائكة الرحمة والحَفَظَة، وحرمانِ بركتهم: فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنَّه قال: **(إذا كذب العبدُ، تباعَدَ عنه المَلَك مِيلاً مِنْ نَتْنِ ما جاء به)**[٢].

۞ ويحرمُ الكذب ولو كان مَزْحًا، وضَمِن النبي ﷺ لِمن تركه ببيت في وسَط الجنة؛ ففي الحديث: عن أَبي أُمَامَة الباهِليِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **(أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإِن كَانَ مازِحًا، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقهُ)**[٣].

۞ وقد عُرف النبي ﷺ بين قومه بالصَّادق الأمين فلم يُجَرِّبُوا عليه كذبًا قط؛ وبذلك استدلَّ هِرَقْل على صِدْق رسول الله ﷺ في نُبُوَّته ورسالته، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن كان معه من مشركي قريش: « وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ».

أقول: وهكذا أتباعُ الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام يُعرَفون بالصِّدْق والأمانة؛ فَكُلُّ مَنْ عُرِف بالصِّدق والأمانة من المؤمنين فهو من الوُرَّاث الصَّادقين؛

---

[١] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

[٢] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن جيد غريب.

[٣] رواه أَبُو داود بِإسنادٍ صحيحٍ.

فليستبشر بلقاءهم وأنه معهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾[١]، جعلنا الله وإيَّاكم معهم ومنهم بفضله وكرمه، آمين. وسلامٌ على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٧٢ - [شَرُّ النَّوال؛ ما تقدَّمه المَطْل، وأعقبه المَنّ].

أقول: النَّوال هو: العَطاء هِبةً وتبرُّعًا، وقد يَعِدُ به إنسانٌ آخرَ في وقت، ثم يَمْطُلُه ويُؤجِّلُه ويُخْلِفُ معه؛ حتى يَمَلَّ المجيءَ إليه فيتركه، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ من علامات المُنَافق (**إذا وَعَدَ أَخْلَف**)[٢]، ومن أقوال السلف: «وَعْدُ الحُرِّ دَين عَلَيه».

فالمَطْل بالوَعْد يجعل النَّوال شرًّا لِمَا يترتب عليه من إيذاء نفسِ غيرِهِ وإذلالها، ومن حَقِّ المسلم على أخيه ألَّا يُذِلَّه، وألَّا يُوقِفَه مَوْقِفَ ذُلٍّ وإحراج، وألَّا يُرِيقَ له ماءَ وجهه بكَثْرة التَّردُد، ودوام السؤال، والوقوف ببابه، والأشدُّ منه مَطْل الدَّين بعد حلول الأجل وهو ظُلْم، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ**)[٣]، قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم: وَمَعْنَاهُ: وَإِذَا أُحِيلَ بِالدَّيْنِ الَّذِي لَهُ عَلَى مُوسِرٍ، فَلْيَحْتَلْ.

أقول: ومعنى (**المَطْلُ**): التأخير؛ أي: تأخير الغَنيِّ الواجد للمال قضاءَ

---

[١] سورة النساء، الآية (٦٩)

[٢] متفق عليه

[٣] رواه البخاري، ومسلم

ما عليه من الدَّين، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري»: وَأَصْلُ المَطْل الْمَدّ؛ قَالَ ابن فَارِسٍ: مَطَلْتُ الْحَدِيدَةَ أَمْطُلُهَا مَطْلاً إِذَا مَدَدْتَهَا لِتَطُولَ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْمَطْلُ الْمُدَافَعَةُ، وَالْمُرَادُ هُنَا: تَأْخِيرُ مَا اسْتُحِقَّ أَدَاؤُهُ بِغَيْرِ عُذْرٍ، وعَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وعُقُوبَتَهُ**)[١].

قوله: (**لَيُّ الواجِد**) بفتح اللام وتشديد التحتية، والواجِد بالجيم أي: مَطْلُ القادر على قَضَاءِ دَيْنه (**يُحِلُّ**) بضم أوله وكسر ثانيه (**عِرضَه وعقوبَته**) بالنَّصْب فيهما على المفعولية، والمعنى: إذا مطل الغني عن قضاء دينه يُحِلُّ للدائن أن يُغْلِظَ القول عليه، ويُشدِّد في هَتْك عِرْضه وحُرْمته، وكذا للقاضي التغليظُ عليه وحبسُه تأديبًا له لأنه ظالم، والظلم حرام وإن قلَّ، والله تعالى أعلم.

۞ أقول: ومثلُه في الشَّرِّ والأذى: المَنُّ بالنَّوال بعد إعطائه؛ وقد نبَّه الله تعالى عباده المؤمنين إلى أنَّ هذا المَنَّ مبطل لأجر الصَّدَقة فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[٢].

وجعل الكلمة الطَّيبة والمغفرةَ للإساءة خيراً من صدقةٍ يَتْبَعُها أذى؛ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾[٣]. فليحذرِ المسلم الذي يُجري الله العطاءَ على يده من هاتين الصفتين السَّيئتين؛ - المَطلِ والمَنِّ - فإنَّهما من الأذى والشَّرِّ المنهيِّ عنهما، أعاذنا الله والمسلمين منهما ومن كل شرٍّ، آمين.

---

[١] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، والنَّسَائِيُّ، وعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ، وصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.

[٢] سورة البقرة، الآية (٢٦٤)

[٣] سورة البقرة، الآية (٢٦٣)

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٧٣ - [شَرُّ النَّاس مَنْ لا يُرجى خيرُه، ولا يُؤمَن شرُّه].

أقول: هذا **واحد** من أقسام أربعة عليها طبائع وأخلاق الناس مِنْ خاصَّة وعامَّة ؛ **الثاني**: من يُرْجَى خيرُه، ويُؤْمَنُ شَرُّه، **الثالث**: من لا يُرْجَى خيرُه، ويُؤْمَنُ شَرُّه، **الرابع**: من يُرْجَى خيرُه، ولا يُؤْمَنُ شَرُّه.

وجاء مثل هذه الأقسام في الإيمان والكُفْر، والغضب والرِّضا، والقضاء والطَّلب؛ ففي الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا صَلاَةَ العَصْرِ بِنَهَارٍ، ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا، فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ أَخْبَرَنَا بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ: (**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**)، وَكَانَ فِيمَا قَالَ: (**أَلا لا يَمْنَعَنَّ رَجُلاً هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ**)، قَالَ: فَبَكَى أَبُو سَعِيدٍ، وَقَالَ: قَدْ وَاللهِ رَأَيْنَا أَشْيَاءَ فَهِبْنَا، فَكَانَ فِيمَا قَالَ: (**أَلا إِنَّهُ يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ، وَلا غَدْرَةَ أَعْظَمُ مِنْ غَدْرَةِ إِمَامِ عَامَّةٍ، يُرْكَزُ لِوَاؤُهُ عِنْدَ اسْتِهِ**)، فَكَانَ فِيمَا حَفِظْنَا يَوْمَئِذٍ: (**أَلاَ إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى: فَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِراً وَيَحْيَا كَافِراً وَيَمُوتُ كَافِراً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ كَافِراً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِراً وَيَحْيَا كَافِراً وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، أَلاَ وَإِنَّ مِنْهُمُ البَطِيءَ الغَضَبِ سَرِيعَ الفَيْءِ، وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الغَضَبِ سَرِيعُ الفَيْءِ، فَتِلْكَ بِتِلْكَ، أَلاَ وَإِنَّ مِنْهُمْ سَرِيعَ الغَضَبِ بَطِيءَ الفَيْءِ، أَلاَ وَخَيْرُهُمْ بَطِيءُ الغَضَبِ سَرِيعُ الفَيْءِ، أَلاَ وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الغَضَبِ بَطِيءُ الفَيْءِ، أَلاَ وَإِنَّ مِنْهُمْ حَسَنَ القَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ، وَمِنْهُمْ سَيِّئُ القَضَاءِ حَسَنُ الطَّلَبِ، وَمِنْهُمْ حَسَنُ القَضَاءِ سَيِّئُ الطَّلَبِ، فَتِلْكَ بِتِلْكَ،**

أَلاَ وَإِنَّ مِنْهُمُ السَّيِّئَ القَضَاءِ السَّيِّئَ الطَّلَبِ، أَلاَ وَخَيْرُهُمُ الحَسَنُ القَضَاءِ الحَسَنُ الطَّلَبِ، أَلاَ وَشَرُّهُمْ سَيِّئُ القَضَاءِ سَيِّئُ الطَّلَبِ، أَلاَ وَإِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصَقْ بِالأَرْضِ)، قَالَ: وَجَعَلْنَا نَلْتَفِتُ إِلَى الشَّمْسِ؛ هَلْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(أَلاَ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلاَّ كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ)**[١].

والإنسان في نَفْسه ومع أرحامه وجيرانه وإخوانه ومعارفه يشهد بصدق ذلك وأحَقِيَّته؛ ولمَّا ذكرت السَّيدة عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ حديث أُمِّ زَرْع؛ وما كان عليه زوجها معها من جُودٍ وكَرَم وخُلُق، وهو في الصحيحين: قال لها رسول الله ﷺ: **(يا عائِشَةُ، كُنتُ لك كأبي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ)**، أي: كانتْ سِيرتي معكِ في الإكْرام والحُبِّ كما كانتْ سِيرةُ أبي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ، **(إلَّا أنَّ أبا زَرْعٍ طَلَّقَ)**، أي: طلَّقَ زَوجَتَه أُمَّ زَرْعٍ، **(وأنا لا أُطلِّقُ)**، أي: لاأُطلِّقُكِ يا عائِشَةُ، وهذا تَطييبٌ لنَفْسِها، وإيضاحٌ لحُسْنِ عِشْرَتِه إيَّاها، وفي رواية:

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: « يَا رَسُولَ اللهِ بَلْ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي زَرْعٍ»[٢]، وَكَأَنَّهُ ﷺ قَالَ ذَلِكَ تَطْيِيبًا لَهَا، وَطُمَأْنِينَةً لِقَلْبِهَا، وَدَفْعًا لِإِيهَامِ عُمُومِ التَّشْبِيهِ بِجُمْلَةِ أَحْوَالِ أَبِي زَرْعٍ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَذُمُّهُ النِّسَاءُ سِوَى ذَلِكَ، وَأَجَابَتْ هِيَ عَنْ ذَلِكَ جَوَابَ مِثْلِهَا فِي فَضْلِهَا وَعِلْمِهَا[٣]، أقول: دعا النبي ﷺ أن يكونَ كأبي زَرْعٍ مع أنه ﷺ أكملُ الخَلْق خُلُقا، فالكامل يَقْبَل مزيد الكمال، ويُحِبُّ سَمَاع سِيَر أهل الكمال، ففي ذلك بيان ذكرُ سِيَر أهل الجُود والكَرَم، ومحبَّةِ أن يكون مثلهم، وأن يتشبَّه

---

[١] رواه الترمذي في السنن، وقال: هذا حديث حسن.

[٢] رواه النسائي، والطبراني

[٣] فتح الباري

الإنسان بهم، وأن يكون ممن يُرْجَى خيرُه ويُؤْمَنُ شَرُّه، وهذا هو المؤمن الكامل الذي يَصْلح للدِّين، ويصلُح الدِّين له، وهؤلاء يَصْلُح بهم الدِّين؛ وفي الحديث عن جابر ﷺ مرفوعًا: قال لي جبريلُ عليهِ السَّلامُ: قال اللهُ عزَّ وجلَّ: (**إنَّ هذا الدِّينَ ارتضيتُه لنفسي، ولا يُصلِحُهُ إلَّا السَّخاءُ وحسنُ الخُلُقِ، فأكرموهُ بِهما ما صحبتُموهُ**)[١].

خَلَّقنا الله بأخلاق أنبيائه عليهم الصَّلاة والسَّلام، والكاملين من عباده، وجعلنا معهم ومنهم، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٧٤ - [شَرُّ إخوانك مَنْ أغرَّك بالعاجِلة عن الآجلة].

أقول: إخوانُك منهم الصَّالح الخَيِّر وفي صحبته خير لك، ومنهم الطَّالح الشِّرير وصحبته شرٌّ لك، وقد جعلَ الشَّيخ ﷺ ورضي عنه علامة الشِّرير أنه يشغلك بالدُّنيا عن الآخرة، وبالمعصية عن الطَّاعة، وبالغفلة عن اليقظة والتنبه والذِّكر، فالعاجلةُ هي الدنيا دار الغرور بما فيها من شهوات، والآجلةُ هي دار الآخرة دار السَّعادة والحُبور؛ وطريقها الطاعات والقربات.

قال الإمام البوصيري ﷺ:

ومن يبع آجلا منه بعاجله ... يبنْ له الغَبن في بيعٍ وفي سَلَم

وقال العلَّامة ابن المُقري ﷺ:

أفانٍ بباقٍ تشتريه سفاهةً ... وسُخْطًا برِضوانٍ وناراً بجَنَّةِ

أَتَرْضَى من العيش الهَنيء تعيشُه ... مع الملأ الأعلى بعيش البهيمة

فالرَّجلُ العاقل هو الذي لا يُضَيِّع ولا يَبيع آخرته من أجل دنياه، أو من أجل دنيا غيره؛ بل يعطي كلَّ دارٍ حقها، ويسعى لها سعيها وهو مؤمن، وإذا تعارض أمر

---

[١] رواه البيهقي وغيره، وهو ضعيف منجبر لتعدد طرقه.

الدُّنيا مع أمر الآخرة كأداء فريضة في وقتها قدَّم الآخرة على الدنيا، فذلك الربح الأكبر يربحهما معًا، وإن قدَّم أمر الدنيا على الآخرة خسرهما معًا، وذلك هو الخسران الأكبر، فخير إخوانك؛ من يُعينك إذا ذكرت، ويُذكِّرك إذا نسيت، وجاء من أوصافه في الحديث: عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ جُلَسَائِكُمْ ؟ مَنْ ذَكَّرَكُمُ اللهَ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَكُمْ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ)**[١].

أقول: ومفهومه أن شرَّ الجلساء – والعياذ بالله – من ذكَّركم الدنيا والمعاصي رؤيتُه، وزادكم في الرَّغبة بالدُّنيا منطقه، وذكَّركم بالمفاخرة والمكاثرة فيها عمله، فليتحقق المؤمن أنه لا عيشَ إلا عيش الآخرة، ولا خيرَ إلا في صحبة أبناء الآخرة؛ من العلماء العاملين، وعباد الله الصالحين، جعلنا الله وإياكم معهم ومنهم بفضله وكرمه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٧٥ – [شرُّ الأصحاب سريعُ الانقلاب].

يُبين الشَّيخ رضي الله عنه أن شرَّ أصحاب الإنسان سريع التَّغير والتَّبدل؛ من المَودَّة إلى العداوة، ومن الصِّلة إلى القطيعة، ومن الإحسان إلى الإساءة؛ وذلك دليل على عدم صدقه في الصُحبة، وعدم إخلاصه لصاحبه، وقد فرَّق العارفون بين مَنْ يَصْحبك لله، وبين مَنْ يَصْحبك لصفةٍ أو فعل أو غاية؛ فَمَنْ صَحبك لله فهو دائم الصُّحْبة لك مهما تلونت بك المقادير؛ فإن رآك على خيرٍ أعانك عليه، وإن رآك على شرٍّ حال بينك وبينه، ونصحك وسترك، ولم يهْجرك ولم يقْطعك ما دام يرجو فَيئتك وعودتك، وهؤلاء الذين هم على أخلاق الله تعالى في تعاملهم مع عباده؛ قال العارف بالله الشيخ ابن عطاء الله السكندري رحمه الله

[١] رواه البيهقي، والبزار، والحكيم.

ورضي عنه: « ما صَحِبكَ إلا مَنْ صَحِبكَ وهُو بعيبك عليم؛ وليس ذاك إلا مولاك الكريم، خَيرُ مَنْ تَصحبُ من يصحبُكَ لك، لا لشيءٍ يعود منك إليه».

وأولى من ينتظر فَيئته العالِم؛ قال الإمام السُّهْرَوردي ﷺ في أول كتاب عوارف المعارف: « والعالِم وإنْ لم يعملْ بعمله تُرجى له التَّوبة؛ فإن العِلْم في الإسلام لا يُضَيِّع أهله، ويُرْجَى عودُ العالِم ببركته »، وروي أن رسول الله ﷺ قال: (**اتَّقُوا زلَّةَ العالِم، وانتظروا فَيئته**)[١]، وقال الإمام سعيد بن المسيَّب ﷺ: «إنه ما من عالِم ولا شريف إلا وفيه عيب؛ لكن من النَّاس من لا تُذْكَر عيوبهم، مَنْ كانَ فضلُه أكثرَ من نقصه وُهِبَ نقصُه لفضله ».

قال الشاعر ابن نُباتَة ﷺ:

دَع من شفيعٍ صحبةً ما أذنبت ... واهنأ بمحبوبِ الجمال بديع

وإذا الحبيبُ أتى بذنبٍ واحدٍ ... جاءت محاسنه بألفِ شفيع

۞ ومن الأصحاب من يصحبُك لصلاحٍ رآك عليه؛ فينقطع عنك إذا تغيَّرتَ عن ذلك الوصف، ومنهم من يصحبُك لمنفعة ومصلحة وغاية، ومنهم من يصحبُك لتأتمنه ولتطلعه على أسرارك ثم يفضحَك بنشرها وهو أشرُّهم؛ وفي هؤلاء قال الشاعر ابن الرُّومي:

عدوّك من صديقك مستفادٌ ... فأقلل ما استطعتَ من الصِّحاب

فإن الداء أكثرُ ما تراه ... يكون من الطّعامِ أو الشَّراب

وإنّك قلّما استكثرت إلاّ ... وقعت على ذئابٍ في ثياب

فدع عنك الكثير فكم كثيرٍ ... يُعَابُ وكم قليلٍ مستطاب

وما اللُّجَج المِلاح بمُرْوِيَاتٍ ... وتلقى الرِّيَّ في النُّطَف العِذاب

---

[١] رواه الحافظ البيهقي في السنن.

إذا انقلبَ الصَّـديق غَدا عــدوّا مُبينــًا والأمــورُ إلى انقــلاب

وقال منصور الفقيه:

احــذر عـدوّك مــرةً واحذر صديقَك ألفَ مرّة

فلرُبَّما انقلب الصَّديق فكــان أعلــمَ بالمضَــرَّة

۞ وكل هؤلاء لا خيرَ في صحبتهم إلا من كانت صحبتُه لله تعالى فما كان لله فهو المُتَّصل، وما كان لغير الله فهو المنفصل؛ فكن منَ الجميع على حَذَر إلا من عالِمٍ عارفٍ فإنه يتَّقي الله فيك في غَيبتك وفي حضورك، قال الشاعر:

وَكُــن عَلى حَذَرٍ لِلناسِ تَســتُرُهُ وَلا يَغُــرّكَ مِنهُــمْ ثَغــرُ مُبتَــسِمُ

غاضَ الوَفــاءُ فَما تَلقــاهُ في عِــدَةٍ وَأَعوَزَ الصِّدقُ في الإِخبارِ وَالقَسَمِ

نسأل الله السَّلامة والعافية من صاحبٍ إذا رأى حسنة سَترَها، وإذا رأى سيِّئةً نشرها.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٧٦ - [شَرُّ الأمور التَّسَخط بالمقدور].

أقول: التَّسخط بالمقدور؛ يعني: عدم الرِّضا عن الله تعالى فيما أجراه من قَدَره؛ على وَفْق علمه وإرادته وحكمته؛ وهو هادم لركن من أركان العقيدة الصحيحة والإيمان الصحيح؛ وهو- أن تؤمن بالقَدَر خيرِه وشرِه حُلْوِه ومُرِّه من الله تعالى- وأن ترضى عن الله تعالى قاضيه ومُقَدِّره، و التَّسخط على القَدَر وعدم الرِّضا عن الله فيه من مُحْبطات الأعمال، ومن علامات سُوْء الخاتمة، والعياذ بالله؛ قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾[١]، وذكر ربُّنا سبحانه في أوصاف المؤمنين أنهم إذا سئلوا عما أنزل الله قالوا خيراً: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ

[١] سورة سيدنا محمد ﷺ، الآية (٩)

ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾[١]، وقال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[٢].

قال التابعي الجليل علقمة رحمه الله: هو العبد تُصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلِّم، فبيَّن الشيخ رضي الله عنه أنَّ شرَّ الأمور على دين المؤمن وعقيدته عدمُ رضاهُ عن الله تعالى، وتسخُّطه على قضائه وقدره، ومن التَّسخط قولُ وفعل ما لا يُرضي الله تعالى عند المصائب والبلاء؛ كالسَّبِّ واللَّعن للزمان، ولطم الخدود، وشقِّ الجيوب، والدُّعاء بالويل والثُّبور، والدعاء عليه وعلى أولاده وعلى ماله؛ وهو من كبائر الإثم، وحال المُصَاب مع المصيبة، إما التَّسخط إن كان جاهلاً، أو الصَّبر، أو الرِّضا، والشُّكر لله تعالى إن كان مؤمنـًا عالِمـًا، قال النبي ﷺ: (**إن عِظَم الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاَءِ. وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمـًا ابْتَلاَهُمْ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**) [٣].

نسأل الله السَّلامة والعافية والثَّبات على الإيمان الكامل حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، وأن يُثيبنا ثواب الصَّابرين الرَّاضين المَرْضِيين، آمين.



[١] سورة النحل، الآية (٣٠)

[٢] سورة التغابن، الآية (١١)

[٣] رواه الترمذي

الوصايا الشاذلية

ص

- حرف الصاد -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٧٧ - [**صلاحُ السَّرائر مِنْ صِحَّةِ البصائر، وحُسنِ العمل بالبواطن لا بالظَّواهر**].

أقول: المعوَّل عليه في طريق الأولياء إصلاحُ القلب؛ والجسدُ تابع له في ذلك؛ لقول رسول الله ﷺ: (**واعلم أنَّ في الجسدِ مضغةً، إذا صلَحت صلَح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب**)[١].

وجعل الشَّيخ رضي الله عنه صلاحَ السَّرائر تابعًا لصِحَّةِ البصائر ولحُسْن العمل بالبواطن، وهذا يعني أن يكون اهتمامُ المسلم بقلبه وسريرته وبصيرته أكثرَ من اهتمامه بظاهره ومظاهره.

قال العارفون: « زيِّن باطنَك لنظر المَلِك الحقِّ، كما تُزَيِّنُ ظاهرك لنظر الخلق»، ومن ذلك التعرُّفُ على مقامات وصفات قلب المؤمن في القرآن الكريم والحديث الشريف، والعمل على التَّحقُّقِ بها؛ حتى يُصبِحَ القلب سليمًا نافعًا لصاحبه عند لقاء ربِّه، ولتُفْتحَ لهُ عينُ بصيرته فيرى بها ملكوت السموات والأرض، وليكون من الموقنين، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩ ﴾[٢].

وقد جاء في تفسير القلب السَّليم: أنه السليم من الشَّكِّ والشِّرك، وقال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله: « هو القلب الخالي عن البِدْعة، المطمئن إلى السُّنة»، وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: « سليم من آفة المال والبنين»، وقال الإمام الجنيد رحمه الله: «السَّليم لغةً هو اللَّديغ»؛ فمعناه أنه قلبٌ كاللَّديغ من خوف الله

---

[١] متفق عليه

[٢] سورة الشعراء، الآية (٨٩)

تعالى، وقال الإمام الضحاك ﵀: السليم الخالص؛ قال الإمام القرطبي ﵀ أي: الخالص من الأوصاف الذميمة، والمُتَّصف بالأوصاف الجميلة، وقال رسول الله ﷺ: (**يدخل الجنَّة أقوامٌ أفئدتُهم مثلُ أفئدة الطير**)[١].

يريد والله أعلم: أنها مثلُها في أنها خالية من كل ذَنْب، سليمة من كل عَيْب، غلب عليها سلامة الصَّدْر، وحسنُ الظنِّ بعباد الله، طُبعت على الخير، غافلةً عن الشرِّ لا تعرفه، ولا خبرة لصاحبها باحتيال أهل الدنيا وغِشِّهم وخداعهم ومكرهم، نعوذُ بالله مِنْ عمى البصيرة الذي ابتُلِي به المحجوبون عن الله تعالى والغافلون عن ذكره، عافانا الله والمسلمين، وتولانا برحمته، وأدخلنا في عباده الصالحين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٧٨ - [صُنْ عِرضَك تُكفَ أذاك].

أقول: قال في مختار الصحاح: العِرض: الجسد، والنَّفْس؛ يقال: أكرمت عنه عِرْضي؛ أي: صُنْت عنه نفسي، وفلان نَقِيُّ العِرْض أي: بريء من أن يُشْتَم أو يُعَاب، وقيل: عِرْض الرجل: حَسَبه؛ فهو محل المدح والذم.

وصيانةُ عِرض الإنسان على وجهين:

١ - صيانة أعراض الناس منه فلا يَعْتدي على عِرْض أحد بما لا يَحِلُّ من نَظَرٍ ولَمْسٍ وتَقْبيلٍ ووِقاع؛ فإذا لم يعتد على عِرْض أحد صان بذلك عرضه فلا يعتدي على عرضه أحد، كما قال الله تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾[٢]، والجزاء من جنس العمل.

---

[١] رواه مسلم

[٢] سورة النبأ، الآية (٢٦)

ومن هنا قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

عِفُّوا تعِفَّ نساؤكم في المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزِّنا دَيْنٌ فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
يا هاتكًا حُرَم الرجال وقاطعًا ... سُبُل المودَّة عِشْتَ غير مُكرَّم
لو كنتَ حُرًّا من سُلالة ماجد ... ما كنت هتَّاكًا لحُرْمةِ مسلم
من يَزْنِ يُزنَ به ولو بجداره ... إن كنتَ يا هذا لبيبًا فافهم

وقال أيضًا مُبَيِّنًا سُبُل سلامة العِرض:

إذا شئت أن تَحْيا سليمًا من الأذى ... وحظُّك موفورٌ وعِرضُك صَيِّنُ
لسانُك لا تذكرْ به عورةَ امرىء ... فكلُّك عوراتٌ وللنَّاس ألسنُ
وعينُك إن أبدت إليك معايبًا فصُنْها ... وقل يا عينُ للنَّاس أعينُ
و عاشر بمعروف وسامحْ من اعتدى ... وفارقْ ولكنْ بالّتي هي أحسنُ

٢ - ألَّا تجهلَ على جاهلٍ بمثل جهله، ولا على سفيهٍ بسَبٍّ أو شَتمٍ أو أذى؛ فإنك تَسْلَم من شَرِّه وكيده ومكره؛ قال الله تعالى في صفة عباده: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾[١]، وقال سبحانه في الصبر على الأذى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿۞لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾[٣].

---

[١] سورة الفرقان، الآية (٦٣)
[٢] سورة آل عمران، الآية (١٢٠)
[٣] سورة آل عمران، الآية (١٨٦)

❁ وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

إذا نَطَقَ السَّفيهُ فَلا تُجِبْـهُ فَخَيرٌ مِن إجابَتِهِ السُكوتُ
فَإِن كَلَّمتَهُ فَرَّجــتَ عَنـهُ وَإِن خَلَّيتَــهُ كَمَـداً يَموتُ

❁ وقال أيضـًا:

يخاطِبُني السَّفيه بكل قُبْحٍ فأكــرهُ أن أكون له مُجِيبـا
يزيدُ سَفاهةً وأَزيدُ حِلمــا كعُودٍ زادهُ الإحراقُ طِيبـا

❁ وقال الشاعر شِمر الحنفي:

ولقد مررتُ على اللئيمِ يسُبُّني فمَضَيتُ ثُمَّتَ قلتُ لايعنيني[١]

وهذا كله داخل في العفو والإعراض عن الجاهلين الذي أمر الله به في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[٢]، ومن معاني الإعراض ألا تتعرَّض له، وألَّا تجهلَ عليه بمثل جهله؛ وبهذا تصون عِرْضك، وتُكْفَى أَذَى الخَلْق، كفانا الله والمسلمين أذاهم بفضله، وأعاذنا من شرور أنفسنا، ومن شَرِّ كُلِّ دابَّة هو آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم.

❁ وقال رحمه الله تعالى:

٧٩ - [صِلْ مَنْ وصلك، ولا تَفْصِل من فَصَلك].

أقول: يُذكِّرنا الشيخ رضي الله عنه بما أرشدنا إليه الشَّرع الشريف من مكارم الأخلاق التي بُعث رسول الله ﷺ لإتمامها ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنَّما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ أو صالحَ الأخلاق**)[٣].

---

[١] وفي بعض المصادر: ولقد أَمُرُّ

[٢] سورة الأعراف، الآية (١٩٩)

[٣] رواه الإمام أحمد

وبذلك يكتسب المسلم صفة الخيرية؛ قال رسول الله ﷺ: (**خيارُكم أحاسنُكم أخلاقًا**)[١]، ويغدو مِنْ أحبِّ النَّاس إلى رسول الله ﷺ وأقربهم منه منزلة؛ ففي الحديث: عن رسول الله ﷺ قال: (**إنَّ مِنْ أَحبكم إليَّ وأقربِكم مِنِّي مجلسًا يوم القيامة أحاسِنكُم أخلاقًا**)[٢].

ومن تلك الأخلاق الكريمة أن تَصِلَ من وصَلك، و أن تَصِلَ مَنْ قطعك؛ ففي الحديث: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ثم لقيت رسول الله ﷺ فأخذت بيده، فقلت يا رسول الله: أخبرني بفواضل الأعمال، فقال: (**يا عقبةُ صِلْ مَنْ قَطعك، وأَعطِ مَنْ حَرَمك، وأعرِضْ عَمَّن ظلمك**) وفي رواية:(**واعفُ عَمَّن ظلمك**)[٣].

❁ وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (**ألا أدلُّك على أكرمِ أخلاق الدُّنيا والآخرة؛ أنْ تَصِلَ مَنْ قطعك، وتعطيَ مَنْ حرمك، وأن تعفوَ عمَّن ظلمك**)[٤].

❁ وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**إنَّ أفضلَ الفضائل؛ أن تصلَ مَنْ قطعك، وتعطيَ مَنْ حَرمك، وتصفحَ عمَّن شَتَمك**)[٥].

❁ ورُوي عن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ألا أدلُّكم على ما يرفعُ الله به الدَّرجات؟**) قالوا: نعم يا رسول الله، قال: (**تَحلُمُ على مَنْ جهِل عليك، وتعفو عمَّن ظلمك، وتعطي مَنْ حرمك، وتصل من قطعك**)[٦].

---

[١] رواه الترمذي
[٢] رواه الترمذي
[٣] رواه أحمد، والحاكم
[٤] رواه الطبراني في الأوسط
[٥] رواه الطبراني
[٦] رواه البزار، والطبراني

والتَّصوف هو: التَّخلُّق بالأخلاق الكاملة التي كان عليها الإنسان الكامل سيِّدنا مُحمد ﷺ، قال العارف الرواس رضي الله عنه: الطَّرِيقة: إفراغ الأخلاق المُحمَّدية في النَّفْس وفي الخَليقَة؛ فالتَّصوفُ كُلُّه أخلاق؛ فمن زاد عليك بالأخلاق فقد زاد عليك بالتصوف، والصُّوفي كالأرض يُلقَى عليها كلُّ قبيح، ولا يظهرُ منه إلا كلُّ مَلِيح، وبهذا الميزان يَتبين الصادق في النِّسبة إلى القوم فهو معهم ومنهم، ويتبيَّن بذلك المُدَّعي والدخيل الذي ليس من القوم، وإن ادَّعى طريقهم إذا لم يتخلَّقْ بأخلاقهم ولم يتحقَّق بحقائقهم التي مُيِّزوا بها عن غيرهم من المَذاهِبِ والمشارب، أكرمنا الله بتحقيق النِّسبة إليهم، وكتبنا معهم، وجعلنا منهم بفضله وكرمه، آمين يا ربَّ العالمين.




الوصايا الشاذلية
ض

- حرف الضاد -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٨٠ - [ضَلالُ الدَّليل هلاكُ المُستَدِلّ].

أقول: الدَّليل هنا: هو الشَّيخ الدَّالُّ على الله بحَسَبِ الظَّاهر، أو العالِمُ الذي يدعو إلى الله بقالِه دون حالِه، فإذا كان فعلُه مخالفًا لقوله، ولا حالَ له ولا تخلُّق، فإنَّ طُلَّابه والعامَّة يَضلُّونَ بسببه؛ لأن تأثرهم بحاله، واقتداءهم بفعله، آكد من النظر في أقواله، فكان ضلالُ الدَّليل هلاكًا للمُسْتَدِلّ، ويكون بذلك داعيًا إلى ضلالة لا إلى هُدىً، ويكون عليه مثلُ آثام من ضلَّ من غير أن ينقُصَ بعضهم من إثمِ بعضٍ شيئًا، كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيرةَ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ دَعَا إلى هُدًى كان لهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أجورِ مَنْ تَبِعهُ لا يَنقُصُ ذلك مِنْ أُجُورِهم شيئًا، ومَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كان عليه مِنَ الإثمِ مثلُ آثامِ مَنْ تَبِعهُ لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ آثامِهم شَيئًا)**.[١].

قال الإمام النَّووي ﷺ: « من دعا إلى هُدَىً كان له مثل أجور متابعيه، أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهُدَى والضَّلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان تعليمَ علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك»، ولْيَعْلَمْ كل داعٍ إلى هُدىً أو ضلالة أنه مسؤولٌ أمام الله تعالى عن كُلِّ من دعاهم ولو دعا رجلاً واحداً، وقد قال الشيخ الإمام الشعراني ﷺ في عهوده:

وقد سمعت سيِّدي عليا الخَوَّاصّ ﷺ ورضي عنه يقول في معنى حديث **(إن الله لَيُؤَيِّدَنَّ هذا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفَاجر)** معناه: أن الناس ينتفعونَ بعلمِ الفاجر وتعليمه وإفتائه وتدريسه حتى يكون في الصورة كالعلماء العاملين، ثم يُدخله الله

---

[١] رواه مسلم

بعد ذلك النَّار لعدم إخلاصه.

وقد قال أهل الله: « من عرف الحقَّ بالرِّجال؛ تاه في متاهات الضَّلال»؛ ومعناه: مَنْ جعلَ جميع ما يراه من أفعال العالِمِ حقًّا وصوابًا وصالحًا للاقتداء به، دون احتمالِ وقوعٍ في معصية أو خطأ فيقتدي بأعمال العالم غير الموافقة للشَّرْع، ويجعله حجةً له فيما يرتكبه من معاصٍ وآثام؛ فيقول: فلان العالم يفعل كذا؛ فأنا أقتدي به في ذلك فقد ضلَّ عن سواء السبيل.

وقال أهل الله: إذا جاهر العالِم بالمكروه تَجَرَّأ العامَّة على المُحَرَّمات وجاهروا بها، نسأل الله السَّلامة من مُوجِبات النَّدامة في الدُّنيا وفي القبر وفي يوم القيامة، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٨١ -[ضَلَّ من اهتدى بِغيرِ هُدَى الله عزَّ وجلَّ].

أقول: الميزانُ الذي يُعْرَفُ به أهلُ الهداية من أهل الضَّلال هو هدى الله تعالى وشرعُهُ الذي أَرْسل به رسولَه سيِّدنا محمداً ﷺ، فَمنْ كان سُلُوكه وسَيْرهُ إلى الله تعالى على وَفْق شَرْعه فهو المهتدي المَهْدي، ومن كان على غير شرع الله تعالى وهديه فهو الضَّالُّ المُضِلُّ، والعياذ بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[٢]، واليقين هو الموت، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٣].

والإسلام: هو الاستسلام، والانقياد، والامتثال بفعل الأوامر، واجتنابِ

---

[١] سورة الجاثية، الآية (١٨)

[٢] سورة الحجر، الآية (٩٩)

[٣] سورة آل عمران، الآية (١٠٢)

النَّواهي المتعلقة بظاهر المسلم وباطنه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[١]، و**إسلام الظَّاهر** هو: الإتيان بالعبادات والمعاملات على وَفْق الشرع لا بالأهواء ولا بالبدع، و**إسلام القلب** هو: صِدْق التَّوجه إلى الله تعالى مع التَّحقق بالإخلاص له وحده؛ قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ۝١٢٥﴾[٢]، وقال عزَّ مِنْ قائل: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٢٢﴾[٣].

ولهذا قال العارفون: « من لا شريعة له لا طريقة له، ومن لا طريقة له لا حقيقة له»، وقال الشَّيخ العارف ابن عجيبة ﷺ ورضي عنه: « الشريعة أن تعبُدَه، والطَّريقة أن تقصدَه، والحقيقة أن تشهدَه، ومجموع ذلك هو الدِّين»، ولقد قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ يُرِد الله به خيراً يُفقهْه في الدِّين**)[٤]، أي إسلاماً وإيماناً وإحساناً؛ لِما في حديث جبريل عليه السلام (**هذا جبريلُ أتاكم يعلِّمكم دِينكم**)، شريعةً وطريقةً وحقيقةً؛ فمن استقام على ذلك ظاهراً وباطناً فقد هُدِي إلى صراطٍ مستقيم، وهداه الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، وهو سبيل الفتح الأكبر ظاهراً وباطناً، حسًا ومعنىً؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ۝١٦﴾[٥]، والطَّريقةُ هي: العمل بالشريعة مع الإخلاص للحقِّ، والتَّخلقُ بالأخلاق المُحمَّدية مع الخلق، وقد قال سبحانه

[١] سورة البينة، الآية (٥)
[٢] سورة النساء، الآية (١٢٥)
[٣] سورة لقمان، الآية (٢٢)
[٤] متفق عليه
[٥] سورة الجن، الآية (١٦)

فيمن سبق قبلنا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾[١]، فكيف يكون الإكرام الإلهي لمن أقام القرآن والسنة بفهم الأئمة، وقوَّم نفسه وسلوكه على ذلك واستقام عليه؟، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[٢].

❁ وقال رحمه الله تعالى:

٨٢ - [ضاع مَنْ كان قصدُه غيرَ الله].

أقول: المؤمنُ المُخْلِص لا يقصِد في أقواله وأفعاله وأحواله إلا اللهَ تعالى، ولا يقصِدُ غيره تعالى ممَّا له فيه حظُّ نَفْس؛ من رياءٍ أو سُمْعةٍ أو حُبِّ ظهور أو شهرة أو مال أو منصِب، أو رضا مخلوق في سخط الله تعالى، فإن كان قصدُه شيئًا من ذلك فقد ضاع سعيه، وخسرت تجارته، وقد رُوي في الحديث: (**أخلِصْ دِينَك يكفِكَ العملُ القليل**)[٣]، ورُوي: (**طُوبى للمُخْلِصين، أولئك مصابيحُ الهدى، تنجلي عنهم كلُّ فتنةٍ ظَلْماء**)[٤].

والإخلاص: التَّخَلُّص من حظِّ النَّفْس وملاحظة الأشخاص، وعلامة المُخْلِص: ألَّا يتغيَّر بالامتحان، وألَّا يلتفتَ إلى قول النَّاس فيه مدحًا أو ذمًا، وألَّا يلتفت إلى إقبالهم وعطائهم، أو إدبارهم ومنعهم، فلا يكونَ ذلك حاجبًا له عن الله تعالى وصدقِ التَّوجه إليه، وهذا الإخلاص من فرائض الدِّين

---

[١] سورة المائدة، الآية (٦٦)

[٢] سورة فصلت، الآيات (٣٠ - ٣٢)

[٣] رواه الحاكم، والبيهقي، وأبو نُعيم، وفي رواية: (أخلِص دينَك يكفِك القليل من العمل).

[٤] رواه البيهقي، وابن ماجه بنحوه

المتعلِّقة بالقلب، وقد أمر الله تعالى به في كتابه، وقدَّمه على الأمر بالفرائض العملية، وأرشد إليه رسول الله ﷺ.

۞ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾[٣]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾[٤].

وفَسَّر النَّبي ﷺ الدُّعاء بالعبادة فقال: (**الدُّعاء هو العِبادة**)[٥]، وعن النُّعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**إنَّ الدُّعاء هو العبادة**)[٦] ثمّ قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾[٧]، فالإخلاص شرط قُبول العبادات والمعاملات والمجاهدات وإلَّا كانت مردودةً على صاحبها، والعِياذُ بالله.

وفي الحكم العطائية: كما لا يقبل العمل المُشْتَرك؛ كذلك لا يُحِبُّ القلب المُشْتَرك، العملُ المُشْتَرك لا يَقْبلُه، والقلب المُشْتَرك لا يُقْبِل عليه.

---

[١] سورة البينة، الآية (٥)

[٢] سورة الأعراف، الآية (٢٩)

[٣] سورة غافر، الآية (١٤)

[٤] سورة غافر، الآية (٦٥)

[٥] رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

[٦] رواه أحمد في المسند، والبخاري في الأدب المُفْرَد.

[٧] سورة غافر، الآية (٦٠)

ويقول العارف بالله:

قلتُ يا رُوح البرايـا آنس القلبَ العليلْ
قال لا أُدِني فـــؤادا يجعلُ الغيرَ خليلْ
قلـتُ واللهُ شـــهيدٌ إنني فيـك قتيـــلْ
قال إنْ رُمتَ التداني فَـتـهيَّـأ للـمَـــزَار

وسلام على من اتَّبعَ الهدى، والحمد لله رب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٨٣ - [ضادِدِ الجَزَعَ بالصَّبْر، وضادِدِ التَّكَبُّرَ بالتَّواضُع، وضادِدِ الهوى بالعقل].

أقول: كل خُلُقٍ مذمومٍ من أخلاق النَّفْس الجاهلة؛ يُقَابَل في الشَّرْع الشَّريف بخُلُقٍ محمود؛ يُثَاب عليه المُسلم ويُؤجَر إذا نوى الامتثال والقُربة، ويتوقف التَّنزه والتَّخلي عن المذموم، والتَّخلق والتَّحلي بالمحمود؛ على العِلْم والمُجَاهدة والصُّحْبة للعارفين أهل التَّخلي والتَّحلي و معادنِ التَّجلي، وهذا أحد معاني الطريقة التي فسَّرها الشيخ العارف الرَّواس رضي الله عنه بقوله: الطَّريقة إفراغُ الأخلاق المُحمَّدية في النَّفْس وفي الخليقة.

وهنا أمر الشَّيخ: أن نُضَادَّ الجزَع عند المصائب بالصَّبْر الذي معناه: حَبْسُ النَّفْس عن الشَّكوى والاعتراض، وعدمُ التَّلبس بمعصيةٍ قولية أو فعلية، وأن نُضَادَّ التَّكبر بالتَّواضع؛ ومعناه: ألا نُثْبِتَ لأنفسنا رُتبةً أو منزلةً نرى أننا نستحق معها التَّكريم والتَّعظيم، وألا نُحدِّث أنفسنا بأننا خيرٌ من أحد من المسلمين حتى العصاة؛ لأننا لا اطِّلاع لنا على الخواتيم؛ فمن النَّاس مَنْ يَعمل بعمل أهل الجَنَّة وهو من أهل النَّار، ومن النَّاس من يعمل بعملِ أهل النَّار وهو من أهل الجَنَّة، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ، وأن نُضَادَّ الهوى المذموم بالعقل؛ فنعقلَه

ولا نَتَّبعَه ولا نستجيبَ له ولا نعملَ بمقتضاه؛ فإنه من المُهْلِكات؛ قال النبي ﷺ: **(ثلاث مُهْلِكات: شُحٌّ مُطَاع، وهَوىً مُتَّبَع، وإعجابُ المرءِ بنَفْسِه)**[١]، وفي رواية: **(ثلاثٌ مُهلِكاتٌ، وثلاثٌ مُنجِياتٌ، وثلاثٌ كفَّارَاتٌ، وثلاثٌ دَرَجاتٌ؛ فأمّا المهلِكاتُ: فشُحٌّ مُطاعٌ، وهَوًى مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرْءِ بنفْسِهِ، وأمّا المُنْجِياتُ: فالعَدْلُ في الغضَبِ والرِّضا، والقَصْدُ في الفَقْرِ والغِنى، وخشيةُ اللهِ تعالَى في السِّرِّ والعَلانيةِ، وأمّا الكفَّاراتُ: فانْتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ، وإسْباغُ الوُضوءِ في السَّبَرَاتِ، ونقلُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ، و أمّا الدَّرجاتُ: فإطْعامُ الطعامِ، و إفْشاءُ السلامِ، و الصلاةُ باللّيلِ و الناسُ نِيامٌ)**[٢].

وبمخالفة هوى النفس يتحقق أحد الشَّرطين لدخول الجنة بعد الخوف من مقام الله تعالى؛ قال الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٣]، وذلك علامة كمال الإيمان:

قال النَّبي ﷺ: **(لا يُؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواه تبعًا لما جِئتُ به)**[٤]، ورحم الله الإمام البُوصيري القائل في بردته:

والنفسُ كالطِّفلِ إن تُهْمِلْهُ شَبَّ على ... حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
فاصرفْ هواها وحاذرْ أنْ تُوَلِّيَهُ ... إنَّ الهوى ما تولَّى يُصْمِ أوْ يَصِمِ
وَراعِها وهيَ في الأعمالِ سائِمةٌ ... وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فلا تُسِمِ
كم حسّنتْ لذةً للمَرْءِ قاتلةً ... من حيثُ لم يدرِ أن السّمَّ في الدّسَمِ

نسأل الله السَّلامة من دسائسها، والعافية من بلاياها، في الدنيا والآخرة، آمين.

---

[١] رواه البزار، والطبراني بسند حسن.

[٢] رواه البزار، وأبو نعيم.

[٣] سورة النازعات، الآيات (٤٠ - ٤١)

[٤] قال الحافظ النَّووي ﷺ في الأربعين: حديث حسن صحيح، رُويناه في كتاب الحجّة بإسناد صحيح.

الوصايا الشاذلية

ط

- حرف الطاء -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٨٤ - [طُوبى لمن راقبَ قلبَه، وأَقلعَ عن ذَنْبِه].

أقول: طُوبى في اللغة جاءت لِمَعَانٍ: بمعنى الحُسْنى، وبمعنى الغِبْطَة والسَّعادة، والخيرِ الدائم، وهي من الطِّيب، وطُوبَى في التنزيل العزيز: كُلُّ مُسْتَطابٍ في الجَنَّة؛ مِنْ بقاءٍ بلا فناءٍ، وعِزٍّ بلا زوال، وغنىً بلا فقر، وكلام الشيخ ﷺ يحتمل ذلك كله، وجعلها الشيخ جزاءً لمن راقبَ قلبه وأقلع عن ذنبه؛ ومراقبة القلب تعني: أن يكون المؤمنُ حارسَ قلبه؛ فيحرسَه أن يتسلَّلَ إليه عدوٌّ من شياطين الإنسِ والجنِّ أعداء الله؛ بشُبْهة أو شهوة، ويكون سلاحُه العلم للانتصار على كل شبهة، والذِّكرَ للانتصار على كل شهوة، والإقلاعُ عن الذَّنْب شَرْطُ التَّوبة النَّصوح، مع النَّدم على فعله، والعزمِ على ألا يعودَ إليه، وردِّ الحقوق والمَظَالم، ويكون الإقلاع عن الذَّنْب؛ بالابتعاد عن الأسباب المُوَلِّدة له، وبالتَّفكر في عاقبَتِه، و بالتَّفكر في احتمال أن يأتيَه الموت وهو على الذَّنب قبل أن يُدْرِكه وقتٌ يتوب إلى الله تعالى فيه؛ فيلقى الله بذنبه، ويُبْعَثُ عليه يوم الحشر، ففي صحيح مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**يُبْعَثُ كلُّ عبدٍ على ما ماتَ عليه**)، وفي الدِّيباج على صحيح مسلم؛ قوله: (**يُبْعَثُ كلُّ عبدٍ على ما ماتَ عليه**) أي: على الحالة التي مات عليها.

وقال الحافظ المُنَاوي ﷺ في فيض القدير شرح الجامع الصغير: «إن ما يفعلهُ العبد من خير وشر في هذه الدار له نتائج تظهر في دار البقاء؛ لأنها محلُّ الجزاء، وجزاء كلِّ إنسان بحسب عمله، وكلُّ معروفٍ أو منكر يُجَازى عليه من جِنسِه، وكلُّ إنسانٍ يُحْشَر على ما كان عليه في الدنيا»، وقال الحكماء: « إن الأرواح الحاصلة في الدُّنيا المُفَارقة عن أبدانها على جهالتها؛ تبقى على تلك

الحالة الجاهلية في الآخرة وأن تلك الجهالة تصير سبباً لأعظم الآلام الروحانية».

وقوله (**يُبْعَثُ كلُّ عبد على ما ماتَ عليه**) أي: على الحال التي مات عليها من خيرٍ وشرٍ، ثم هذا الحديث يوضحه ما رُوي عن عبد الله بن عمرو ﷺ قلت: يا رسول الله، أخبرني عن الجِهاد والغزو، فقال: (**إن قاتلتَ صابراً مُحْتَسِباً يعثك الله صابراً محتسباً، وإن قاتلت مرائياً مكاثراً بعثك الله مرائياً مكاثراً، يا عبد الله بن عمرو: على أيِّ حالٍ قاتلتَ أو قُتِلتَ بعثك الله على تلك الحال**)[١].

نسأل الله السَّلامة مِنْ مُوجِبات النَّدامة في الدنيا وفي يوم القيامة، آمين.

اللهمَّ توفَّنا عند انتهاءِ آجالِنا على الإيمانِ الكامل مع الشَّوق إلى لقائك، في غيرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّة، ولا فتنةٍ مُضِلَّة، وعلى أصحِّ وأكمل العقائد والأعمالِ وأحبِّها إليك، وفي أحبِّ الأزمنةِ والأمكنةِ إليك، آمين ياربَّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٨٥ - [طُوبى لمن غلبَ نفسه ولم تَغْلبْه].

أقول: العاقبة الحسنى، والسعادة الأبدية؛ لمن غلب نفسه الأمَّارةَ بالسُّوء، ولم يتَّبع هواها فيما يخالف شرع الله تعالى، وملكها عند الغضب والشَّهوة ولم تملكه، ومنعها من التَّشوُّف والتَّميُّز على أحد من المسلمين، وطهَّرها من الكِبر والعُجب والرياء، وبذلك يثبت أنه القويُّ الأمين كامل الإيمان والعقل السليم، ومخالفة هوى النفس شرط دخول الجنة؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٢].

وقال النبي ﷺ: (**ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَة، إنما الشَّديد الذي يملِك نفسَهُ عند الغضَب**)[٣]، ويقول أمير المؤمنين علي ﷺ: « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ

---

[١] رواه أبو داود، والحاكم، والبيهقي

[٢] سورة النازعات، الآيات (٤٠ - ٤١)

[٣] متفق عليه

عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ؛ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ».

وقال الإمام جعفر الصَّادق رضي الله عنه: «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتِّباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم».

فطُوبى لمن قاد عقلُه هواه وعقَلَه، ولم يجعل عقلَه تابعا لهواه؛ فأهواه وأوقعه في الهوان؛ قال الشاعر:

نونُ الهوانِ من الهوى مسروقةٌ ... فإذا هـوِيتَ فقد لقيـتَ هوانا

وقال البوصيري رحمه الله تعالى:

والنفسُ كالطِّفلِ إن تُهْمِلْهُ شَبَّ على ... حُبِّ الرَّضـاعِ وإنْ تَفْطِمْـهُ يَنْفَطِـمِ
فاصرفْ هواهـا وحاذرْ أنْ تُـوَلِّيَـهُ ... إنَّ الهوى ما تولَّى يُصْـمِ أوْ يَصِـمِ
وَراعِها وهيَ في الأعمـالِ سـائِمـةٌ ... وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فلا تُسِمِ

نسأل الله السَّلامة من دسائسها، والعافية من بلاياها في الدنيا والآخرة، وآتاها الله تقواها وزكَّاها فهو وليُّها ومولاها، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٨٦ - [طُوبى لمن مَلَك هواه ولم يَمْلِكْه].

أقول: السَّعادة في الدُّنيا والآخرة والنعيم فيهما لعبدٍ من عباد الله؛ ملك هواه وجعله تابعًا لشرع الله؛ فقد قال رسول الله ﷺ: **(لا يُؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواه تبعًا لما جئتُ به)**[١].

والهوى ما تهواه النَّفْس وتَشتهيه وتتمنَّاه؛ ومنه ما هو محمود وهو ما كان موافقا للشَّرع، ومنه ما هو مذموم وهو ما كان مخالفًا للشَّرع؛ بأن اشتمل على تعدٍّ لحدٍّ من حدود الله، أو اعتداءٍ على حقٍّ لإنسان في نفس أو مال أو عِرض،

[١] قال الإمام النَّووي رحمه الله تعالى في الأربعين: رويناه في كتاب الحُجَّة بإسنادٍ صحيح.

أو إيذاءٍ لمخلوق ولو بهيمة؛ وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ ظهور الدَّوابِّ منابر، رحمةً بها لما في ذلك من الإيذاء لها، فقال: (**إيَّاكم أن تتَّخذوا ظُهورَ دوابِّكم منابرَ فإنَّ اللهَ إنَّما سخَّرَها لَكم لتبلِّغَكم إلى بلدٍ لم تَكونوا بالغيهِ إلَّا بشِقِّ الأنفُسِ وجعلَ لَكمُ الأرضَ فعَلَيْها فاقضوا حاجتَكم**)[١]، وفي رواية: (**اركبوها سالمة، وانزلوا عنها سالمة، ولا تتخذوها كراسيَّ لأحاديثكم ومجالسكم، فلرُبَّ مركوبةٍ خيرٌ من راكبها، وأكثر ذكراً لله منه**)[٢].

فمن اتَّقى إيذاء مخلوق، ولم يتعدَّ حدَّاً من حدود الله، ولم يعتدِ على إنسان في حقٍّ؛ فهو العبد الصَّالح العاصي لهواه، الطائع لمولاه، وهذا له السعادة والسَّلامة من موجبات الندامة، في الدنيا وفي القبر وفي يوم القيامة، جعلنا الله وإياكم معهم ومنهم بفضله وكرمه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٨٧ -[طُوبى لمن كابدَ هواه، وكذَّب مُناه].

أقول: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[٣].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: قال السُّدي رحمه الله وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال، وقال ابن عطية رحمه الله: فهي قبل الجهاد العُرفي، وإنما هو جهاد عامٌّ في دين الله وطلب مرضاته، وقال الحسن رحمه الله: الآية في العُبَّاد، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وإبراهيم بن أدهم رحمه الله: هي في الذين يعملون بما يعلمون، وقال أبو سليمان الدَّاراني رحمه الله: ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط؛ بل هو نصر الدِّين، والردُّ على المبطلين، وقمع الظالمين، وعُظمُه الأمر بالمعروف والنهي

[١] رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

[٢] رواه أحمد، والطبراني بسند حسن.

[٣] سورة العنكبوت، الآية (٦٩)

عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله تعالى وهو الجهاد الأكبر، وقوله ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ أي: طريق الجنة، وقال يوسف بن أسباط رحمه الله: المعنى لنُخلِصَنَّ نياتهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم، وهو سبحانه معهم بالنصرة والمعونة والحفظ والهداية، ومع الجميع بالإحاطة والقدرة؛ فبين المعيتين بَوْن، وقال العلامة الصاوي رحمه الله: قال المفسِّرون: إنَّ هذه الآية نزلت قبل الأمر بالجهاد لكونها مكية؛ وحينئذ فالمراد بالجهاد فيها جهاد النفس، وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: « الجهاد مخالفة الهوى»، وقال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله: « والذين جاهدوا في طلب العلم - لنهدينهم - سبل العمل به»، وقال الإمام سهل بن عبد الله التُّستَري رحمه الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ في طاعتنا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾ سبل ثوابنا؛ أي: طرق الوصول إلى مرضاتنا، فالطريق: هي العمل بالأحكام الشرعية، وثمرتها: الحقيقة؛ وهي العلوم والمعارف؛ المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بالعون والنصر والمحبة فهي معية خاصة.

أقول: فمن لم يبلغ هذا المقام ولم تكن له معية الله الخاصَّة التي هي للذين اتَّقَوا والذين هم محسنون فليكن مع الذين لهم تلك المعية من عباد الله الصالحين من عالمي الغيب والشهادة ليسريَ إليه نصيب من معية الله التي لهم، فمن لم يكن مع الله فليكن مع من هو مع الله، وليسري إليه من نظره لهم ونظرهم إليه نصيب من نظر الله تعالى إلى قلوبهم؛ فإن قلوب المقرَّبين لا ينقطع نظر الله عنها طرفة عين؛ لعكوفهم الدائم في حضرة مراقبته ومشاهدته سبحانه وتعالى، فبيَّن الشَّيخ رحمه الله تعالى ورضي عنه

[١] سورة الجن، الآية (١٦)

أن طُوبى وهي السعادة والهداية لمن جاهد هواه في الله تعالى وكذّب مناه فلم يُتْبِع نفسه هواها ولم يتمنَّ على الله الأمانيَّ؛ فكان بذلك الكَيِّس العاقل الذي قال فيه النبي ﷺ:

(الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللهِ)[١]، قال الترمذي وغيره من العلماء: « معنى **(دان نفسه)**: أي: حاسبها». والله تعالى أعلم.



[١] رواه التِّرمِذيُّ: وقال حديثٌ حَسَنٌ

الوصايا الشاذلية



- حرف الظاء -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٨٨ - [ظنُّ المرءِ مِيزانُ عقلِه، وفعلُه أصدقُ شاهدٍ على أهلِهِ].

أقول: الظَّنُّ دونَ اليقين، ويأتي بمعناه، والظَّنُّ منه الحسن، ومنه السَّيِّىء، ومنه ما يتعلَّق بالله تعالى، ومنه ما يتعلَّق بخلقه، فأمَّا ما يتعلَّق بالله تعالى فهو وجوب حُسْن الظَّنِّ به تعالى في كُلِّ وقتٍ وعند كُلِّ حالٍ؛ وخصوصاً عند قربِ الأجَل أو ظنِّ وقوعه؛ ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (**يقولُ اللهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعاً، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعاً تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعاً، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**)[١]، وفي رواية عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه مرفوعاً: (**يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظُنَّ بي ما شاء**)[٢]، وعن جابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ، قَبْلَ مَوْتِهِ بثَلَاثَةِ أيَّامٍ يقولُ: (**لا يَمُوتَنَّ أحَدُكُمْ إلَّا وَهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ**)[٣].

وقد فهم منه الشَّيخ الأكبر ابن عربي قدَّس الله سره الأنور: دوامَ حُسْن الظَّن بالله تعالى؛ لأنَّ الإنسان لا يدري متى يأتيه الأجل؛ وربما أتاه فجأة دون تقدُّمِ مرض، والمراد بحُسْن الظَّنِّ بالله استحضار معنى قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[٤].

---

[١] رواه البخاري

[٢] رواه أحمد، والدَّارمي

[٣] رواه مسلم

[٤] سورة الزُمر، الآية (٥٣)

وهو تغليبُ مقام الرجاء على الخوف كما قال العارف الدردير رحمه الله:

وغلِّبِ الخوفَ على الرَّجاء وسِـرْ لمولاكَ بلا تَنَـاءِ

۞ وأما الظَّنُّ المتعلِّق بالخَلْق فهو أن يعتقدَ أنهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعـًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله تبارك وتعالى، وأن يعتقدَ أنَّ نَواصيَ الخلق وقلوبَهم بيد الله تعالى يُصَرِّفُها ويُقَلِّبُها كيف يشاء، ثم إن كان بينه وبين أحد معاملةٌ يعاملهُ بأحكامِ الشَّرْع وآدابه مع أخذ الحَذَرِ منه، مقترنـًا بحُسْن الظَّنِّ به؛ كما قالوا في حق من كُشِف له أن جلساءه من الأولياء: بأنه يسترُ نِساءَه ويُخَبِّئُ أموالَه عنهم؛ لعدم عصمتهم فيجوز منهم الوقوع في خيانة، فهذا هو الميزان الجامع بين الشَّرْع والعقل، وهو علامة كمال المرء أو نقصه؛ كما أشار إلى ذلك الشيخ رحمه الله.

۞ وقد جاء من أقوال السلف: « خَصلتان ليس فوقهما في الخير خَصلة: حُسْن الظَّنِّ بالله، وحُسْن الظَّنِّ بعبادِ الله، وخَصلتان ليس فوقهما في الشَّرِّ خَصلة: سُوْء الظَّنِّ بالله، وسُوْء الظَّنِّ بعبادِ الله.

۞ وأما قوله رضي الله عنه: «وفعله أصدقُ شاهدٍ على أهله»، فمعناه: أن فعل الإنسان الظَّاهر دالٌ على باطنه، وشاهدُ صدقٍ على من يُحِبُّه، فمَنْ أحبَّ قومـًا تشبَّه بهم، ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم وحُشِرَ معهم؛ كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ، وهم أهلُه الذين سيكون معهم ومنهم؛ وهو أحد معاني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾[٢].

قال العلَّامة القرطبي رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، قال النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما قال النَّبي ﷺ: (**يُقرَن كلُّ رجلٍ مع كلِّ قومٍ كانوا يعملون كعمله**)[٣]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « يُقرَن الفاجرُ مع الفاجر، ويُقْرَن

[١] سورة التكوير، الآية (٧)

[٢] سورة الواقعة، الآية (٧)

[٣] رواه الطبري

الصَّالح مع الصَّالح»، وقال ابن عبَّاس ﷺ: «ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة؛ السابقون زَوج - يعني صِنفاً - وأصحابُ اليمين زَوج، وأصحابُ الشِّمال زَوج»، وعنه أيضاً: قُرِن كلُّ شكل بشكله من أهلِ الجَنَّة أو من أهل النار؛ فيُضَمُّ المُبَرِّز في الطاعة إلى مثله، والمتوسط إلى مثله، وأهل المعصية إلى مثله، فالتزويج أن يُقْرَن الشيء بمثله، وقيل: يُضَمُّ كل رجل إلى من كان يلزمه من مَلِكٍ أو سُلطانٍ؛ كما قال الله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾[١].

وقال الحسن ﷺ: « أُلحِقَ كلُّ امرئٍ بشِيعته »، وقيل: يُقرَن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو إنسان، ويُقرَن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة.

فيُستَدل بعملِ كلِّ إنسان على الزُّمْرة التي هو منها، ويكون معها في البرزخ ويوم القيامة وفي إحدى المنزلتين؛ وفي الحكم العطائية: ما استُودع في غيب السَّرائر؛ ظهر في شهادة الظواهر. والله أعلم.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٨٩ - [ظنُّ العاقل خيرٌ من يقينِ الجاهل].

أقول: ظنُّ العاقل العالم فيما يحتمل التأويل من النُّصوص المتشابهة والفروع الفقهية المبنية على دليل مرجِّح خير من يقين الجاهل المقلِّد في الأخذ بظواهر النصوص لأن يقينه سريعاً ما يرجع عنه لأدنى شبهة من شبه المبتدعة ويصبح تابعا وداعيا لهم.

ومن وجه آخر: فإن تعامل العاقل مع الناس من حوله من أصدقاءَ ومعارفَ يصحبه أخذ الحذر وظنُّ المكر والكيد والخداع منهم له فلا يغترُّ بمبتسم ومحسن بخلاف الجاهل فإنه يضع يقينه بكل صديق ويكشف أسراره لكل صاحب فيكون عُرضَةً للفضيحة والشر؛ وقد قال الحكماء: « الموضعُ الذي تأمنه منه خَفْ».

---

[١] سورة الصافات، الآية (٢٢)

۞ وقال ابن الرُّومي:

عدوّك من صديقـك مســـتفادٌ فأقلل ما استطعت من الصّحـاب
فإن الـداء أكثـــرُ ما تـــراه يكون من الطّعام أو الشـــراب
وإنّك قلّمـــا اســـتكثرت إلا وقعت على ذئـــابٍ في ثيـــاب
فـدع عنك الكثيـر فكم كثيـرٍ يُعَابُ وكم قليـلٍ مســـتطابِ
وما اللُّجَـج المِـلاحُ بمُروياتٍ وتلقى الرِّيّ في الـنُّطَف العِـذابِ
إذا انقلب الصَّديق غَـدا عـدوَّاً مُبِينـًا والأمـورُ إلى انقـلاب

وقال أيضـًا:

عدوُّك من صديقك مســـتفادٌ فأقلل ما استطعت من الصَّدِيق
فإن الـــدَّاءَ أكثـــرُ ما تـراه من الأشـياء تحلو في الحُلُوقِ

وقال منصور الفقيه:

احـذر عـدوّك مـــرَّةً واحذر صديقك ألفَ مرّة
فلربمّا انقلب الصَّدِيـــق فكـــان أعلـمَ بالمَضَـرّة

وقال آخر:

كن من صديقك خائفـًا فلربّما حـال الصَّديـق

وقال آخر:

احذر صديقَك لا عدوَّك إنَّما مستورُ سرِّك عند كلّ صَديقِ

نسأل الله السَّلامة من مُوجباتِ النَّدامة في الدنيا وفي يوم القيامة.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٩٠ - [ظالمُ الحقِّ مَنْ نَصَر الباطل].

أقول: الظُّلم على درجات: **ظُلمُ الإنسان لنفسه**: بأن يُبْعِدَها عن أسباب الهُدى

ويُوردَها في مهاوي الرَّدى؛ وهو التعدي لحدود الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾[١]، **وظُلْم الإنسان لغيره:** وهو الظُّلْم المتعدي للغير من إنسانٍ أو حَيَوان وهو الاعتداء الذي نهى الله عنه بقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾[٢].

وكلما اتَّسعَ عدد من ظُلِم ازداد الإثم وعظُمَتِ العقوبة، ومن ذلك الرُّكونُ إلى الظالمِ والرِّضى بظلمه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣ ﴾[٣].

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله ورضي عنه: « يا إمام أنا أقوم بالخِياطة للحاكم الظَّالم فهل أنا من أعوان الظلمة؟ فردَّ عليه الحسن البصرى قائلاً: أنت من الظَّلمة أنفسهم؛ وإنَّما أعوان الظلمة من يبيع لك القماش والخيوط». وقال الجلَّاد للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ورضي عنه: سامحني يا إمام فأنا أجلدك بالسَّوط لأني (عبد مأمور) فقال له الإمام أحمد بن حنبل: « لولاك ماظلموا فأنت ومن أمرك بظلمي فى الذنب سواء». بل يجب شرعـًا الأخذُ على يد الظَّالم وحجزُه عن الظُّلْم، فمن عَجَز عن ذلك أو خشِي أن تتسع دائرة الظلم وأن يَعُمَّ فلينكر ذلك ولْيَكْرهْه؛ قال رسول الله ﷺ: (**إنَّهُ سيَكونُ علَيكُم أئمَّةٌ تعرفون منهم وتُنكِرونَ، فمَن أنكرَ فقد برِئَ، ومَن كرِهَ فقد سلِمَ، ولكِن مَن رضيَ وتابعَ، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ أفلا نقاتلُهُم ؟ قالَ: لا، ما صلَّوا**)[٤].

۞ وقال العارفون: من لم يستطع أن يقول الحق فلا يُصَفِّق للباطل، فمن

---

[١] سورة الطلاق، الآية (١)

[٢] سورة البقرة، الآية (١٩٠)

[٣] سورة هود، الآية (١١٣)

[٤] رواه الإمام مسلم

نصر الباطل وأعان الظالم فقد ظلم الحق وأهله، وباء بالإثم الأكبر.

وما شُرِّعت الحروب في الفتوحات الإسلامية إلا لتخليص الناس من الظلم والظالمين ولنشر العدل والرحمة بين عباد الله، جعلنا الله وإيَّاكم من أهل العدل والرحمة، وعافانا من الظُّلْم، وقصم الظالمين وأراح منهم العباد والبلاد؛ ففي الحديث: عن أبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عليه بجِنَازَةٍ، فَقالَ: (**مُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَاحٌ منه**)، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ما المُسْتَرِيحُ والمُسْتَرَاحُ منه؟ قالَ: (**العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِن نَصَبِ الدُّنْيَا وأَذَاهَا إلى رَحْمَةِ اللهِ، والعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ منه العِبَادُ والبِلَادُ، والشَّجَرُ والدَّوَابُّ**)[١].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٩١ - [ظَفَرُ الكريمِ يُنجي، وظَفَرُ اللئيمِ يُردي].

أقول: المؤمن الكريم؛ أي: المتصف بكرم النفس ومكارم الأخلاق إذا ظَفِرَ بخصمه أو ظالمه فإنه يمنُّ عليه بالعفو والنجاة، وسيِّدُنا رسول الله ﷺ عندما فتح الله عليه مكة وظَفِر بأعدائه قال لهم: (**ما تظنُّون أنِّي فاعل بكم؟**)، قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: (**لا تثريب عليكم اليوم؛ اذهبوا فأنتم الطلقاء**)، وكسب القلوب أهمُّ عند الحكماء من كسب المواقف كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكذلك إذا ظَفِر بما كان يُؤمِّله من عَرَض الدنيا يكون سبب نجاته وسعادته وسعادة من حوله لأنه يَمُنُّ عليهم بما منَّ الله به عليه، بينما اللئيم لا يصفح ولا يعفو ولا يغفر، ولا يعاون من حوله من أرحامه وجيرانه، ولا يُعين من احتاج لمعونة من إخوانه وأصحابه.

واللؤم صفة وخُلُق ذميم، واللَّئيم هو: الشَّحيح والدَّنيء النَّفس والمَهِين،

---

[١] رواه البخاري

واللُّؤْم ضدُّ الكَرَم، وقال ابن قتيبة الدِّينوَرَي ﷺ: « يذهب النَّاس إلى أنَّهما سواء، وليس كذلك؛ إنَّما البخيل: الشَّحيح الضَّنِين، واللَّئيم: الذي جمع الشُّحَّ، ومَهَانة النَّفس، ودناءة الآباء، يقال: كلُّ لئيم بخيل، وليس كلُّ بخيل لئيماً».

۞ وقيل لبعض الحكماء: ما الجُرْح الذي لا يندمل؟ قال: « حاجة الكريم إلى اللئيم، ثم يردّه بغير قضائها»، قيل: فما الذي أشدُّ منه؟ فقال: « وقوف الشريف بباب الدَّنِيء ثُمَّ لا يُؤذَن له»، وقال سيِّدنا عليُّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: « إذا قدَرْت على عدوِّك، فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه ».

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٩٢ - [ظُلمُ المرءِ في الدنيا عُنوان شقاءِ الآخرة].

أقول: ظُلْمُ الإنسان لنفسه بتَعدي حدٍّ من حدود الله تعالى، أو ظلمه لغيره بالاعتداء على حقٍّ خاصٍّ أو عامٍّ؛ علامة على شقائه في الدار الآخرة إن لم يتب إلى الله عز وجل ويُرجع الحقوق إلى أهلها، فالعاقل السعيد في الدنيا والآخرة هو من تاب وأصلح وقلَّل من خصمائه يوم القيامة فيأتي خفيف الظَّهْر لا يخاصم أحداً ولا يخاصمه أحد، وقد دلَّ على هذا المعنى كثير من النصوص القرآنية والنبوية الكريمة فطوبى لمن تدبَّرها وعمل بمقتضاها، منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾[١]، وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (**من كانت عنده مظلِمة لأخيه من عِرْضه أو من شيءٍ فليتحلله منه اليوم قبل ألَّا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخِذَ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخِذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**)[٢].

۞ والصفح والعفو عمَّن أساء إليك، والإحسان إليه؛ أحبُّ إلى الله تعالى

---

[١] سورة يونس، الآية (٥٤)

[٢] رواه البخاري

وأعظم لجزاء العبد عند الله تعالى؛ قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[١].

وقال الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**المُسْتَبّانِ ما قالا مِن شَيْءٍ فَعَلى البادِئِ حَتّى يَعْتَدِيَ المَظْلُومُ. ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾)[٣]

وفي قَوْلُهُ تَعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ أمَرَ اللهُ مُنادِيًا يُنادِي: ألا لِيَقُمْ مَن كانَ لَهُ عَلى اللهِ أجْرٌ فَلا يَقُومُ إلّا مَن عَفا في الدُّنْيا فَذَلِكَ قَوْلُهُ:** ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾)[٤]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أيضًا قالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ نادى مُنادٍ: مَن كانَ لَهُ عَلى اللهِ أجْرٌ فَلْيَقُمْ فَيَقُومُ عُنُقٌ كَثِيرٌ فَيُقالُ لَهم: ما أجْرُكم عَلى اللهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ الَّذِينَ عَفَوْنا عَمَّنْ ظَلَمَنا؛ وذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تعالى:** ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ **فَيُقالُ لَهُمُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِإذْنِ اللهِ**)[٥].

وعَنِ الحَسَنِ رحمه الله قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إذا وقَفَ العِبادُ لِلْحِسابِ يُنادِي مُنادٍ: لِيَقُمْ مَن أجْرُهُ عَلى اللهِ فَلْيَدْخُلِ الجَنَّةَ، ثُمَّ نادى الثّانِيَةَ لِيَقُمْ مَن أجْرُهُ عَلى اللهِ؛ قالُوا: ومَن ذا الَّذِي أجْرُهُ عَلى اللهِ؟ قالَ: العافُونَ عَنِ النّاسِ، فَقامَ كَذا وكَذا ألْفًا فَدَخَلُوا الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ**)[٦].

---

[١] سورة آل عمران، الآية (١٣٤)

[٢] سورة الشورى، الآية (٤٠)

[٣] رواه الأئمة مسلم، وأحمد، وأبوداود، والترمذي، وابن مَرْدُويَه.

[٤] رواه ابن مَرْدُويه

[٥] رواه ابن مَرْدُويه

[٦] رواه البيهقي في شعب الإيمان، وابن أبي حاتم، وابن مَرْدويه

وعَنْ أنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: (**يُنادِي مُنادٍ: مَن كانَ أجْرُهُ عَلى اللهِ فَلْيَدْخُلِ الجَنَّةَ مَرَّتَيْنِ فَيَقُومُ مَن عَفا عَنْ أخِيهِ؛ قالَ اللهُ تعالى:** ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾)[١]. وعَنِ الحَسَنِ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إنَّ أوَّلَ مُنادٍ مِن عِنْدِ اللهِ يَقُولُ: أيْنَ الَّذِينَ وقع أجْرُهم عَلى اللهِ؟ فَيَقُومُ مَن عَفا في الدُّنْيا فَيَقُولُ اللهُ تعالى: أنْتُمُ الَّذِينَ عَفَوْتُمْ لِي بَوَّأْتُكُمُ الجَنَّةَ أوْ قالَ: ثَوابُكُمُ الجَنَّةُ**)[٢].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ المُنْكَدِرِ ﷺ قالَ: « إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ صَرَخَ صارِخٌ: ألا مَن كانَ لَهُ عَلى اللهِ حَقٌّ فَلْيَقُمْ، فَيَقُومُ مَن عَفا وأصْلَحَ »[٣].

وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**يُنادِي مُنادٍ يَوْمَ القِيامَةِ: لا يَقُومُ اليَوْمَ أحَدٌ إلّا مَن لَهُ عِنْدَ اللهِ يَدٌ؛ فَتَقُولُ الخَلائِقُ: سُبْحانَكَ بَلْ لَكَ اليَدُ فَيَقُولُ: بَلى مَن عَفا في الدُّنْيا بَعْدَ قُدْرَةٍ**)[٤].

وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**قالَ مُوسى بْنُ عِمْرانَ عليه الصلاة والسلام: يا رَبِّ مَن أعَزُّ عِبادِكَ عِنْدَكَ؟ قالَ: مَن إذا قَدَرَ غَفَرَ**)[٥].

وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّ رَجُلاً شَتَمَ أبا بَكْرٍ والنَّبِيُّ ﷺ جالِسٌ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجَبُ ويَتَبَسَّمُ فَلَمّا أكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وقامَ فَلَحِقَهُ أبُو بَكْرٍ فَقالَ يا رَسُولَ اللهِ كانَ يَشْتِمُنِي وأنْتَ جالِسٌ فَلَمّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ غَضِبْتَ وقُمْتَ! قالَ: (**إنَّهُ كانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ فَلَمّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وقَعَ الشَّيْطانُ فَلَمْ أكُنْ لِأقْعُدَ مَعَ الشَّيْطانِ، ثُمَّ قالَ: يا أبا بَكْرٍ ثَلاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: ما مِن عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلِمَةٍ فَيُغْضِي عَنْها لِلَّهِ إلّا أعَزَّ اللهُ بِها نَصْرَهُ، وما فَتَحَ رَجُلٌ بابَ**

[١] رواه البيهقي

[٢] رواه ابن مردُويه

[٣] رواه سعيد بن منصور، وابن المنذر

[٤] رواه ابن مردويه، والبيهقي

[٥] رواه البيهقي

عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِها صِلَةً إلّا زادَهُ اللهُ بِها كَثْرَةً، وما فَتَحَ رَجُلٌ بابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِها كَثْرَةً إلّا زادَهُ اللهُ بِها قِلَّةً)[١].

۞ وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

من نال مني أو عَلِقْتُ بذمتـــه ... أبرأتـــه لله شـــاكر مِنَّتـــه
أَأُرى أُعوِّق مؤمنـًا يوم الجـزا ... أو أن أَسُوءَ محمّـداً في أُمتِـهِ

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٩٣ - [ظَلَمَ المعروفَ مَن وضعَه في غير أهله].

أقول: المؤمن مدعوٌّ في درجات الكمال أن يفعل المعروف مع أهله ومع غير أهله وقد ورد في الترغيب بذلك أحاديث و آثار منها:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَإِلَى مَنْ لَيْسَ بِأَهْلِهِ؛ فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ فَقَدْ أَصَبْتَ، وَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ كُنْتَ أَنْتَ أَهْلَهُ)**[٢].

ورواه: الإمام جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عن أبيه رضي الله عنهم: ولفظه: قَالَ: حدثنا سَعِيدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَإِلَى مَنْ لَيْسَ أَهْلُهُ، فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ فَهُوَ أَهْلُهُ، وَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ أَهْلُهُ)**[٣]. والله اعلم

وأما ما ذهب إليه الشَّيخ رحمه الله ورضي عنه فمحمول على ما خُلق من الهوامّ التي خلقت لمحض الشر والأذى كالخمس الفواسق التي أمر الشرع بقتلها في الحل والحرم ففي الحديث: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ

---

[١] رواه أحمد، وأبو داود.

[٢] أخرجه الدارقطني في غرائب مالك، وقال: إسناده ضعيف

[٣] أخرجه القضاعي في مسند الشهاب مرسلاً من طريق سعيد بن مسلمة، قال عنه الدارقطني: ضعيف يُعتبر به.

قال: (**خمس من الدواب كلهن فواسق، يُقتلن في الحرم: الغراب، والحِدَأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور**)[١]، وفي رواية: (**خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم**)[٢]، وزِيد عليها غيرها مما هو في معناها، أو أن كلام الشيخ محمول على من عملت معه معروفًا من الناس وهو معروف بإنكار المعروف ومقابلته بالإساءة فقد ظلمت المعروف لوضعه في غير أهله، ولا يريد الشيخ قطع المعروف ولا المنع منه، وتسمية ذلك بالظلم من حيث ترك وضعه في أهله، مع عدم حرمان الأجر والثواب عند الله تعالى.

وأما المجهول من الناس قبل معاملته هل هو أهل للمعروف أو لا فغير داخل في كلام الشيخ رحمه الله ورضي عنه، والله أعلم.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٩٤ - [ظَلَمَ الحِكمةَ مَن وضعها في غير أهلها].

أقول: قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في الإحياء: عن نبي الله ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام قال: « لا تضعوا الحِكْمَة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»، وقال: « الحِكْمة خير من الجوهر؛ فلا تُعَلِّقُوا الجوهر في أعناق البهائم » وقيل: « كِلْ لكل عبد بمعيار عقله، وزِنْ له بميزان فهمه؛ حتى تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار».

وسُئل بعض العلماء عن شيء فلم يُجِبْ؛ فقال السائل: أما سمعت رسول الله ﷺ قال: (**من كتم عِلمًا أُلجم بلجام من نار يوم القيامة**)[٣]، فقال له: اترك اللجام واذهب؛ فإن جاء من ينفعه العلم وهو أهل له فكتمته عنه فليلجمني.

---

[١] رواه الشيخان، وأصحاب السنن

[٢] رواه مسلم

[٣] أخرجه ابن حبان، والحاكم، والبيهقي، وبنحوه أبو داود، والترمذي.

وفي قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[١]، تنبيه على أنَّ حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظُّلمُ في إعطاء غيرِ المُسْتَحِقِّ بأقلَّ من الظُّلمِ في منعِ المُسْتَحقِّ؛ كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

فإنْ لَطَفَ الله اللَّطيف بفضله ... وصادفتُ أهلا للعلوم وللحكم
نشرتُ مفيداً واستفدتُ مودةً ... وإلا فمخزونٌ لديَّ ومكتتَم
فَمَنْ مَنَح الجُّهَّال علماً أضاعَه ... ومن منعَ المُستوجبينَ فقد ظلَم

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وأشار إلى صدره: « إن ههنا علوماً جَمَّة لو وجدتُ لها حَمَلة »، وصدق رضي الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسرار؛ فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلمه إلى كل أحد؛ هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به؛ فكيف فيما لا يفهمه؟، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[٢]، أحدُ العارفين بالله عندما طلب منه أحد شيوخ الأزهر الكبار أن يقرأ عليه كتاب الفتوحات المكية لشيخ العارفين الشيخ الأكبر ابن العربي رضي الله عنه فامتنع العارف وأجابه بالآية الكريمة.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٩٥ - [ظِلُّ الكِرام رعاني، وظِلُّ اللِّئَام أرادني].

أقول: مَنْ استظلَّ بظِلِّ الكِرام ودخل تحت كنفهم أظَلُّوه بكرمهم؛ ورَعَوه بإحسانهم فنزيل الكرام لا يضام؛ وفي الأثر: «اصحبوا الصالحين تعيشوا في أكنافهم[٣]، فإن فيهم رحمة الله »[٤].

---

[١] سورة النساء، الآية (٥)

[٢] سورة النساء، الآية (٦)

[٣] قال العلامة المُناوي رحمه الله: جمع كَنَف بالتحريك: الجانب، والناحية، وهذا ترغيب في أن يكون الإنسان رحيماً، فيكون له حمىً، وظِلٌ، وجانبٌ؛ يلجأ إليه البشر، ويحتمون فيه؛ لأن الله سبحانه وتعالى وضع رحمته فيه.

[٤] رواه الطبراني، والقضاعي بنحوه، بإسناد ضعيف.

وأمَّا من استظلَّ بظل لئيم من اللئام فإنه يُرديه ويَستذله ويُهينه، والعِياذ بالله.

۞ قيل لبعض الحكماء: ما الجُرح الذي لا يندمل؟ قال: « حاجة الكريم إلى اللئيم، ثم يردّه بغير قضائها»، قيل: فما الذي أشدّ منه؟ فقال: « وقوف الشريف بباب الدَّنيء ثم لا يُؤذَن له».

ومن أقوال الحكماء في الكريم واللئيم:

۞ عند الخطأ نفسُ الكريمِ تحزنُ وتنصَح، ونفسُ اللّئيمِ تفرحُ وتفضَح.

۞ إذا احتاج اللئيم تواضع وتقرَّب، وإذا استغنى تجبَّر وتكبَّر.

۞ أذلُّ النَّاس معتذِرٌ إلى لئيم.

إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكتـه وإن أنت أكرمتَ اللئيم تمردا

۞ كـن على حَـذَر من الكريـم إذا أهنتَه، ومن اللئيـم إذا أكرمتَه، ومن العاقل إذا أحرجتَه، ومـن الأحمق إذا رَحِمْتَه، ومن الأرعن إذا مازَحته، ومن السـافل إذا عاشرته.

۞ اللؤم عِلَّة؛ أعيت كل طبيب.

۞ مُكوِّنات الخُبْث لؤمٌ، وخِسَّة، وكَذِب.

۞ من أمارات الكَرَم: الرَّحْمة، ومن أمارات الُّلؤم: القسوة.

۞ إنَّ حسن الِّلقاء والبِشْر، مما يزرع الوُدَّ في فؤاد الكريم، وهما يزرعان يومـًا فيومـًا أسوأ الظن في فؤاد اللئيم.

۞ جنِّبْ كرامتك اللئام، فإنك إن أحسنتَ إليهم لم يشكروا، وإن أنزلت بهم شديدة لم يصبروا، العَدِيم من احتاج إلى لئيم، وَعْدُ الكريم نَقْد، وَوَعْدُ اللئيم تسويف، لا تُشر على مُسْتَبِدٍّ، ولا على وَغْد، ولا على مُعْجَب برأيه، ولا على متلوِّن، وخفِ الله في موافقة المستشير، فالتماس موافقته لؤم، وسوء الاستماع منه خيانة، من تَعدَّى على جاره، دل على لؤم نِجاره، سلاح اللِّئام قُبْح الكلام،

إذا لقيتَ اللئيمَ فخالفْهُ، وإذا لقيتَ الكريم فخالِطْه، وحدها العِشرة سوف تكشف لك القريب والغريب، والأيام مقياس للنَّاس، والمواقف تبيّن لك الأصيل، والمُخلِص، والكذاب، والأيام كفيلة؛ فهي تفضح اللئيم، وتعزِّزُ الكريم، اللَّئيم أرضه سَبِخَة لا ينبت، ولا يثمر، وإذا أصبت المؤمن، فازرعه معروفك تحصدْ به شكراً، اللَّئيم الذي يفسده الإحسان، الكريم شَكور، أو مشكور، واللَّئيم كَفور، أو مكفور، اللَّئيم إذا غاب عاب، وإذا حضر اغتاب، أربعة مِن علامات اللُّؤم: إفشاء السِّرِّ، واعتقاد الغَدْر، وغِيبة الأحرار، وإساءة الجوار، اللَّئيم كَذوب الوَعد، خَؤون العهد، قليل الرِّفْد، وإذا استغنى بَطِر، وإذا افتقر قَنِط، وإذا قال أفحش، وإذا سُئِل بخل، وإن سأل ألحَّ، وإن أُسْدِي إليه صنيعٌ أخفاه، وإن استُكْتِم سرَّاً أفشاه، فصديقه منه على حذر، وعدوُّه منه على غرر، أصل كلِّ عداوة: اصطناع المعروف إلى اللِّئام، نسأل الله العافية والسَّلامة، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٩٦ - [ظنُّ أولي النُّهى والألباب؛ أقربُ شيء إلى الصواب].

أقول: أولوا النُّهى والألباب الذين جمعوا بين وظيفة العقل بالنظر والاعتبار، ووظيفة القلب بالمراقبة لله والخشية له؛ فهم أصحاب العقول العاقلة الناظرة المُعتَبِرَة بكل شيء، وأصحابُ القلوب النقية التقية المُخْبِتة إلى ربِّها والراجعة إليه عند كل شيء، وقد جاء وصفهم بذلك في نصوص الكتاب والسنة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾[٢]، وقال النبي ﷺ: **(لِيَلِيَني منكم أولوا الأحلام والنُّهى)**[٣].

---

[١] سورة طه، الآية (٥٤)

[٢] سورة آل عمران، الآية (١٩٠)

[٣] رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي.

وفي ذلك إشارة إلى تقديمهم على غيرهم في الإمامة والاستشارة وغير ذلك من الأمور المهمة، وأشار الشيخ إلى استحباب العمل بما يُلهمهم الله إيَّاه من فهم النصوص والاستنباط، والأخذ برأيهم عند المشورة وإن كانت من قبيل ظني الدلالة؛ وذلك لما آتاهم اللهُ إياه مِن الإلهام والفِراسة؛ ففي الحديث: (**قد يكون في الأُمم مُحدَّثُون، فإن يكُ في أمتي أحد، فعُمر بن الخطَّاب**)[١]، و(**اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، ثمَّ قرأ** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾)[٢]

فيكون ذلك أقرب إلى الحق والصواب من ظنِّ غيرهم ورأيه، وفي سنن الدارمي رحمه الله وبإسناده إلى أبي سلمة الحمصي ﷺ أن النَّبي ﷺ سُئل عن الأمر يحدُث ليس في كتاب ولا سُنَّة قال: (**ينظرُ فيه العابدون من المُؤمنين**) وجاء في طبقات الحنابلة: قال المروزي ﷺ: سمعت أبا عبد الله – يعني الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه – يقول: عبد الوهَّاب الورَّاق رجل صالح، مثلُه يوفَّق لإصابة الحق، وهذا كان جواباً منه ﷺ عندما سُئل: من نجالس من بعدك؟ قال: عبد الوهَّاب الورَّاق، فقيل له: ليس عنده كثير علم، فذكره.

وفَّقنا الله وإياكم أن نكون معهم، نقتبس من أنوارهم ما فيه الحفظ والكمال والرُّشْد، وأن يجعلنا منهم بفضله ومَنِّه. اللهم آمين ياربَّ العالمين.



[١] رواه مسلم، والترمذي، والبخاري بنحوه

[٢] رواه الترمذي

الوصايا الشاذلية

ع

- حرف العين -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٩٧ - [عليكَ بالآخرةِ تأتيكَ الدُّنيا جامعةً صاغرة].

أقول: كلام حق وصدق، مصداقه ما رواهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِن الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ)**[١].

وعَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا هَلَكَ)**[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يجيء القرآن يوم القيامة كالرَّجل الشَّاحِب، يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنتُ أُسهر ليلك، وأُظمِئ هواجرك، وإن كلَّ تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فيعطى المُلك بيمينه، والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حلَّتين لا تقوم لهما الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب، أنَّى لنا هذا؟ فيقال لهما: بتعلُّم ولدكما القرآن)**[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **(لَمَّا أَهْبط الله آدم إلى الأرض قام وِجاه الكعبة فصلى ركعتين، فألهمه الله هذا الدعاء: اللهمَّ إنك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي، اللهمَّ إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي، ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لا يصيبني إلاَّ**

---

[١] رواه الترمذي

[٢] رواه الحاكم

[٣] رواه الطبراني في الأوسط بسند حسن واللفظ له، ورواه أحمد، وابن ماجه بنحوه.

ما كَتبت لي، ورضاً بما قسمت لي، فأوحى الله إليه: (يا آدم إني قد قبلت توبتك وغفرت لك ذنبك، ولن يدعوَني أحد بهذا الدعاء إلاَّ غفرت له ذنبه، وكفيته المهم من أمره، وزجرت عنه الشيطان، واتَّجَرْت له من وراء كل تاجر، وأقبلت إليه الدنيا راغمة وإن لم يُرِدْها)[١].

۞ وروي عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ فيما يرويه عن رَبِّه عَزَّ وجَلَّ: **(بعِزَّتي وعَظَمَتي وجَلالي وارتِفاعي، لا يُؤثِرُ عبدي هَوايَ على هَواه إلَّا أقلَلتُ هُمومَه، ونَزَعتُ الفَقرَ مِن قَلبِه، وجَعَلتُ الغِنى بينَ عَينَيْه، واتَّجَرتُ له وَراءَ كلِّ تاجِرٍ، وعِزَّتي وجَلالي وعَظَمَتي وارتِفاعي، لا يُؤثِرُ عبدٌ هَواه على هَوايَ إلَّا أكثَرتُ هُمومَه ونَزَعتُ الغِنى مِن قَلبِه، وجَعَلتُ الفَقرَ بينَ عَينَيْه، حتى لا أُبالي بأيِّ وادٍ هَلَكَ، وما يَزالُ عبدي يَتحَبَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتى أُحِبَّه، وإنَّ أفضَلَ ما مَشى به عبدي في أرضي النَّصيحةُ، فإذا كان كذلكَ كنتُ بَصَرَه الذي يُبصِرُ به، وسَمعَه الذي يَسمَعُ به، وفُؤادَه الذي يَعقِلُ به، إنْ دَعاني أجَبتُه، وإنْ سألَني أعطَيتُه، أُولئكَ الذين إذا أرَدتُ بأهلِ الأرضِ عَذاباً نَظَرتُ إليهم فرَدَدتُه عنهم بهم)**[٢].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٩٨ - [عليكَ بالحِكْمة فإنها الخَلَّة الفاخرة].

أقول: الحكمة فعل ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، وقد قسَّمها العلماء إلى: حكمةٍ عِلْمية، وحكمة عَمَلية، وحكمة دَعَوية، أما الحكمة العِلْمية فهي: معرفة حِكَمَ الأحكام، وشهود حِكْمة الحكيم سبحانه

---

[١] قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه النضر بن طاهر وهو ضعيف.

[٢] قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني، وفي سنده مجاهيل، أقول: ولبعض عباراته شواهد في الصحيح، والله تعالى أعلم.

عند جميع الأقدار والمقادير.

وفي كُلِّ شيءٍ له حكمةٌ تَدُلُّ على أنه الحاكمُ

قال الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾[١].

وأما **الحكمة العملية** فهي: المتعلقة بعلم الاجتماع وآدابه؛ وما يتعلق بذلك من قول وفعل وهيئة.

وأما **الحكمة الدَّعَوية**: فهي علم تأليف القلوب بالمودَّة، وتوجيهها لمعرفة الله تعالى؛ والصُّلْحِ والأدب معه؛ ومع رسوله ﷺ، وعباد الله وعامَّة خلقه، فالداعي إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة هو الذي يحبِّب الله إلى خلقه؛ ويحبِّب العباد بربهم وخالقهم سبحانه.

فهذه الحكمة بأقسامها وصفها الشيخ رحمه الله بأنها الخَلَّة الفاخرة التي لا يماثلها شيء من الخِلال لما فيها من الخير الكثير في الدنيا والآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾[٢].

وقد سمَّى الله تعالى سورة في القرآن باسم عبد من عباده آتاه الله الحكمة وهو ليس بنبيٍّ ولا رسول؛ إنه لقمان الحكيم عليه رضوان الله، وذكر بعض وصاياه، وذكر النبي ﷺ في أحاديثه بعض حكمه، وفي هذا تشريع من الله سبحانه لعباده ومن رسول الله ﷺ لأمَّته أن يُدونوا حكمة الحكماء، وأن ينقلوها ويعلموها الناس، وقد جمعت مصنفات في ذلك تُعرف بكتب الحكم؛ وفي حديث حسد الغِبْطة: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النَّبي ﷺ يقول: (**لا حسدَ إلا في اثنتين:**

---

[١] سورة الأنعام، الآية (٩٦)، وسورة يس، الآية (٣٨)، وسورة فُصِّلت، الآية (١٢).

[٢] سورة البقرة، الآية (٢٦٩)

رجلٍ آتاه الله مالاً فسلَّطه على هَلَكتِه في الحق، ورجلٍ آتاه الله حكمةً فهو يَقْضي بها، ويُعلِّمها)[١].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٩٩ - [عليك بالسَّكينة، فإنها أحسن وأفضل زينة].

أقول: السكينة تُذكر بمعنيين:

١ - ما يُنزِله الله تعالى في قلوب عباده المؤمنين من زيادة اليقين، والثبات على الحقِّ، والصَّبر على الطَّاعة؛ وعلى البلاء والإيذاء؛ وعن المعاصي وحظوظ النفس، ومظانّ تنزلها في قلوب المؤمنين في مجالس القرآن ومدارسته، ومجالس الذكر، وعند مجالسة الصالحين، وسماع أخبارهم؛ قال الله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾[٢]، وقال سبحانه:

﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[٣].

وقال رسول الله ﷺ: **(ما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلونَ كتابَ اللهِ، ويتدارسونَهُ فيما بينَهم إلَّا نزلَت عليهِم السَّكينةُ، وغشِيَتهُمُ الرَّحمةُ، وحفَّتهُمُ الملائكَةُ، وذكرَهُمُ اللهُ فيمَن عندَهُ)**[٤].

وسُئل الإمام الجنيد رحمه الله عن الفائدة من حكايات الصالحين، فقال: الحكايات جُند من جنود الله تعالى، يُقوِّي بها قلوب المريدين؛ قيل له: فهل

---

[١] رواه الشَّيخان.

[٢] سورة الفتح، الآية (٤)

[٣] سورة الفتح، الآية (١٨)

[٤] رواه الإمام مسلم

في ذلك شاهد؟ فقال ﷺ: نعم، قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[١]، فإذا نزلت السَّكينة في قلب العبد صار الوجود كلُّه سكنًا له، ويدخل في عموم ذلك زوجُه وبيتُه، وقد سمَّاهما الله تعالى سَكَنًا، ومن لم تنزل في قلبه السَّكينة لا يجد السَّكَن في شيء؛ بل يجد ضده من النُّكْس والقلق والاضطراب والشِّقاق وذلك من آثار المعاصي؛ قال الفضيل بن عِياض ﷺ: « إني لأعصي الله فأجد أثر ذلك في خُلُق زوجتي ودابَّتي »، وعلى هذا المعنى حُمِل حديث (**اللهمَّ أحيني مِسْكِينًا**)[٢] أي: من سكن قلبه مع الله تحت مجاري الأقدار فأورثه ذلك الإنابة والإخبات والرضا عن الله تعالى، فالمراد بالمَسْكَنة هنا: التواضع والإخبات، وليس المرادُ قلة المال.

٢ - والمعنى الثاني للسَّكينة: الهدوءُ والتُّؤدَة، وعدمُ الطَّيش والعَجَلة، والرِّفق في الشأن كله، والتعقل، وهو المراد هنا، والله أعلم.

وقد أرشد إليه رسول الله ﷺ بقوله: (**إذا أُقيمت الصَّلاة فلا تأتوها وأنتم تَسْعَون، وأتوها وأنتم تمشون، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فأتِمُّوا**)[٣]؛ وفي حديث ضعيف مرفوعًا وموقوفًا: (**تعلَّموا العلم وتعلَّموا له السَّكينة والوَقار، وتواضَعُوا لمن تتعلَّمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء**)[٤].

ومدح بذلك رسول الله ﷺ أشجَّ عبد القيس ﷺ فقال: (**إن فيك خَصْلَتين يُحبُّهما الله الحِلمُ والأناة**)[٥]، وفي حديث عن عائشة ﷺ: أَن النبيَّ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ**

---

[١] سورة هود، الآية (١٢٠)

[٢] رواه الترمذي، وقال حديث غريب

[٣] متفق عليه

[٤] رواه الحافظ ابن عبد البر في الجامع

[٥] رواه مسلم

اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ، وَما لا يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ)[١]، وعنها رضي الله عنها: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الرِّفقَ لا يَكُونُ في شيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ)**[٢]، اللهم أنزل السَّكينة في قلوبنا، واجعل الوجود كُلَّه سَكَنًا لنا، وارزقنا التُّؤدَة والحِلْم والأَنَاة والوَقار؛ لنكون محبوبين عندك وعند رسولك المصطفى ﷺ، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٠٠ - [عليك بالمُوَاصلة والمُوافقة، وإياك والمُقاطعة والمُفارقة].

أقول: من أخلاق الإيمان التي يتخلق بها المؤمن الكامل؛ التواصلُ مع أرحامه وإخوانه ومعارفه وأصدقائه، وموافقتُهم على كل محبوب، مأذونٍ به في الشرع، ومُرَغَّبٍ فيه؛ لينال بذلك محبة الله؛ ففي الحديث القدسي الصحيح: قال الله تعالى: **(وَجَبتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحابِّينَ فِيَّ، والمُتَجالسين فِيَّ، والمتزاورين فِيَّ، والمتباذلين فِيَّ)**[٣]، وفي رواية: **(حقَّتْ مَحَبَّتِي على الْمُتَحابِّينَ فِيَّ، وحقَّتْ مَحَبَّتِي على المتناصحين فِيَّ، وحقَّتْ مَحَبَّتِي على الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وحقَّتْ مَحَبَّتِي على الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ)**[٤].

فهنيئًا لمن تخلَّق بهذه الأوصاف فصار محبوبًا عند الله ومع أحباب الله تعالى، وإذا ثبتت هذه الأوصاف وصارت خُلُقًا راسخًا؛ انتفت أضدادها من المفارقة والمقاطعة من أجل دنيا، أو حظِّ نفس، لا لحقّ شرعيّ كهجرةٍ ومفارقة المتلَبِّس بمعصيةٍ المُجاهرِ بها فإنها تجب، وإذا أمكن لقاؤه ونصيحته وإكرامه

---

[١] رواه مسلم

[٢] رواه مسلم

[٣] رواه مالك، وأحمد

[٤] رواه ابن حبان، وأحمد باختلاف يسير، والترمذي مختصراً

بقصد هدايته في حال عدم تلبُّسِه بالمعصية ومجاهرته بها فلا حرج، بل هو من أخلاق كبار الدعاة إلى الله والذين هدى الله على أيديهم كثيرا من العصاة، ولتكن المفارقة بالمعروف من غير إيذاء ولا بَذَاء ولا فحش من القول؛ كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

إذا شئتَ أن تحيا سليماً من الأذى ... وحظُّك موفورٌ وعِرضُك صيّنُ

لسانُك لاتذكرْ به عورة امرِىءٍ ... فكلُّكَ عوراتٌ وللنَّاسِ ألسُنُ

وعينُك إن أبدت إليك مساوِئاً ... فصُنها وقلْ ياعينُ للنَّاس أعينُ

وعاشرْ بمعروفٍ وسامحْ من اعتدى ... وفارقْ ولكن بالتي هي أحسنُ

وفَّقنا الله لمحابِّه من الأخلاق والأعمال، والتطهُّر والتزكي من كل وصف وفعل يحجبنا عن حضرته جلّ جلاله وعمّ نواله، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٠١ - [على قَدْر شرَف النَّفْس تكون المُروءة، وعلى قدْر الدِّين يكون اليقين].

أقول: قال علماء النفس: المُروءة: هي خُلُق جليل وأدبٌ رفيع تميَّز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات، المُروءة خَلَّةٌ كريمة وخَصْلَةٌ شريفة، وهي: أدب نفساني تحمل الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، وهي: صدقٌ في اللسان، واحتمال للعَثَرات، وبذلٌ للمعروف، وكفٌّ للأذى، وصيانةٌ للنفس، وطلاقة للوجه، فهي كلمة لها مدلولها الكبير الواسع، فهي تدخل في الأخلاق والعادات، والأحكام والعبادات، المُروءة:هي اتِّصاف النَّفْس بصفات الكمال الإنساني التي فارق بها الحَيَوان البهيم، وهي غَلَبة العقل للشهوة، وحدُّ المُروءة: استعمال ما يُجمِّل العبد ويَزينه، وترك ما يُدنِّسه ويَشينه، سواءٌ تعلَّق ذلك به وحده، أو تعداه إلى غيره، المُروءة من

خصال الرُّجولة فمن كانت رجولته كاملة كانت مُروءته حاضرة، وأهمّ دواعي المُروءة شيئان: أحدهما: علوُّ الهمَّة. والثاني: شَرَف النَّفْس.

۞ قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: « والله لو كان الماء البارد يُنقص من مُروءتي لشربته حاراً »، وقال الماوَرْديُّ رحمه الله: « المُروءَة مُراعاةُ الأحوال إلى أن تكون على أفضلها، حتَّى لا يظهر منها قبيحٌ عن قصد، ولا يتوجَّه إليها ذمٌّ باستحقاق».

وقال ابن عَرَفة رحمه الله: « المُروءَة هي: المحافظَةُ على فِعْل ما تَرْكُه من مُباحٍ يُوجِبُ الذَّمَّ عُرْفًا، وعلى ترْك ما فعلُه من مُباحٍ يوجبُ ذَمَّه عُرْفًا ».

وقال الفيُّومي رحمه الله: « المُروءَة آدابٌ نفسانيَّة، تحمل مراعاتُها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات».

فتبيَّن من هذا أن المُروءة: خلُقٌ كريم يتَّصف به الكاملون، ومن علاماته: علوُّ الهمَّة عن سفاسف الأمور، وإعانةُ كلِّ محتاج، وإغاثةُ كلِّ ملهوف، و إجابةُ كلِّ طالب وسائل، وقد كادت أن تفقد المروءة عند كثير من الناس؛ قال الشاعر:

مررتُ على المُروءة وهي تبكي ... فقلتُ علامَ تنتحبُ الفتاةُ

فقالت كيف لا أبكي وأهلي ... جميعاً دون خلق الله ماتوا

۞ ثم بيَّن الشَّيخ رحمه الله تعالى:

أنَّه على قدر دِين المرءِ يكون يقينُه؛ فالناس متفاتون في الدين وفي اليقين؛ فمنهم من يظهر أو يتظاهر بمظاهر التَّدين مع خلوِّ قلبه من اليقين، بل تتقاذفه الشكوك والشبهات ولا يجد لها جوابا يطمئن له، ومنهم من امتلأ قلبه يقينا لكثرة الأدلة والبراهين النقلية والعقلية التي أجمع عليها العقلاء وهي من مسلَّمات العقول السليمة؛ فلا يطرأُ عليه شكٌّ أو شبهة إلا ويدمَغُه بأدلة الحق فإذا هو زاهق، وأورثهُ هذا اليقين صدقَ التَّوجه إلى الله تعالى، وتصديقَه في وعده ووعيده، وصار

يستعدُّ للموت قبل نزوله، و يعمل لما بعد الموت فيما ينفعه من علم وعمل؛ قال الشيخ ابن عطاء الله السكندري ﷺ ورضي عنه: « لو أشرق لك نورُ اليقين لرأيت الآخرة أقربَ إليك من أن ترحل إليها، ولرأيتَ الدنيا قد ظهرتْ كِسفة الفَنَاء عليها»، فهو حينئذ يصبُغ الفانيات بصِبغة الباقيات الصالحات، ويراها أبوابا مفتحة له من الله يأخذها منه، ويرجع منها إليه؛ ليدخل إلى حضرته مناجيًا وعاكفًا، ومراقبًا ومشاهداً، وفَّقنا الله وإيَّاكم إلى محابّه وقربه، وصرفَ عنا وعنكم أسبابَ غضبه، والحُجُبَ عن حضرته، بمَنِّهِ وكرمِه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٠٢ - [عند حضور اللَّذات والشَّهوات يتورع الأتقياء].

أقول: التَّقوى اجتناب المُحَرَّمات، والورعُ اجتناب الشُّبهات؛ فبعد بلوغ مرتبة التقوى ومقام المتقين يُطْلَب الدخول في مقام الورع، وهو من هدي النبي ﷺ وخُلُقِه؛ فعن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ رأى تمرة فقال: (**لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها**)[١].

وعن عطية بن عروة السَّعدي ﷺ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (**لا يَبْلُغُ العبدُ أنْ يكونَ من المتقينَ حتى يَدَعَ ما لا بَأسَ بِهِ، حَذَراً مِمَّا به بَأسٌ**)[٢].

فإذا كان ذلك علامة بلوغ مقام المتقين؛ فإن مقام الورع أدقُّ وأعلى؛ وقد عبَّر عنه سيدنا أبو بكر ﷺ بقوله: «كنَّا ندع سبعين بابًا من الحلال، مخافة أن نقع في باب الحرام»، وقال سيِّدُنا عمر ﷺ: « كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام»، ومن ورعهما ﷺ: ما رُوي عن عائشة ﷺ قالت: « كان لأبي بكر الصديق ﷺ غلام، يُخرج له الخَرَاج، وكان

---

[١] رواه الشَّيخان البخاري، ومسلم.

[٢] رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

أبــو بكــر يأكل مــن خراجــه، فجاء يومًا بشــيء فــأكل منــه أبو بكــر، فقال له الــغلام: أتدري مــا هذا؟ فقال أبــو بكر: وما هــو؟ قال: كنت تكهَّنت لإنســانٍ في الجاهليــة وما أُحْسِــنُ الكَهانــة، إلا أني خدعتُه، فلقيني، فأعطــاني لذلك هذا الــذي أكلتَــه منه، فأدخــل أبو بكر يده، فقــاء كلَّ شــيء في بطنه»[١].

وعن الحسن بن علي ﷺ قال: « لما احتُضِر أبو بكر ﷺ قال: يا عائشة، انظري اللَّقحة التي كنَّا نشرب من لبنها، والجَفْنة التي كنَّا نصْطَبح فيها، والقَطِيفة التي كنَّا نلبسها، فإنَّا كنَّا ننتفع بذلك حين كنَّا في أمر المسلمين، فإذا مِت فارددیه إلى عمر، فلمَّا مات أبو بكر ﷺ، أرسلت به إلى عمر ﷺ، فقال عمر ﷺ: رضي الله عنك يا أبا بكر، لقد أتعبتَ من جاء بعدك ».

۞ وعن زيد بن أسلم ﷺ: « أنَّ عمر بن الخطَّاب ﷺ شرب لبنًا فأعجبه، فقال للذي سقاه: من أين لك هذا اللَّبن؟ فأخبره أنَّه ورد على ماء قد سمَّاه، فإذا نَعَمٌ من نَعَمِ الصَّدقة، وهم يسقون، فحلبوه لي مِن ألبانها، فجعلته في سِقائي، وهو هذا، فأدخل عمر يده فاستقاءه ».

۞ والورع سبب لاستبراء العِرْض والدِّين؛ فعن النُّعمان بن بشير ﷺ مرفوعًا قال رسول الله ﷺ: (**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرْضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحِمى يُوشِك أن يَرْتعَ فيه**)[٢].

والورع خير خصال الدِّين: ففي حديث (**وخير دِينكمُ الوَرَع**)[٣]، وهو أفضل العبادة؛ ففي الحديث: (**كن ورعًا تكن أعبد الناس**)[٤].

---

[١] رواه البخاري

[٢] رواه الشَّيخان البخاري، ومسلم.

[٣] رواه الحاكم

[٤] رواه الترمذي، وابن ماجه

۞ ومن أقوالهم في الورع:

قال سيدنا أبو الدَّرداء رضي الله عنه: « تمام التقوى أن يتَّقيَ اللهَ العبدُ، حتى يتقيَه من مثقال ذرة، وحتى يتركَ بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حراماً، حجاباً بينه وبين الحرام ».

وقال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه: « جلساءُ الله تعالى غداً أهل الورع والزُّهد».

ورُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « إني لأحبُّ أن أدعَ بيني وبين الحَرَام سُترةً من الحلال لا أَخْرِقَها ».

وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: « ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام ».

وقال أيضاً: « مثقال ذرةٍ من الوَرع، خيرٌ من ألف مِثقال من الصوم والصَّلاة».

وسأل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحسن البصري رحمه الله: « ما مِلاك الدِّين؟ قال: الوَرع، قال: فما آفته؟ قال: الطَمَع».

وقال الشيخ الأستاذ حسَّانُ بن أبي سِنان رحمه الله: « ما مِن شيء أهونُ من الورع، إذا رابكَ شيء فدعه »، وقال الإمام سفيان الثوري رحمه الله: « إنما سُمُّوا المتقين؛ لأنهم اتَّقَوا ما لا يُتَّقى».

وقال التابعي الجليل ميمون بن مِهْران رحمه الله: « لا يَسْلَمُ للرَّجل الحلالُ؛ حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال ».

وقال الإمام أبو بكر الشِّبْلي رحمه الله: « الوَرَع أن يتورَّع عن كلِّ ما سوى الله».

وقال الأستاذ إسحاق بن خَلَف رحمه الله: « الوَرَع في المنطق أشدُّ منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة أشدُّ منه في الذهب والفضة؛ لأنهما يُبْذَلان في طلب الرياسة»، وقال الإمام أبو سُليمان الدَّاراني رحمه الله: «الوَرَع أول الزُّهد، كما أنَّ

القَنَاعة أول الرِّضا »، وقال الإمام يحيى بن مُعَاذ رضي الله عنه: «الوَرَعُ على وجهين: ورعٌ في الظاهر، وورعٌ في الباطن، فورعُ الظَّاهر أن لا يتحرك إلا لله، وورعُ الباطن هو أن لا تُدخل قلبَك سواه »، وقال: « من لم يَنْظرْ في الدَّقيق من الورع؛ لم يصلْ إلى الجليل من العطاء».

وقال الإمام سهل بن عبد الله التُّسْتَري رحمه الله: « الحلال هو الذي لا يُعصَى الله فيه، والصافي منه الذي لا يُنسى الله فيه».

وقيل: « من دقَّ في الدنيا ورعُه – أو نظره – جلَّ في القيامة خَطَرُه » أي: شأنه ومقامه، أقول: ومن يقرأ سِيَر أئمة السلف كالإمام الأعظم أبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم يرى الكثير من شواهد مقام الورع الذي كانوا عليه، وفي كلام الشيخ إشارة إلى التَّورع في اللذات والشَّهوات المباحة وليس التي فيها شبهة ظاهرة أو خفية وهو مقام عالٍ ونفيس.

نرجو الله تعالى أن يُكرمَنا بالتَّحقق به والتَّخلق، وبغيره من مقامات أهل الله الكاملين الأتقياء الورعين رضي الله عنهم أجمعين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٠٣ – [عجبتُ لمن يَظْلِمُ نفسَه كيف يُنْصِفُ غيرَه].

أقول: ظُلْم الإنسان لنفسه يُتَصَوَّر بتعدِّيه لحدٍّ من حدود الله، أو اعتدائه على حق عامّ أو خاصّ، أو إيذائه لمخلوق، فاستبعدَ الشيخ رحمه الله ممن يظلم نفسه أن ينصف غيره من نفسه، أو أن يُؤدِّي الحقَّ الذي عليه لغيره، وعَجَبُ الشيخ من ذلك عند وقوعه على قلة ونُدرة، لأنَّ الظَّالم لنفسه ولغيره لا يُتَصَوَّر منه الإنصاف لغيره والانقياد للحق إلا قهراً عنه من حاكم أو قويٍّ، ولا يكون من باعث إيمانيٍّ

فيه؛ لأن الإنصاف خُلُق من أخلاق كُمَّل المؤمنين كما قال سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما: « ثلاث مَنْ جَمَعَهُنَّ فقد جمع الإيمان؛ الإنصافُ من نفسك، وبذلُ السلام للعالَم والإنفاقُ من الإقتار»[١].

فمن أنصف من نفسه لم يكنْ ظالمـًا لها، وأدَّى حق الله تعالى، وأعطى كل ذي حقٍّ حقَّه؛ حتى إذا جاء يوم القيامة للحساب لم يطالبه أحد بحقٍّ أو مظلِمة، وذلك علامة الفوز والسعادة والفَلَاح.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٠٤ - [عجبت لمن يَجْهَلُ نفسه كيف يَعْرِفُ ربَّه ؟!].

أقول: يتبين معنى قوله هذا بفهم ما قاله الإمام يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى ورضي عنه: « من عرف نفسه فقد عرف ربَّه».

قَالَ الإمام النووي رحمه الله تعالى فِي فَتَاوِيهِ:

مَعْنَاهُ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالضَّعْفِ وَالِافْتِقَارِ إِلَى اللهِ وَالْعُبُودِيَّةِ لَهُ عَرَفَ رَبَّهُ بِالْقُوَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ وَالصِّفَاتِ الْعُلَى.

وَقَالَ الشَّيْخُ تاج الدين بن عطاء الله ﷺ ورضي عنه فِي « لَطَائِفِ الْمِنَنِ »: سَمِعْتُ شَيْخَنَا أبا العباس المُرْسي ﷺ يَقُولُ: « فِي هَذَا تَأْوِيلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَيْ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِذُلِّهَا وَعَجْزِهَا وَفَقْرِهَا عَرَفَ اللهَ بِعِزِّهِ وَقُدْرَتِهِ وَغِنَاهُ، فتكُونُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ أَوَّلاً ثُمَّ مَعْرِفَةُ اللهِ مِنْ بَعْدُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ دَلَّ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى أَنَّهُ عَرَفَ اللهَ مِنْ قَبْلُ، فَالْأَوَّلُ حَالُ السَّالِكِينَ، وَالثَّانِي حَالُ الْمَجْذُوبِينَ ».

۞ وقال أبو طالب المَكِّي ﷺ ورضي عنه في « قوت القلوب »: معناه « إذا

---

[١] رواه البخاري معلقـًا بصيغة الجزم

عرفتَ صفات نفسك في معاملة الخلق وأنك تكره الاعتراض عليك في أفعالك، وأن يُعَاب عليك ما تصنعه، عرفت منها صفات خالقك، وأنه يكره ذلك فارضَ بقضائه، وعامله بما تحب أن تُعَامَل به».

۞ وقال الشيخ عِزُّ الدِّين عبد السلام المقدسي رحمه الله: «قد ظهر لي مِنْ سِرِّ هذا القول ما يجب كشفُه ويُسْتَحْسَن وصفُه؛ وهو أن الله سبحانه وتعالى وضع هذه الرُّوح الرُّوحانية في هذه الجُثَّة الجثمانية؛ لطيفةً لاهوتية موضوعة في كثيفة ناسوتية دالة على وحدانيته وربانيته».

ووجه الاستدلال بذلك من عشرة أوجه:

الأول: أن هذا الهيكل الإنساني لما كان مفتقراً إلى مدبِّرٍ ومحرِّكٍ وهذه الرُّوحُ تُدبرُه وتحرِّكه علمنا أن هذا العالَم لا بدَّ له من مدبِّر ومحرِّك.

الوجه الثاني: لما كان مدبِّر الجسد واحداً وهو الرُّوح علمنا أن مدبِّر هذا العالَم واحد لا شريك له في تدبيره وتقديره، ولا جائزٌ أن يكون له شريك في ملكه، قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[١]، وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾[٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[٣].

الوجه الثالث: لمَّا كان هذا الجسد لا يتحرَّك إلا بإرادة الرُّوح وتحريكها له علمنا أنه مُريد لما هو كائن في مُلْكه لا يتحرَّك متحرِّك بخير أو شرٍّ إلا بتقديره

---

[١] سورة الأنبياء، الآية (٢٢)

[٢] سورة الإسراء، الآيات (٤٢ - ٤٣)

[٣] سورة المؤمنون، الآية (٩١)

وإرادته وقضائه.

الوجه الرابع: لمَّا كان لا يتحرَّك في الجسد شيء إلا بعلم الرُّوح وشعورها به لا يخفى على الرُّوح من حركات الجسد وسكناته شيء علمنا أنه لا يعزُب عنه مثقالُ ذرَّة في الأرض ولا في السماء.

الوجه الخامس: لمَّا كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء أقربَ إلى الرُّوح من شيء، بل هو قريب إلى كلِّ شيء في الجسد، علمنا أنه قريب إلى كل شيء، ليس شيء أقربَ إليه من شيء، ولا شيء أبعدَ إليه من شيء لا بمعنى قرب المسافة؛ لأنه منزَّه عن ذلك.

الوجه السادس: لمَّا كان الرُّوح موجوداً قبل وجود الجسد ويكون موجوداً بعد فناء الجسد علمنا أنه سبحانه وتعالى موجود قبل كون خَلْقِه، ويكون موجوداً بعد فقد خلقه، ما زال ولا يزال، وتقدَّس عن الزَّوال.

الوجه السابع: لمَّا كان الرُّوح في الجسد لا يُعرَف له كيفية علمنا أنه مقدَّس ومنزَّه عن الكيفية.

الوجه الثامن: لمَّا كان الرُّوح في الجسد لا يُعرَف له أينية علمنا أنه منزَّه عن الكيفية والأينية فلا يوصف بأين ولا بكيف بل الرُّوح موجود في كل الجسد ما خلا منه شيء من الجسد، وكذلك الحقُّ سبحانه وتعالى موجود في كل مكان- بتعلق صفاته كالعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر - وتنزَّه عن المكان والزمان.

الوجه التاسع: لمَّا كان الرُّوح في الجسد لا يُدْرَك بالبصر ولا يُمثَّل بالصُّوَر علمنا أنه لا تُدركُه الأبصار، ولا يُمَثَّل بالصُّوَر والآثار، ولا يُشَبَّه بالشموس والأقمار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[١].

---

[١] سورة الشورى، الآية (١١)

الوجه العاشر: لمَّا كان الرُّوح لا يُحَسُّ ولا يُمَسُّ علمنا أنه منزَّه عن الحِسِّ والجسم والَّلمس والمَسِّ، فهذا معنى قوله: من عرف نفسه عرف ربه، فطوبى لمن عرف، وبذنبه اعترف.




الوصايا الشاذلية
غ

- حرف الغين -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٠٥ - [غايةُ المعرفة أن يعرفَ المرءُ نفسَه].

أقول: لأنه كما تقدَّم من عرف نفسَه فقد عرف ربَّه؛ ولذا لما سُئِل أحد العارفين: ماذا استفدت من العلم وصحبة الصالحين؟أجاب بقوله:عرفتُ نفسي، ووقفتُ عند حَدِّي، وتأدبتُ مع ربي، وتخلَّقتُ بالإحسان إلى خلقه.

وفي الحكم العطائية: « لولا ميادين النفوس لما تحقق سير السائرين»، وفيها: « حرّك عليك النَّفْس ليدومَ إقبالُك عليه».

فمن أراد الله به خيراً بصَّره بنفسه، ووفَّقه إلى الكشف بما أودعه فيها من الآيات الدَّالَّة على وحدانيته وقدرته تعالى؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[١].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٠٦ - [غايةُ الإنصاف أن يُنْصِفَ الإنسانُ من نفسه].

أقول: رجوعُ الإنسان إلى الحقِّ والإقرارُ به وأداؤه لمستَحقِّه لا يقوى عليه إلا من جاهد نفسه في الله وانتصر عليها، وكذلك الاعترافُ بالخطأ، والرجوعُ إلى الصَّواب إذا ظهر على لسان غيره؛ من علامة الكمال في الإنسان وصحة إسلامه وإيمانه، وشاهد ذلك ما تقدَّم عن عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما قال: « ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان؛ الإنصافُ من نفسك، وبذلُ السَّلام للعالَم، والإنفاقُ من الإقتار».

۞ وقيل: الإنصاف بكسر الهمزة: العدل.

وعرَّفه ابن الأعرابي رحمه الله بأنه: أن تُعطيَ من الحقِّ كالذي تَستَحِقُّه لنفسك.

---

[١] سورة الذاريات، الآيات (٢٠ - ٢١)

وعرَّفه المُناوي ﷺ بقوله: الإنصافُ في المعاملة العَدْل، بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يُعطيه، ولا يُنيله من المضارِّ إلا كما يُنيله، وقيل: هو استيفاءُ الحقوق لأربابها، واستخراجُها بالأيدي العادلة، والسياساتِ الفاضلة، وهو والعدل توأمان، نتيجتهما علوُّ الهمة، وبَراءة الذِّمة، باكتساب الفضائل، واجتناب الرذائل.

وقد أمرنا الله تعالى بالعدل ولو على النَّفْس والأقارب فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾[٢].

وأعلى درجات ذلك إنصافُ المظلوم من ظالمه بأخذ حقِّه له للقادر على ذلك، ومن قَدَر على ذلك فلم يفعل يُعَذَّب في قبره؛ ودليل ذلك: ما رواه ابنُ مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: (**أُمرَ بعبدٍ من عبيد الله أن يُجلَدَ في قبره مائة جلدة، فما زال يسأل الله عزَّ وجلَّ حتى صارت جلدة، فلما ضُرب اشتعل عليه قبره ناراً، فلما أفاق قال: علام جلدتموني؟ فقيل له: إنك صليتَ صلاة من غير طُهور، ومررتَ على مظلوم فلم تنصره**)[٣].

---

[١] سورة المائدة، الآية (٨)

[٢] سورة الأنعام، الآية (١٥٢)

[٣] رواه الطَّحاوي، وعبد الرزاق في المصنَّف، وابن أبي شيبة.

❁ وقال رحمه الله تعالى:

١٠٧ - [غايةُ الإيمان الموالاةُ لله، والمعاداة في الله].

أقول: الإيمان على درجات، وله أركانٌ وشُعَبٌ عَقَدية وعبادية وأخلاقية، ومن أفضلها وأعلاها الحبُّ في الله ولله، والبُغض في الله، وقد دلَّ على ذلك نصوص في الكتاب والسنة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[٢]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾[٣]، وفي الحديث: عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(مَن أحبَّ للهِ وأبغضَ للهِ، وأعطى للهِ ومنعَ للهِ فقدِ استكْملَ الإيمان) [٤].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **(الشَّرَكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، وَأَدْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَوْرِ، أَوْ أَنْ تُبْغِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْعَدْلِ، وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ؟)**[٥].

فالحب لله وفي الله أن تُحِبَّ من أحبَّ الله وأطاعه، والبُغض في الله أن تُبغِض

---

[١] سورة التوبة، الآية (٧١)

[٢] سورة آل عمران، الآية (٢٨)

[٣] سورة النساء، الآية (١٤٤)

[٤] أخرجه أبو داود

[٥] رواه الحاكم في المستدرك

من كفر بالله وعصى رُسُلَه عليهم الصلاة والسلام وعادى أولياءه، والبغض لهؤلاء لما اتصفوا به من عقيدة وعمل، كما قال نبيُّ الله ورسوله لوط عليه الصلاة والسلام لقومه فيما حكاه الله عنه بقوله: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾[١]

وطلب من الله تعالى النَّجاة له ولأهله من أعمال قومه فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[٢].

وهكذا المؤمن يُعرِض عن المشركين وعن شركهم بغضاً لهم وحباً في الله تعالى، ويُعرِض عن الجاهلين وجهلهم بغضاً لهم وحباً في الله تعالى، وكل ذلك امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾[٣] ولقوله سبحانه: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[٤].

وفي مقابل ذلك يُقبِل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء والصالحين والمؤمنين رضي الله عنهم ويواليهم ويُحِبُّهم وينصرُهم، فمن تخلق بذلك فقد استكمل الإيمان، جعلنا الله وإيَّاكم من أكمل المؤمنين إيماناً، وأحسنهم إسلاماً بفضله، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٠٨ - [غَناء العاقل بقلبه، وغَناء الجاهل بماله].

أقول: قال في اللسان: الغِنى- مقصور- ضد الفقر، فإذا فُتح مُدّ - الغَناء - والغَناء - بالفتح - النفع أيضاً، والغِناء- بالكسر- السماع، فأراد الشيخ رحمه الله تعالى بيان أن غِنى العاقل في قلبه بتوكله على الله تعالى وثقته به واعتماده عليه،

---

[١] سورة الشعراء، الآية (١٦٨)

[٢] سورة الشعراء، الآية (١٦٩)

[٣] سورة الحجر، الآية (٩٤)، وسورة الأنعام، الآية (١٠٦)

[٤] سورة الأعراف، الآية (١٩٩)

واكتسب ذلك بالعلم بالتوحيد وبإيمانه الكامل وبالعبادات التي أخلص فيها لله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[١]، وقال النَّبي ﷺ: (**ليس الغِنَى عن كَثْرَة العَرَض، ولكن الغِنَى غنى النَّفْس**) [٢] ويقابل ذلك الجاهل فإنه يتوهَّم أنَّ غِناه بالمال فتراه جَموعاً مَنوعاً فيشقى بماله من حيث كان يظن أنه سيسعد به، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ ما السعادةُ جمعَ مال ... ولكــنَّ التَّقي هو السَّــعيدُ

وتقوى الله خير الزَّاد ذُخراً ... وعنــد الله للأتقــى مَـزِيـدُ

ومن أقوال الأدباء:

۞ العقلاء هم الذين يُدرِكون الحَسَنَ من القبيح، والجيِّدَ من الرَّدِيء، والسَّمِين من الغَثِّ، بما وهبهم الله من العقل والذَّكاء، وحسن الطَّوية، وكرم الأخلاق، والاستقامة، بقطع النظر عن حالهم من اليُسْر والعُسْر، فإنهم يعلمون أن المال ليس إلا حليةً قد تلبسها اليوم وتخلعها غداً، وأن الإيمان والتوكل على الله والعلمَ به هو الزِّينة الدائمة، والجمالُ الذي يزداد يومـاً بعد يوم إشراقـاً وبهاءً.

۞ من استطاع منكم أن يجعلَ كنزَه في السَّماء حيث لا يأكله السُّوس، ولا يناله السُّرَّاق فليفعل؛ فإن قلبَ الرَّجل مع كنزه.

۞ أكثرُ الذين يَجْرُون وراء المال يَفْقِدُون أرواحهم في الطريق! وما أتعسَ الذين يعيشون بلا روح!.

۞ مــات خازنــوا المــال وهــم أحيــاء، والعلماءُ باقــون ما بقــي الدهر؛

---

[١] سورة المعارج، الآيات (١٩ - ٢٣)

[٢] رواه الشَّيخان البخاري، ومسلم

أعيناهم مفقودة، وآثارُهم في القلب موجودة، فالمال يكتسبه المؤمن من طريق حلالٍ لا حُرْمةَ فيه ولا شُبْهة، وهو في يد المؤمن العاقل لا في قلبه، وسيلةٌ لا غاية، يَميل به إلى رضوان الله تعالى والجنة، فهو يملِكُ المالُ لا المال يملكه، بخلاف الجاهل؛ لا يملِكُ المالَ بل المال يملِكُه، يَميل به إلى غضب الله تعالى وإلى النَّار، والعِياذُ بالله.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٠٩ - [غضُّ الطَّرْف من المُروءة].

أقول: غض الطرف عن العورات، وعن العيوب والنقائص والمثالب، من مكارم الأخلاق التي جُبِلت عليها النُّفوسُ الطَّيبة، وفي الحديث: (**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق**)، وفي رواية (**صالحَ الأخلاق**)[١].

وقد تخلق بذلك أهل المروءة من أهل الجاهلية؛ قال عنترة:

وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي ... حَتّى يُواري جارَتي مَأواها

إِنّي امرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ ماجِدٌ ... لا أُتبعُ النَفسَ اللَجوجَ هَواها

وزاد الإسلام المؤمنين بتقواهم عفةً عن المحارم.

وفي حديث أبي سفيان لما سأله هرقل عما يأمر به النبي ﷺ قال: يقول: (**اعبُدوا الله وحده، ولا تُشرِكوا به شيئًا، واترُكوا ما يقول آباؤكم، ويأمُرُنا بالصلاة، والصِّدق، والعفاف، والصِّلة**)[٢]؛ وفي الدعاء المأثور:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: (**اللَّهُمَّ إِنِي أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعفَافَ، والغنى**)[٣].

---

[١] رواه البخاري في الأدب المفرد، والحاكم وصححه، والبيهقي

[٢] رواه الشَّيخان البخاري، ومسلم

[٣] رواه مسلم

كما يَغُضُّ طَرْفه عن النقائص والعيوب، كما قال علماء التصوف:

وعين الرِّضا عن كل عيــبٍ كليلــةٌ كما أنَّ عين السُّخْط تُبدي المساويا

وقالوا: الكريم يسترُ ويصفح، واللئيم ينشر ويفضح، وقد نهى ﷺ عن تتبُّعِ العُيوب فقال: (**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تَتَّبعوا عوراتِهم، فإنه من اتَّبع عوراتِهم يتَّبعِ الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحْه في بيته أو في جوف رحله**)[١].

وأمر بستر من يُرَى على ذنب فقال: (**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**)[٢]، وقال ﷺ لهزَّال الذي أشار على ماعز بالاعتراف بالزنا: (**لو سترته بثوبك أو بردائك لكان خيراً لك**)[٣].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١١٠ - [غيِّروا العادات تسهُلْ عليكم الطاعات].

أقول: العادات ما جُبلت عليه النَّفْسُ أو اكتسبته بالصُّحْبة والمخالطة؛ فمن جالس جانس، والطبعُ سَرَّاق، فيسرق طبعك من طبع جليس الخير، أو جليس الشر وأنت لا تشعر، حتى من طبائع الأسماء وخصائصها التي يذكرها الإنسان أو يتسمّى بها؛ قال العارف الحرَّاق رحمه الله تعالى:

وداوِمْ على ذِكرِ الغَنِيِّ حَقيقَةً تَكُن ذا غِنىً فَالطَبعُ لِلطَبعِ يَسرِقُ

۞ ولهذا كان النبي ﷺ يُغيِّر أسماء الأشخاص والأماكن، ومن لم يقبل بقي أثر ذلك الاسم في طبعه؛ ومن ذلك ما حدَّث به الإمام سعيد بن المسيَّب رحمه الله: « أنَّ جَدَّهُ حَزْنـًا قَدِمَ علَى النبيِّ ﷺ فَقالَ: (**ما اسْمُكَ؟**) قالَ: اسْمِي حَزْنٌ،

[١] رواه أبو داود، وأحمد، والترمذي بنحوه

[٢] رواه مسلم، وابن ماجه

[٣] رواه أحمد

قالَ: (**بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ**)، قالَ: ما أنَا بمُغَيِّرٍ اسْمـًا سَمَّانِيه أبِي؛ قالَ ابنُ المُسَيّبِ: فَما زَالَتْ فِينَا الحَزُونَةُ بَعْدُ»[١].

والعادات منها ما هو محمود كالصّدق؛ قال الشاعر:

عوِّد لسانك قولَ الصِّدق تحظَ به ... إنَّ اللِّســـانَ لِمَا عــوَّدتَ مُعتــادُ

مُـوكَّل بتقاضــي ما ســـــننتَ له ... في الـخير والشرّ فانظُـر كيف تَرتادُ

ومـن العـادات ما هـو مذموم كالكَذِب وعادات السـوء من البَـذاءة وفُحش القول، والتعـري، والمجاهـرة بالمعصيـة، والغِيبـة، والنّميمـة، والهَمـز، واللّمـز، والغَمز، وخائنـة الأعيـن، والخيلاء، والشِّبع، وغيـر ذلك كثير، فهذا الذي يرشـدنا الشَّـيخ رحمه الله تعالى إلى مجاهدة النفس للتَّطهر منه؛ ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ ﴾[٢]، فمـن تَطهّـر مـن هذه الأخلاق الدنيئة وزكّى نفسـه منها سَـهُلت عليـه وله الطَّاعات والقربـات وفُتِّحـت لـه أبوابهـا، فكلما أغلق المؤمن على نفسـه بابَ دنـاءة؛ فتح له بـاب علوٍّ ومعـراجَ ترقٍّ.

وفي الحديـث مرفـوعـًا: (**إنّ اللّـه يُحـبّ معاليَ الأمـور وأشـرافها، ويكـره سَفْسَـافها**)[٣]، وهـذا معنى مـا قالـه الإمـام ابـن عطـاء الله السـكندري ﷺ: «كيـف تُخـرَق لـك العوائـد وأنت لم تخرِقْ من نفسـك العوائد»، فمن خرق عادة مذمومة أكرمـه الله بخَـرْق الحُجُـب؛ فشـاهد نـور ملكوت الله عند كل شـيء يـراه؛ كما قال أبـو سـليمان الـدَّاراني ﷺ: « إذا اعتـادت النُّفـوسُ تـركَ الآثام جالـتْ في الملكوت ورجعـتْ إلـى صاحبهـا بطرائـفِ الحِكمـة مـن غيـر أن يـؤديَ إليهـا عالـمٌ علمـًا »؛

---

[١] رواه البخاري

[٢] سورة التوبة، الآية (١٠٨)

[٣] رواه الطَّبراني

قال اللّه تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[٢].

وقال الإمام البوصيري رحمه الله تعالى في هَمْزيته:

وَإِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْبًا نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الأَعْضَاءُ

وهذه هي ثمرات خَرْق العادات، فاحرِقِ الشهوات، واخرِقِ العادات، لِيخرِقَ نورُك ورُوحُك الأرضَ والسّموات، والله المُؤيِّد، وهو الفتّاحُ العليم.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١١١ - [**غيرُ مُنْتَفِعٍ بالموعظةِ قلبٌ مُعَلَّقٌ بالشَّهوات**].

أقول: الشَّهوات المُحرّمة في حقّ العامّة، والمكروهة في حقّ الخاصة، والمُباحة في حق خاصّة الخاصّة؛ هي الحُجُب التي تحجُب العقلَ عن الانتفاع بالحِكْمة، والقلبَ عن الانتفاع بالموعظة، والرّوحَ عن ذوق التّوحيد، والسِّرَّ عن شهود عالَمي الملكوت والجبروت في عالَم المُلك والشّهادة.

وكذلك الشُّبهات في حقّ العامّة الذين لم يصلوا إلى ما وصل إليه الخاصّة من علم اليقين، وما وصل إليه خاصّة الخاصّة من عين اليقين، وأدويةُ الشّهوات أنواعُ الذّكر فبإكثاره تُرفع الحُجُب، وأدويةُ الشُّبُهات فنونُ العلوم النّقلية والعقلية،

فإذا زالت عن القلب حجب الشّهوات والشّبهات ذاق طعم الإيمان، ووجد حلاوته، وانتفع بواعظ اللّه الذي جعله في قلب كل مسلم، وانتفع بمواعظ الله تعالى في كتبه، وبمواعظ رسول الله والأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلّم، وبمواعظ الحكماء من عباد الله الصالحين، وإلا بقي محروماً والعياذ

---

[١] سورة البقرة، الآية (٢٨٢)

[٢] سورة العنكبوت، الآية (٦٩)

باللّه تعالى، وقد قال السيد أحمد الرفاعي الكبير ﷺ: « من لم يكن له في نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ»، وقال الشيخ الإمام ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى: « كيف يُشرقُ قلبٌ صورُ الأكوانِ منطبعةٌ في مِرآته؟ أم كيف يرحلُ إلى اللّه وهو مكبّلٌ بشهواته؟ أم كيف يطمعُ أن يدخلَ حضرة اللّه وهو لم يتطهّر من جنابة غَفَلاته؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتبْ من هفواته؟»، أكرمنا اللّه وكلَّ المسلمين بإشراق القلب، وأن نرحل إلى اللّه ونرجع إليه من كل شيء وعند كل شيء، وأدخلنا اللّه حضرة الأُنس به ومراقبته وشهوده، وفهّمنا وفقّهنا دقائق أسرار كلامه، وكلام من قلوبُهم عاكفةٌ في حضرته بفضله، وجعلنا ممن اتّعظ ووعظ، وانتفع ونفع، آمين ياربَّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١١٢ - [غَلَبَةُ الهَزْل تُبطلُ عَزيمة الجِدّ].

أقول: لا مكان للهَزْل في حياة المؤمن كامل الإيمان؛ بل هو في عموم أوقاته وأحواله في جِدٍّ وعزيمة، وأولى من يتصف بذلك المنتسبُ إلى ما كان عليه السلف مما اصطلح على إطلاق اسم التصوف عليه؛ كما قال أبو علي الرُّوذْباري ﷺ: «هذا مذهب كله جِدّ فلا تخلِطُوه بشيء من الهَزْل، وكما قال أحد الفلاسفة: « الأمة التي تريد بناء المَجْد لا تعرف إلا الجِدّ»، ولا يدخل في الهزل المِزاح على جهة النُّدرة مع ضوابط الصِّدق والعِفَّة وإلا كان حرامًا؛ وفي الحديث: عن أَبي أُمَامَة الباهِليِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **(أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإِن كَانَ**

مازِحًا، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ)[١].

۞ وعن معاوية بن حَيْدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ويل للذي يُحدّث فيكذب؛ ليُضحكَ به القوم، ويل له، ثم ويل له)**[٢].

۞ وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا:

(إنَّ الرَّجُلَ لَيتكلَّمُ بالكلمةِ يُضحِكُ بها جُلساءَه يهوِي بها مِن أبعدَ مِن الثُّريَّا)[٣]، وفي الوصايا النبوية لأبي هريرة ﷺ: **(وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ)**[٤].

۞ وفي الفتاوى: يحرم الاستخفاف أو الاستهزاء بأمور الدِّين؛ ومن ذلك تداول النِّكات المُضْحِكة التي تَمَسُّ الإسلام، فإنها تنتقص من قيمته، وتؤدي إلى الطعن فيه، والواجب على كل مسلم أن يعظِّم الله ورسوله وشريعته، قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[٥].

والنِّكات إن كانت تتضمن سخريَّة واستهزاءً بالله أو رسله أو القرآن أو أي حكم مِن أحكام الدين أو شعيرة من شعائره؛ فإن صاحبها على خطر عظيم في دينه وربما جرَّه ذلك إلى الكفر والعياذ بالله؛ وإنه سبحانه نهى عن ذلك، فقال: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾[٦]، ولا يليق بالمسلم تداول هذه النِّكات لإضحاك الناس، فقد حذَّر النبي ﷺ من خطورة التكلم بكلمة واحدة تسخط الله عليه، فقال عليه الصلاة والسلام: **(وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا**

---

[١] رواه أبو داود بإسناد صحيح

[٢] رواه أبو داود، والترمذي بسند حسن

[٣] رواه ابن حبان

[٤] أخرجه أحمد، والترمذي وقال: غريب، والبيهقي في شعب الإيمان.

[٥] سورة الحج، الآية (٣٢)

[٦] سورة البقرة، الآية (٢٣١)

بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)[١].

أقول: وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[٢].

ويدخل في ذلك الاستهزاءُ بالعلماء، والاستخفافُ بأئمة الشريعة وحَمَلتها وطلاب العلم وهيئاتهم، والاستهزاءُ والاستخفافُ بأهل الذكر من المؤمنين وتشبيهُهم بالكلاب النابحة، فكل ذلك يوصل صاحبَه للكفر، والعياذ بالله.

نسأل الله السَّلامة من مُوجبات النَّدامة في الدنيا وفي القبر وفي يوم القيامة، فإذا رأيتَ في رجل غلبة الهزل حتى يَعُمَّ أكثر أوقاته ويطغى على الجِدّ؛ فانصحه وعِظْه؛ وفِرَّ منه، ولا تتخذه صاحبًا ولا جليسًا؛ فإنه يضرُّك في دينك، ويضيِّع لك وقتك فيما لا ينفعك في دنياك وآخرتك.



[١] رواه البخاري

[٢] سورة التوبة، الآيات (٦٥ - ٦٦)


الوصايا الشاذلية
ف

- حرف الفاء -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١١٣ - [في تصاريفِ الدُّنيا اعتبار].

أقول: المسلم المؤمن كلامُه ذِكر، وسكوتُه فِكر، ونظرُه اعتبار؛ وأولى ما يَعتبر به الإنسان أحوالُ نفسه وما فيها من وجوه الإعجاز و صفات الافتقار والاضطرار، وما هو مقهور به ومحكوم له من أنواع الاحتياجات، وقد قال سيدنا علي رضي الله عنه: « عرفتُ اللّه بنقض العزائم»، ثم ينتقل بالاعتبار من نفسه إلى العالم العُلوي ثم السُّفلي، كما قال صاحب الجوهرة العلَّامة إبراهيم اللقاني رحمه الله:

فانظرْ إلى نفسك ثم انتقلِ ... للعالَم العُلويّ ثم السُّفْلِي
تجدْ به صُنعا بديعَ الحِكَم ... لكنْ به قامَ دليـلُ العَـدَمِ
وكلُّ ما جـازَ عليه العَـدمُ ... عليه قطعـًا يستحيلُ القِدَمُ

ومن وجوه الاعتبار النظرُ إلى الدنيا وما يفعل الله بأهلها، والنظرُ إلى تصاريف الدَّهْر وتقلُّباته، ونوائبه ومصائبه، وإلى أيام الله تعالى وما دالَ فيها من دُوَل، وما أتى إليها وذهبَ من أُمم، وإلى ما صاروا إليه، وكيف كانت نهاياتهم أفرادا وجماعات وشعوبـًا وأممـًا؛ قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾[١]، أي: بما كان فيها من نِعَم ونِقَم، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾[٢]، وقال عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا

---

[١] سورة إبراهيم، الآية (٥)

[٢] سورة يوسف، الآية (١٠٩)

تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[١]، وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾[٣].

وقال سيّدنا عليٌّ رضي الله عنه: « أوَلستم ترون أهلَ الدُّنيا يُمسون و يُصبحون على أحوالٍ شتّى؛ فميْتٌ يُبكى و حيٌّ يُعزّى، و صريعٌ مُبتلَى، و عائدٌ يعود، و آخرُ بنفسه يجود، و طالبٌ للدنيا و الموتُ يطلُبه، وغافلٌ ليس بمغفولٍ عنه، و على أثر الماضين يمضي الباقون »، وفي خُطبة لحكيم العرب قُسّ بن ساعدة:

« إنّ في السماء لخبرا، وإنّ في الأرض لعِبرا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أَرَضُوا بالمُقام فأقاموا؟ أم تُركوا هناك فناموا؟ يا معشر إياد: أين الآباء والأجداد؟ وأين الفراعنة الشِّداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالاً، وأطول آجالاً؟ طحنهم الدهر بكَلْكَلِه، ومزّقهم بتطاوله ».

وقال ابن الوردي رحمه الله في لاميته:

كُتبَ الموت على الخَلقِ فكمْ ... فَلَّ من جيشٍ وأفنى من دُوَلْ
أينَ نُمرودُ وكنعانُ ومنْ ... مَلَكَ الأرضَ وولَّى وعَزَلْ
أين عادٌ أين فرعونُ ومن ... رفعَ الأهرامَ من يسمعْ يَخَلْ
أينَ من سادوا وشادوا وبَنَوا ... هَلَكَ الكلُّ ولم تُغنِ القُلَلْ
أينَ أربابُ الحِجَى أهلُ النُّهى ... أينَ أهلُ العلمِ والقومُ الأوَلْ
سيُعيدُ اللهُ كلاً منهمُ ... وسيَجزي فاعلاً ما قد فَعَلْ

[١] سورة الحج، الآية (٤٦)
[٢] سورة الروم، الآية (٩)
[٣] سورة الحج، الآية (٤٥)

فالعاقل من اعتبر بغيره، والأحمق من كان عبرة لغيره، نسأل الله السَّلامة من مُوجبات الندامة يوم القيامة.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١١٤ - [في السُّكون إلى الغَفْلة اغترار].

أقول: الغَفْلة هي ترك ذكر الله، وترك المراقبة لله تعالى، وترك الأدب معه، ويقابلها اليقظة والحضور والأدب، قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ٢٨﴾[٢]، فبيَّن أن الغفلة حال من أحوال القلب المعرض عنه سبحانه، ولذلك يكثر في الدعاء: ولا تجعلنا من الغافلين، وأمر تعالى بالإعراض عن الغافل عن الذكر فقال عز وجل: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩﴾[٣].

وينتج عن هذه الغفلة وعن السكون والركون إليها تعطيل منافع الجوارح عن وظائفها التي خُلقت لأجلها فلا يُعطي الغافل كل جارحة وظيفتها من التعبد قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾[٤]، وقال الله سبحانه في الذين استحبُّوا الحياة الدنيا على الآخرة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

[١] سورة الأعراف، الآية (٢٠٥)

[٢] سورة الكهف، الآية (٢٨)

[٣] سورة النجم، الآية (٢٩)

[٤] سورة الأعراف، الآية (١٧٩)

ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾[١]، فدواء الغفلة الذّكر والإكثار منه والمداومة على ذلك؛ وفي الحكم العطائية قال ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: « لا تَتْرُكِ الذِّكْرَ لِعَدَمِ حُضورِكَ مَعَ اللهِ فيهِ، لِأَنَّ غَفْلَتَكَ عَنْ وُجودِ ذِكْرِهِ أَشَدُّ مِنْ غَفْلَتِكَ في وُجودِ ذِكْرِهِ؛ فَعَسى أَنْ يَرْفَعَكَ مِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ غَفْلَةٍ إلى ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ يَقَظَةٍ، وَمِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ يَقَظَةٍ إلى ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ حُضورٍ، وَمِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ حُضورٍ إلى ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ غَيْبَةٍ عَمّا سِوَى المَذْكورِ، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾»، وعَن عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَأْخُذَنِي عَلَى غِرَّةٍ، أَوْ تَذَرَنِي فِي غَفْلَةٍ، أَوْ تَجْعَلَنِي مِنَ الْغَافِلِينَ »[٢]، اللهم إنا نعوذ بك من ذلك كله فأعذنا ياربّ العالمين، وسلام على المرسلين.

❁ وقال رحمه الله تعالى:

١١٥ - [في كل نظرة عبرة].

أقول: قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[٣]، وهو أمر من الله تعالى بنظر التفكر والاعتبار، وقال عزّ وجلّ: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾[٤].

والمؤمن الذي فتح الله أقفال قلبه وسمعه وبصره؛ كلامُه ذكر، وسكوتُه فكر، ونظرُه عبرة؛ فيزداد بذلك علماً وقرباً من الله تعالى وتعظيماً له سبحانه ولشعائر دينه، وقد جاء معناه في الأثر: فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: « لقد تَرَكنا رسول الله ﷺ وما يقلِب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً »[٥]، وعن أبي الدرداء

[١] سورة النحل، الآية (١٠٨)

[٢] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه

[٣] سورة يونس، الآية (١٠١)

[٤] سورة الحشر، الآية (٢)

[٥] رواه الإمام أحمد، وابن جرير، والطبراني

ﷺ قال: « لقد تَرَكنا رسول الله ﷺ وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلا ذكر لنا منه علمـًا »[١]، وهذا داخل في شهود القرآن المسطور في الكون وهو القرآن المنشور؛ قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[٢].

وهذا معنى ما قاله العارف أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: « إذا اعتادتِ النُّفوس ترك الآثام جالتْ في الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤديَ إليها عالم علمـًا »، فالإصرار على الآثام هو الذي يحجُب عين القلب عن الإبصار والاعتبار، فينبغي دوام التطهر والاستغفار، اللهمَّ اجعلنا من التَّوابين ومن المتطهرين، وافتح أقفال قلوبنا وأسماعنا وأبصارنا حتى ننظر فنعتبر، آمين يارب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١١٦ - [في حُسْن المُصَاحَبة تَرْغَبُ الرِّفاق].

أقول: شَبيه الشيء مُنْجذب إليه، فعَن السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)**[٣]. قال الحافظ ابن حجر ﷺ قوله: **(الأرواح جنود مجندة..** إلخ) قال الخطابي ﷺ: يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد، وأن الخيِّر من الناس يَحِنُّ إلى شكله، والشِّرِّير نظير ذلك يميل إلى نظيره، فتعارفُ الأرواح يقع بحسب الطِّباع التي جبلت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت، ويَحْتَمِلُ أن يُراد

[١] رواه الطبراني، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.

[٢] سورة فصلت، الآية (٥٣)

[٣] رواه البخاري معلقـًا مجزومـًا به

الإخبار عن بَدْء الخلق في حال الغيب على ما جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجسام، وكانت تلتقي فتتشامُّ، فلما حلَّت بالأجسام تعارفت بالأمر الأول فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من العهد المتقدم، وفي الأثر عن سيدنا علي رضي الله عنه: « لو أن مؤمنًا دخل إلى مجلسٍ فيه مائة منافق، ومؤمنٌ واحد، لجاء حتى يَجلِسَ إليه، ولو أن منافقًا دخل إلى مجلسٍ فيه مائة مؤمن، ومنافقٌ واحد لا زال يمشي حتى يجلس إليه، وإن أجناس الناس كأجناس الطير، والطيور على أشكالها تقع»، ونقل نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وروى أبو يعلى عن عَمْرة بنت عبد الرحمن، قالت: كان بمكَّة امرأة مَزّاحة - تُضحك الناس - فقدمت المدينة فنزلت على امرأة مثلها، فبلغ ذلك عائشة، فقالت: صدق حِبي، سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (**الأرواح جنود مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**)، قال: ولا أعلم إلا قال في الحديث: ولا تعرف تلك المرأة، فتبين بهذا أن صاحب النفس الطَّيبة يبحث عن أشكاله ويرغب بخُلَّتهم وصحبتهم، وأنه يتغذَّى ويتداوى بمجالستهم ورؤيتهم، وأنه يتأذَّى ويمرض برؤية أضدادهم من أهل الخُبْث والبِدَع والضلال، وأن صاحب النَّفس الخبيثة على الضِّدِّ من ذلك، فهو يتأذى برؤية الطَّيبين والصَّالحين ويفرُّ منهم لأنه كالجُعَل يتأذى برائحة الورد؛ قال ابن الوردي رحمه الله في لاميته:

أيُّها العائبُ قولي عبثـًا إن طيبَ الوردِ مؤذٍ للجُعَلْ

وخير من يُصحَب من الطَّيبين أهلُ العلم الذين وصفهم سيدنا علي رضي الله عنه بقوله: « تعلَّموا العلم فإنَّ تعلَّمه حسنة، ومدارستَه تسبيح، والبحثَ عنه جهاد، وتعليمَه لمن لا يعلمه صدقة، وهو أنيسٌ في الوَحْشة، وصاحبٌ في الوَحْدة، وسلاح على الأعداء، و زَيْنُ الأَخِلَّاء، يرفع الله به أقوامًا يجعلهم في الخير أئمة يُقتدى

بهم، تُرمَق أعمالُهم، وتُقتبسُ آثارهم، تَرْغَبُ الملائكة في خُلَّتهم، يَمْسَحونهم بأجنحتهم في صلاتهم؛ لأنَّ العِلم حياةُ القلوب، ونورُ الأبصار من العمى، وقوةُ الأبدان من الضَّعْف، ويُنزل الله حاملَه منازل الأبرار، ويَمنَحُه مجالسة الأخيار في الدُّنيا والآخرة، بالعلم يُطَاع الله ويُعبَد، وبالعلم يُعرَف الله ويُوحَّد، وبالعلم تُوصل الأرحام، وبه يُعرَف الحلال والحرام، والعِلْم إمامُ العقل، والعقلُ تابعُه، يُلهِمُه الله السُّعداء، ويُحْرَمُهُ الأشقياء »، جعلنا الله مع السُّعداء الطَّيبين ومنهم، وأبعدنا عن الشَّقاء والأشقياء الخبيثين في الدُّنيا والآخرة، بفضله تعالى وعنايته، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١١٧ - [في خلافِ النَّفْسِ رُشْدُها، وفي طاعَتِها غَيُّها].

أقول: هذا البيان والنُّصْح لمن نفسُه النَّفْسُ الأمّارة بالسُّوء لم تتزَكَّ بعد ولم تترقَّ إلى النّفْس اللّوّامة والمُلْهَمة والمُطْمَئنة والرَّاضية المَرْضية،قال الله تعالى حكاية: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾[١]، فمن خالف نفسه الأمّارة بالسُّوء وأطاع الله تعالى ورسوله ﷺ فقد رَشَد، ومن أطاع نفسه وعصى الله تعالى ورسوله ﷺ فقد غَوى، قال الله تعالى في وصف عباده الرَّاشدين: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾[٢].

وفي الحكم العطائية: إذا التَبسَ عليكَ أمرانِ فَانظُر أثقلَهما على النَّفْس فاتّبِعهُ؛ فإنهُ لا يَثقُلُ عليها إلا ما كان حقـًا، وقال الإمام البوصيري رحمه الله:

فإن أمـارتي بالسـوءِ ما اتَّعظـت ... من جهلها بنذير الشـيب والهـرم

ولا أعدت من الفعل الجميل قِـرى ... ضيف ألمّ برأسـي غيرَ مُحْتَشِـم

---

[١] سورة يوسف، الآية (٥٣)

[٢] سورة الحجرات، الآية (٧)

لو كنـــــتُ أعـلـم أني ما أوقـــره ... كتمتُ سـراً بدا لي منه بالكتـــمِ
من لي بِـــرَدِّ جِمـــاحٍ من غَـوايتهـا ... كما يُرَدُّ جِماح الخَيلِ باللُّجـــــم
فلا تَرُم بالمعاصي كَسْرَ شـــهوتِها ... إنَّ الطَّعام يُقوِّي شـهوة النَّهِـــم
والنَّفْسُ كالطِّفل إن تهملْهُ شبَّ على ... حُبَّ الرَّضاعِ وإن تَفْطِمْهُ ينفطِـــمِ
فاصرفْ هواها وحـاذر أن تُوَلِّيـــه ... إنَّ الهوى ما تولَّى يُصْمِ أو يَصِـــمِ
وراعِها وهي في الأعمالِ ســـائمـةٌ ... وإن هي اسْتَحْلتِ المرعى فلا تُسِم
كم حسّـــنتْ لذةً للمـرءِ قاتلـــةً ... مِنْ حيثُ لم يدرِ أن السُّم في الدَّسَم
واخشَ الدَّسائس من جُوعٍ ومن شِبَع ... فرُبَّ مَخْمَصـةٍ شـرٌّ من التُّخَـم
واستفرِغِ الدَّمعَ من عينٍ قد امتـلأتْ ... مِنَ المَحَـارِم والزمْ حِـمْية النَّـدمِ
وخالفِ النَّفْس والشَّيطان واعْصِهِما ... وإنْ هُمَا مَحَضَاك النُّصحَ فاتَّهِـم
ولا تُطع مِنهما خَصْمَاً ولا حَكَمَـــاً ... فأنتَ تَعْرفُ كيد الخَصْم والحَكَم
أســـتغفرُ الله من قـــولٍ بلا عَمَـلٍ ... لقد نسبتُ به نسلاً لذي عُقُـــم

وقال أمير الشعراء:

صَـلَاحُ أَمْـرِكَ لِلأَخْـلاَقِ مَرْجِعُـهُ ... فَقَـوِّمِ النَّفْـسَ بِالأَخْلَاقِ تَسْـتَقِمِ
وَالنَّفْـسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَـةٍ ... وَالنَّفْـسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ

اللهمَّ آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهمَّ إنا نعوذُ بك من شُرورِ أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، اللهمَّ آمين ياربَّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١١٨ - [فاعلُ الخيرِ خيرٌ منه، وفاعلُ الشَّرِّ شرٌّ منه].

أقـول: الفعل عَـرَض صدر عـن جوهر هو الـذَّات، ولا شـكَّ أنَّ الذَّات المؤمنـة خيرٌ مـن عَرَضها الذي هـو عمل الخيـر، وكذلك يقال في فعل الشَّـرِّ

الصـادر عن ذاتٍ شِـرِّيرة، وخير وشـر في كلامـه بمعنـى أَخْيَر وأَشَـر، وبهذا يتبيَّـن أنَّ الـذَّات الخَيِّرة وهـي ذاتُ المؤمـن لا يصدرُ عنهـا في الأعمِّ الأغلب إلا الخيـر، وإن صـدَر عنها شـرٌّ فهو علـى جهة النُّـدرة والقِلَّة؛ ثـم يُمْحَى بما تقدَّمه مـن الخير أو بما تأخَّر عنـه، قال الشـاعر:

وإذا الحبيب أتى بذنبٍ واحد جاءت محاسنُه بألفِ شفيع

والذَّات الشِّريرة غيرُ المؤمنة لا يصدُر عنها في الأعمِّ الأغلب إلا الشَّر، وإن صدَر منها خير فهو على جهة النُّدرة والقِلَّة، ويجازيها الله عليه خيراً في الدنيا أو في الآخرة، لأنه تعالى لايظلِمُ مثقال ذَرَّة، ولا يُضِيع أجر من أحسن عملاً، وعلى ذلك دلت الأحاديث: فعن أَنس رضي الله عنه، عن رَسُول الله ﷺ قَالَ: (**إِنَّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً فِي الدُّنيَا، وَأَمَّا المُؤمِن فَإِنَّ الله تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلى طَاعَتِهِ**)، وفي روايةٍ: (**إِنَّ الله لا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَة، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ للهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلى الآخِرَة لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**)[١].

وجاء في صحيح البخاري أن أبا لهب أُرِيَه في المنام بعضُ أهله بِشَرِّ حالة وأُخْبَر أنه سُقِيَ بنقرة إبهامه لإعتاقه ثويبة لما أخبر بولادة رسول الله ﷺ.[٢]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال الحافظ البيهقي رحمه الله: ما ورد من بطلان الخير للكفار فمعناه أنهم لا يكون لهم التَّخلُّص من النَّار ولا دخول الجنة، ويجوز أن يخفَّف عنهم من العذاب الذي يستوجبونه على ما ارتكبوه من الجرائم سوى الكفر بما عملوه من الخيرات، والله تعالى أعلم.

فينبغي للمؤمن أن يبتغيَ الخيرَ عند المؤمنين لما أورثهم إياه الإيمان من

---

[١] رواه مسلم

[٢] رواه البخاري في كتاب النكاح برقم (١ - ٥١) من قول عروة بن الزبير.

الخير ودواعيه، وأن يتقي شرَّ العصاة والمشركين بالإكرام والكلمة الطيبة.

كما جاء في الحديث: عن عائشة ﵂ أنَّ رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: **(ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة أو بئس رجل العشيرة)** فلما دخل عليه ألان له القول، قالت عائشة ﵂: فقلت: يا رسول الله، قلت له الذي قلت، ثم ألنت له القول، قال: **(يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من وَدَعَه أو تركه الناس اتقاء فحشه)**[١]، وفي رواية: أنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ علَى النَّبيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قالَ: **(بِئْسَ أخُو العَشِيرَةِ، وبِئْسَ ابنُ العَشِيرَةِ)**، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبيُّ ﷺ في وجْهِهِ وانْبَسَطَ إلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ، قالَتْ له عَائِشَةُ: يا رَسولَ اللهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ له كَذَا وكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ في وجْهِهِ وانْبَسَطْتَ إلَيْهِ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: **(يا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا؟ إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ)**، نسأل الله السَّلامة من الشَّرِّ وأهله، والغنيمةَ من الخير وأهله، آمين، والحمد لله رب العالمين.

❁ وقال رحمه الله تعالى:

١١٩ - [فازَ مَنْ مَلَكَ هَواه، ومَلَكَ دواعيَ نفسِه].

أقول: « واتّقَى الله »، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾[٢]، وقال جلّ ذِكره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[٣]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

[١] رواه الشَّيخان البخاري ومسلم

[٢] سورة النبأ، الآية (٣١)

[٣] سورة آل عمران، الآية (١٨٥)

[٤] سورة التوبة، الآية (٢٠)

وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[١].

فالآيات الكريمات تـدلُّ على ما أشـار إليه الشيخ من التَّحقق بمقام التقوى ولا يصـل إليـه إلا مـن جاهـد نفسـه في الله تعالـى حتى اسـتقام مع الله تعالـى ظاهراً وباطنـاً، فمـن مَلَـكَ هـواه، وملـك دواعـي نفسـه فقادهـا إلـى الله أضحـى ملِكـًا وصـار شـبيه ملائكـة الله تعالـى وأنبيائه عليهـم الصلاة والـسلام وأوليائه رضي الله عنهـم، ومـن صارَ شـبيهـاً لهـم في الطَّهـارة والطِّيب والذِّكر والعمـل الصالح ألحقه الله تعالـى بهـم وجعلـه منهـم، وصـار بيـن رُوحـه وبينهـم مشـاكلة ومحبـة وتواصل وإلهامـات وإشـراقات وزيـارات وإفاضـات؛ وحشـره الله معهـم في البرزخ ويـوم القيامـة وفي الجنـة؛ قـال الله تعالـى فيمـن كان معهـم ثـم منهـم:﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٢]، وقـال جـلّ مـن قائـل: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾﴾[٣].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما في تفسير الآية مرفوعـًا: **(يُقْرَن كلّ رجُل مع كلّ قومٍ كانوا يعملون كعمله)**[٤]، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « يُقْرَن الفاجر مع الفاجر، ويُقْرَن الصّالح مع الصّالح »، كتبنا الله تعالى مع عباده الصالحين، وجعلنا منهم، وألحقنا بهم بفضله وكرمه، آمين.

❁ وقال رحمه الله تعالى:

١٢٠ - [فازَ مَن كابَدَ هَواه، وكذّب مُناه].

أقـول: قـال الله تعالـى:﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ

---

[١] سورة النور، الآية (٥٢)

[٢] سورة القصص، الآية (٦٧)

[٣] سورة التكوير، الآية (٧)

[٤] أخرجه الإمام الطبري رحمه الله تعالى

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[١]، وقال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾[٢]، أي: في شِدّة وعَناء من مكابدة الدنيا، وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: يُكابد مصائبَ الدّنيا وشدائدَ الآخرة، وقال: يُكابد الشُّكر على السَّراء، ويُكابد الصَّبر على الضَّراء؛ لأنّه لا يخلو من أحدهما، أقول: فهو يصبر على الطّاعة، وعن الشّهوة والمعصية، وعلى البلاء والإيذاء، وكل ذلك من المكابدة لهواه، وأما تكذيبه لمُناه فهو تكذيبه لشيطانه الذي يَعِده ويُمَنِّيه؛ قال الله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[٣] ومن تكذيبه لِمُناه مخالفتُه لما يَهواه قلبُه من الشّهوات ويتمناه.

قال النبي ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: (**كُتب على ابن آدم نَصِيبُه من الزِّنا فهو مُدْرِكٌ ذلك لا مَحَالة: العينان زِناهما النَظر، والأُذنان زِناهما الاستماع، واللسان زِناه الكلام، واليَدُ زِناها البَطْش، والرِّجل زِناها الخُطَا، والقلب يَهْوَى ويتمنى، ويُصَدِّق ذلك الفَرْج أو يُكذِّبُه**)[٤]، وفي رواية: (**والنَّفْسُ تَمَنَّى وتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ أوْ يُكَذِّبُه**)، فمن كابد هَواه وكذّب مُناه كان من أهل الهداية والسَّعادة ومن الفائزين، قال بعض السلف: أعمالُ البِرِّ يَفعلُها البَرُّ والفاجر، ولا يَقدِرُ على ترك المعاصي إلاّ صِدِّيق، وقالوا: الشّابُّ المتعبّدُ في أزمنة الفتن له ثوابُ صِدِّيق، وقالوا: من كان في اللّه تَلَفُه؛ كان على اللّه ثوابُه وخلَفُه، وهذا هو طريق الإمامة في الدّين؛ قال اللّه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٥]، فالصبر واليقين يجعلان للمؤمن نصيباً من

---

[١] سورة العنكبوت، الآية (٦٩)

[٢] سورة البلد، الآية (٤)

[٣] سورة النساء، الآية (١٢٠)

[٤] رواه الشيخان البخاري ومسلم

[٥] سورة السجدة، الآية (٢٤)

الإمامة في الدّين، وأولئك هم الذين دعَوا الله تعالى بما حكاه عنهم: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾[١]، فاستجاب لهم سبحانه فجعلهم أئمة يَهدون بأمره، ويَردُّون عبادَه التائهين الحائرين إليه؛ يُحبّبونهم في اللّه تعالى، ويُحبّبون اللّه تعالى إليهم، جعلنا الله وإيّاكم معهم ومنهم بفضله وكرمه، آمين ياربّ العالمين.

❁ وقال رحمه الله تعالى:

١٢١ - [فِرّوا إلى اللّه تعالى، ولا تفِرّوا منه فإنّه مُدرككم ولن تُعجزوه].

أقول: قال اللّه تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾[٢].

قال الإمام الجلال المَحَلّي ﷺ: « أي إلى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه»؛ وقال العلامة الصّاوي ﷺ في حاشيته:

المعنى: حيث علمتم أنَّ الله تعالى واحد لا شريك له، وأنه الضارُّ النّافع، المُعطي المانع، فالجأوا إليه واهْرَعُوا إلى طاعته؛ والفِرار مراتب: ففِرار العامّة من الكُفر والمعاصي إلى الإيمان والطاعة، وفِرار الخاصّة من كل شاغل عن الله تعالى كالمال والولد إلى شهود اللّه، والانهماك في طاعته؛ فلا يصرف جزءاً من أجزائه لغير اللّه تعالى، فكما أن اللّه تعالى في خَلْق العبد واحد؛ فليكن العبد في إقباله على ربه واحدا بحيث لا يجعل في قلبه غير حبِّ ربِّه ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾[٣]، وقال الإمام القرطبي ﷺ: قال ابن عباس ﷺ: « فِروا إلى اللّه بالتوبة من ذنوبكم»، وعنه قال: « فِروا منه إليه واعملوا بطاعته»، وقال الإمام الجنيد ﷺ: « الشيطان داعٍ إلى الباطل ففِرُّوا إلى الله يمنعْكم منه ».

وقال الإمام ذو النون المِصري ﷺ: « فِروا من الجهل إلى العِلم، ومن الكُفْر

---

[١] سورة الفرقان، الآية (٧٤)

[٢] سورة الذاريات، الآية (٥٠)

[٣] سورة المطففين، الآية (٢٦)

إلى الشُّكْر»، وقال العارف عمرو بن عثمان ﵀: « فِرُّوا من أنفسكم إلى الله »، وقال الإمام سهل بن عبد الله: فِرُّوا ممَّا سوى الله إلى الله؛ أقول: ويشهد لقوله: أن الله تعالى أمرنا أن نفِرَّ إليه ولم يذكر ممّ نَفِرُّ فدلَّ على أن نَفِرَّ من كل شيء يشغلنا عن ذكره تعالى ومعاملته ومشاهدته.

وفي الحديث الصحيح قول رسول الله ﷺ: (**اللهمّ لا ملجأَ ولا مَنجَى منْكَ إلَّا إليْكَ**)[١]، وفي الحديث الصحيح: (**اللَّهُمَّ إني أعُوذُ برِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أنْتَ كما أثْنَيْتَ علَى نَفْسِكَ**)[٢].

وأما قول الشيخ رحمه الله: «ولا تفِرّوا منه فإنه مُدرككم ولن تُعجزوه»؛ فدل عليه آيات في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾[٣]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾[٤]، وقوله جلّ جلاله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾[٥]، فمن فرَّ إلى اللّه فاز ونجا، ومن فرَّ من الله إلى غيره خسر وهلك، والعياذ بالله، اللهمَّ اجعل فِرارنا منك إليك، ولا تجعلْ فِرارنا منك إلى أنفسنا ولا إلى أحدٍ سواك، يا ربَّ العالمين.

---

[١] رواه الشَّيخان

[٢] رواه مسلم

[٣] سورة فاطر، الآية (٤٤)

[٤] سورة العنكبوت، الآية (٢٢)

[٥] سورة الشورى، الآية (٣١)

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٢٢ - [فوتُ الحاجة أهونُ مِنْ طلبها من غير أهلها].

أقول: سؤالُ قضاء الحاجات فيه قاعدتان:

الأولى: طلبُه من الله تعالى لأنه مُسبِّبُ الأسباب، وهو الوهَّاب عند الأسباب، وهو الوهّاب بلا أسباب، والطلبُ منه سبحانه أن يُيسِّرَ قضاءها على يد عبدٍ صالح ناصح، ذي خِبْرة.

الثانية: طلبهُا من الله تعالى عن طريق سبب من الأسباب من عالَم الغيب أو الشهادة؛ فإذا لم تُقضَ من طريق الوهْب المجرّد عن الأسباب طلبَها من طريق الوهْب المقترن بها، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾[١] وقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾[٢].

و قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: **(إذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله)**[٣]، وقال لربيعة الأسلمي رضي الله عنه: **(سَلْني)**[٤]، وأمر من انفلتت دابّته أن يقول: **(يا عباد الله احبسوا)**[٥]، ومن أراد عونًا أن يقول: **(يا عباد الله أعينوني)**[٦]، وفي رواية: **(أغيثوني)**[٧]، وقال: **(واللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)**[٨]، وقال: **(إذا استطاع أحدكم أن ينفع أخاه فلينفعه)** [٩].

---

[١] سورة الفرقان، الآية (٥٩)

[٢] سورة المائدة، الآية (٢)

[٣] رواه الترمذي

[٤] رواه مسلم

[٥] رواه الطبراني، وأبي يعلى، وابن السني

[٦] رواه البزار

[٧] رواه الطبراني

[٨] رواه مسلم

[٩] رواه مسلم

ونبَّه الشَّيخ إلى عدم إذلال المؤمن نفسَه بسؤال أحد حاجة مع الاستغناء عن سؤاله، والتمكن من قضاءها وحده بعونِ ربِّه له ففي الحديث: (**عِزّ المؤمن استغناؤه عن الناس**)[١]، وقال ﷺ: (**لأن يأخذ أحدكم أحبلاً فيحتطبَ خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**)[٢].

وبيّن الشيخ أن فوات الحاجة غير الضرورية، والاستغناءَ عنها؛ أهون على المؤمن من طلبها من غير أهلها، أو طلبها من طريق فيه معصية أو ذلٌّ لمخلوق،

وقد جاء في أثر: « ما قُدِّرَ لمَاضِغَيك أن يَمْضَغاه لا بُدّ أن يمضغاه، ويحك؛ كُلْه بعِزٍّ ولا تأكله بذُلّ»[٣]، وجاء أيضـًا: « ما كان لك يأتيك على ضعفك، وما كان لغيرك لن تناله بقوتك »[٤].

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٢٣ - [فازَ من استبصرَ بنور الهُدَى، وخالف دعاوِي الهَوى].

أقول: قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[٦]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴾[٧]، فهذه الآيات الكريمة تبيِّن أنَّ من أسلم وآمن كان على نور من ربِّه، و جعل الله له بصيرة نورانية في قلبه وعقله؛ فعقل عن الله تعالى وفَقِه، وأراه الله بنور الفرقان الحق حقـًا، والباطل باطلاً؛

[١] رواه الطبراني

[٢] رواه البخاري، ومسلم بنحوه

[٣] ذكره عدد من الشيوخ في مؤلفاتهم، وليس له إسناد مرفوع أو موقوف

[٤] نُسِب إلى سيِّدنا عليٍّ رضي الله عنه وكرَّم وجهه

[٥] سورة الزمر، الآية (٢٢)

[٦] سورة الرعد، الآية (١٩)

[٧] سورة فاطر، الآية (١٩)

فلا تلتبس عليه الأحكام، ولا تشتبه عليه الأمور، وينجيه الله تعالى من كل فتنة مضلة، وتنجلي عنه كل فتنة ظلماء، وقد جعل رسول الله ﷺ علامات دخول النور إلى القلب ثلاثة أشياء فقال: فيما رواه عنه ابن مسعود رضي الله عنه: (تلا رسول الله ﷺ) قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾[١]، فقال رسول الله ﷺ: (**إن النُّور إذا دخل الصدر انفسح**) فقيل يا رسول الله: هل لذلك علامة تُعرف؟ قال (**نعم؛ التَّجافي عن دار الغُرور، والإنابةُ إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله**)[٢].

ومن استبصرَ بنور الهُدى فإنه يخالف دعاوِي الهوى، ويجاهد نفسه في الله؛ حتى يستقيم مع الله ظاهراً وباطنًا، فيخاف مقام ربِّه، ويخشاه في الغيب أشدَّ من خشيته في العلانية، فيُنتج ذلك أن يكون حينئذ هواه تابعًا لما جاء به رسول الله ﷺ، وبذلك كمال الإيمان، وقد قال رسول الله ﷺ: (**لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواهُ تَبَعًا لِمَا جِئتُ به**)[٣]، وهذان الشرطان إذا وفَّى بهما العبد كان من أهل الجنة بفضل الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾[٤]، جعلنا الله وأهلنا وأحبابنا من أهلها برحمته، آمين.



---

[١] سورة الأنعام، الآية (١٢٦)

[٢] رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب.

[٣] قال الحافظ النووي رحمه الله تعالى في الأربعين: رويناه في كتاب الحُجّة بإسناد صحيح.

[٤] سورة النازعات، الآيات (٤٠ -٤١)

الوصايا الشاذلية

ق

-حرف القاف-

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٢٤ - [قليلٌ من الأدب؛ خيرٌ من كثير من النَّسَب].

أقول: أهل النَّسب على قسمين:

أهل النَّسب إلى سيدنا رسول الله ﷺ وهؤلاء هم معدِن الأدب ومصدُره لأنهم وَرِثوا أدبهم من جدِّهم سيِّدنا محمّد رسول الله ﷺ سيّد أهل كل مقام في مقامهم؛ والذي قد جمع الله فيه من الآداب والكمالات ما تفرّق في العالمين، فعن أهل بيته الأطهار يؤخذ العلم والأدب، ولا يَرِد عليهم حديث: **(من بطّأ به عملُه لم يسرعْ به نسبُه)**[١]، ولا حديث: **(يا فاطمةُ بنت محمَّد لن أُغنيَ عنكِ من الله شيئًا)**[٢]، فالحديث الأول في غير أهل بيته، والحديث الثاني منسوخ بقوله ﷺ: **(كلُّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي)**[٣].

ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: **(ما بال أقوام تقول إنَّ رَحِمَ رسول الله ﷺ لا تنفع يوم القيامة والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة وإني أيُّها النَّاس فَرَط لكم على الحوض)**[٤].

وللعلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى رسالة سماها: « العَلَم الظاهر في نفع النسب الطاهر »، فليرجع إليها من يحب الاستزادة، فلا بد أن يحمل كلام الشيخ على القسم الثاني من أهل النّسب غير أهل البيت وهم الذين لهم نَسب إلى قبيلة أو عشيرة عربية اشْتُهِرَ بعض سادتها بمكارم الأخلاق فهؤلاء لا ينفعهم نَسبهم إن

---

[١] رواه مسلم

[٢] رواه الشَّيخان

[٣] أخرجه الحاكم، والطبراني، والبيهقي.

[٤] رواه أحمد في مسنده

لم يكونوا من أهل العلم والأدب.

أو نقول: النِّسب - بكسر النون - جمع نِسبة إلى طائفة أو مذهب أو وليٍّ أو عالم وما شاكل ذلك، وقد قال ابن الوردي رحمه الله:

لا تقُل أصـلي وفصـلي أبداً إنما أصلُ الفتى ما قد حصل

وطريق أهل الله هو الأدب مع أهل النَّسَب والنِّسَب وأصحاب الرُّتَب، وقد قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله: « نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثيرٍ من العلم»، وقال الإمام رُويَم بن أحمد البغدادي رحمه الله في بعض وصاياه:

« يا بني اجعل علمك مِلْحـًا، وأدبَك دقيقـًا »؛ أي: اجعل الكثرة في تعلمك من الآداب، واجعل علمك فيما هو ضروريٌّ ونافع، وهذه أمُّ الإمام مالك رحمه الله ورحمها لمَّا كان صغيراً ألبسته أحسن الثياب ثم قالت له: « يا بُنَيَّ، اذهب إلى مجالس ربيعة واجلس في مجلسه، وخذ من أدبه قبل أن تأخذ من علمه»، ويقول الإمام الشافعي رحمه الله وهو تلميذ للإمام مالك رحمه الله: «كنتُ أُصَفِّحُ -يعني أُقَلِّبُ- الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحـًا دقيقـًا هيبة له لئلا يسمع وقعها»، وقال الإمام عبد الله بن وَهَبْ إمام أهل مصر رحمه الله: «صحبت الإمام مالكـًا رحمه الله عشرين سنة، فتعلمت منه العلم في سنة، والباقي تعلَّمتُ فيها الأدب - حسن الخلق -، ويا ليت كلَّها كانت في الأدب»، وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وما أحسن قول أبي حنيفة رحمه الله وقد سُئل عن علقمةَ والأسود رحمهما الله أيُّهما أفضل؟ فقال: « والله ما نحن بأهلٍ أنْ نذكرَهم فكيف نفضل بينهم ؟!».وهذا الربيع بن سليمان رحمه الله وهو من تلاميذ الإمام الشافعي رحمه الله يقول: «والله، ما تجرأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبة له، فهؤلاء أوتوا العلم وأدب العلم بخلاف كثير ممن جاء بعدهم»، فأراد الشيخ بهذه الوصية أن نعتنيَ بالأدب وألا نَتَّكِلَ على النَّسَب

لنبي من الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام أو نَسَبٍ لوليٍّ أو لطريقة أو لجاه أو منصب، كما قال القائل:

لَسنا وَإِن أَحسابُنا كَرُمَت ... مِمَّن عَلى الأَحسابِ يَتَّكِلُ
نَبني كَما كانَت أَوائِلُنـــا ... تَبني وَنَفعَلُ مِثلَ ما فَعَــلوا

وقال آخر:

كُنِ ابنَ مَن شِئتَ واكتَسِبْ أَدَبًا ... يُغنيكَ مَحمُودُهُ عَنِ النَسَــبِ
فَلَيسَ يُغني الحَسيبَ نِســبَتُهُ ... بِــلا لِســانٍ لَــهُ وَلا أَدَبِ
إِنَّ الفَتــى مَن يُقــولُ ها أَنا ذا ... لَيــسَ الفَتى مَن يقولُ كانَ أَبي

وقال آخر: علمٌ بلا أدب كنارٍ بلا حطب، وأدبٌ بلا علم كرُوحٍ بلا جسم، رزقنا الله بفضله العلم وأدبَ العلم.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٢٥ - [قولُ - لا أعلم - نصفُ العلم].

أقول: هذا مذكور ومنقول عن كثير من السَّلَف الصالح رحمهم الله تعالى، فقد ذكر حُجَّة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي ﷺ وقدَّس الله روحه، ونوَّر ضريحه في باب أوصاف علماء الآخرة من الإحياء ما نصه: ومنها: ألا يكون مسارعـًا للفتوى، وفي الأثر عنِ ابن عمر رضي الله عنهما:

« العلم ثلاثة: كتابٌ ناطق، وسُنّة قائمة، ولا أدري »، وقال الإمام الشعبي ﷺ: « لا أدري نصف العلم » زاد غيره: « ونصفه الآخر حُسْنُ السؤال »، «ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى؛ فليس بأقلَّ أجراً ممن نطق؛ لأن الاعتراف بالجهل أشدّ على النفس»، وقال سيِّدنا ابن مسعود ﷺ: « جُنَّة العالِم لا أدري، فإذا أخطأها أُصيبتْ مقاتلُه »، وقال السلطان إبراهيم بن أدهم ﷺ: «ليس شيء أشدَّ على

الشيطان من عالم يتكلَّم بعلم ويسكت بعلم، يقول: انظروا إلى هذا؛ سكوته أشدُّ عليَّ من كلامه »، ووصفَ بعضهم الأبدال فقال: أكلُهم فاقة، وكلامُهم ضرورة؛ أي: لا يتكلمون حتى يُسألوا؛ فإذا سُئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا، فإن اضطُّروا أجابوا، وكانوا يَعدُّون الابتداء قبل السؤال من الشَّهوة الخفية للكلام، وفي الحديث: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل عن خير البقاع في الأرض وشرِّها قال: « **(لا أدري)** حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله عن ذلك؛ فقال: **لا أدري**، إلى أن أعلمه الله عزّ وجلّ أن خير البقاع المساجد، وشرَّها الأسواق »[١]، وكان سيِّدنا ابن عمر رضي الله عنهما يُسأل عن عشر مسائل؛ فيجيب عن واحدة، ويسكت عن تسع، وكان في الفقهاء من يقول: لا أدري؛ أكثر من أن يقول أدري؛ منهم سفيان الثوري، ومالك بن أنس رحمهما الله؛ قال الهيثم بن جميل: سمعت مالكًا سُئل عن ثمانٍ وأربعين مسألة، فأجاب في اثنتين وثلاثين منها بـ « لا أدري »، وعن خالد بن خِداش، قال: قدمت على مالك بأربعين مسألة، فما أجابني منها إلا في خمس مسائل، قال: ماذا أقول للناس ؟ قال: قل لهم: سُئِل مالك وقال: لا أدري، ومنهم أحمد بن حنبل، والفُضيل بن عياض، وبِشر بن الحارث؛ رحمهم الله تعالى، ورأى بعضُ العلماء بعضَ الفقهاء في منامه فقال: ما رأيتَ فيما كنتَ عليه من الفُتيا والرأي ؟ فأعرض عنه وقال: ما وجدناه شيئًا، وما حَمِدْنا عاقبتَه، وقال أبو حَصِين الأَسَدي: « إنَّ أحدهم ليُفتي في مسألة؛ لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر»، وقال الشيخ أبو سليمان الداراني رحمه الله:

« المعرفة: إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام »، وكتب سيدنا سلمان إلى سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنهما: « يا أخي بَلَغَني أنك أُقعدت طبيبًا تداوي

[١] رواه ابن حبان في صحيحه، و الحاكم، وغيرهما

المرضى؛ فانظر فإن كنت طبيباً فتكلَّم فإن كلامك شفاء؛ وإن كنت متطبِّباً فاللهَ اللهَ لا تقتلْ مسلماً»، فكان سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه يتوقف بعد ذلك إذا سُئِل، انتهى بتصرف يسير.

أسأل الله العظيم أن يرزقنا بفضله التقوى في الفتوى، وأن يحفظنا من فتنة العلم وفتنة القول، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٢٦ -[قلَّ مَنْ صَبَرَ إلاّ ظَفِر].

أقول: مقام الصّبْر من خيرِ ما يُؤتاه المؤمن من المقامات؛ ففي الحديث الصحيح: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيءٍ بِيَدِهِ: **(مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ)**[١].

ويكفي الصابرَ فضلاً أنَّ له معيةً خاصّة من اللّه تعالى، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ ﴾[٢]، وأنّه يكون من أحباب الله تعالى: قال الله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞۚ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ ﴾[٣].

وعُرِّف الصَّبْر بأنّه مجاهدةُ وحبسُ النّفس على امتثال الأوامر، واجتناب

---

[١] متفق عليه

[٢] سورة الأنفال، الآية (٤٦)

[٣] سورة آل عمران، الآية (١٤٦)

النواهي، وعن الشَّكوى والاعتراض عند البلاء، وعن الانتصار للنّفس عند الإيذاء، فتبيّن أنّ الصّبْر على أربع مراتب: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على البلاء، وصبر على الإيذاء؛ وشواهد ذلك كثيرة في النصوص والآثار.

وفي دعاء الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في حزب البَرّ: «اللهمَّ رضِّنا بقضائك، وصبِّرنا على طاعتك، وعن معصيتك، وعن الشهوات المُوجبات للنقص والبعد عنك»، فمن تخلّق بهذا الخُلُق العظيم بهذه المراتب ظفِر بالخير العظيم، والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾[٢].

وقد جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ مرَّ برجل وهو يقول: «اللهم إني أسألك الصبر فقال: **(قد سألت البلاء؛ فسلِ الله العافية)**»[٣]، فينبغي التقييد عند الدعاء، كما مرَّ من دعاء الإمام أبي الحسن رحمه الله، جعلنا اللّه وإيّاكم من الصابرين على الطاعة وعن المعصية بفضله وكرمه، آمين، وسلامٌ على المرسلين، والحمد للّه ربّ العالمين.

❁ وقال رحمه الله تعالى:

١٢٧ - [قِلّةُ الأكلِ تَمنعُ مِن إعلالِ الجَسد].

أقول: هذه الحكمة دينية وطبية؛ فقد جاء في الشرع الشريف ما يدل على تخفيف الطعام وترك الإسراف فيه؛ قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾[٤]

وقال رسول الله ﷺ: **(مَا ملأَ آدمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدمَ أُكُلاتٌ**

---

[١] سورة الزمر، الآية (١٠)

[٢] سورة الإنسان، الآية (١٢)

[٣] رواه الترمذي

[٤] سورة الأعراف، الآية (٣١)

يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كَانَ لا مَحالَةَ فَثلُثٌ لطَعَامِهِ، وثُلُثٌ لِشرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)[١].

وقال طبيب العرب الحارثُ بنُ كَلَدة: « المَعدِة بيتُ الدّاء، والحِمْية رأسُ الدّواء»، وقال غيره: « أنفع الطعام أن تأكل ثم تقوم عن الطعام وأنت تشتهي المزيد منه»، وعند أهل الطريقة يأكلُ أكلة واحدة غَداء بعد الفجر أو الضُّحى، أو بعد العصر عَشاء، ولا يأكل مساء ثم ينام، قال الله تعالى في أهل الجنة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾[٢]؛ وقيل: « تَغدَّ تَمَدَّ ولو لم تنمْ، تعشَّ تمشَّ ولو بقَدَمْ»، وعدَّ الخاصَّة الأكل في اليوم مرتين من الإسراف لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها وهو ضعيف: رآني رسول الله ﷺ وقد أكلتُ في اليوم مرتين؛ فقال: (**يا عائشة! أَمَا تُحِبِّينَ أن يكون لك شُغْل إلا جوفك، الأكل في اليوم مرتين من الإسراف، والله لا يحب المسرفين**)[٣]، وقالوا: من أكل مِلءَ بطنه في اليوم مرتين لم يكن عابداً؛ فالاعتدال والقصْدُ في الغنى والفقر من هَدْي النبوة، ومن ميراث النبيين عليهم الصلاة والسلام، اللهم وفِّقنا لما تُحِبُّه وترضاه ياربَّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٢٨ -[قِلّةُ الخِلْطةِ تصونُ الدِّين، وتُريحُ مِن مُقارنةِ الأشرار].

أقول: أوصانا الله تعالى في مُحْكَم التنزيل أن نكون مع الصادقين؛ فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[٤]، وذكر لنا أوصاف الصادقين الذين نكون معهم في آيات أخرى فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ

---

[١] رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

[٢] سورة مريم، الآية (٦٢)

[٣] رواه البيهقي في الشعب

[٤] سورة التوبة، الآية (١١٩)

ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[١]، فوصفهم بالإيمان الذي لا يصحبه رَيْب وهو التَّصديق عن دليل وبرهان؛ وهذه صفة العلماء بالله، ثم وصفهم بالجهاد في سبيل الله وهو بذل الجُهد؛ وهو الوُسع والطاقة لتحقيق مرضاة الله تعالى في النفس والمجتمع، ولتكون كلمة الله هي العليا؛ على وجه الإخلاص لا لِعلَّة ولا مطمع دنيوي، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾[٢]، فوصفهم بالهجرة إليه سبحانه وإلى رسوله ﷺ، وأنهم يبتغون فضل الله ورضوانه، ووصفهم بنصر الله تعالى ورسوله ﷺ؛ فمن وُجدت فيه هذه الأوصاف العلمية والعملية هو الذي أمرنا الله تعالى بصحبته وأن نكونَ معه؛ وفي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله أيُّ جلسائنا خير؟ قال: (**مَنْ ذَكَّرَكُمْ بِاللهِ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بِالآخِرَةِ عَمَلُهُ**)[٣]، وفي حكم الشيخ ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى: «لا تصحب من لا يُنهضك حالُه، ولا يَدلُّك على اللّه مقالُه»، فمن لم تجد رِبْحًا في مجالسته وصحبته لا تخسر من رأس مالك معه؛ ولهذا أرشد الشيخ رحمه الله إلى أنَّ قِلَّة المخالطة لأهل الغفلة تصون الدِّين؛ أي: وتحفظ له رأس ماله الذي عنده من علم وعمل وحال، فمن كان في صحبته خسران شيء من ذلك فالبعد عنه واجب، وكما يبتعد الإنسان عن المجذوم والأجرب ليحفظ صحته الجسدية؛ فالحفاظ على صحة القلب وحياته أولى وآكد، والناس في المجالسة والصحبة على مراتب:

الأول: من يُؤثّر بنورانيته في جلسائه دون أن يتأثر من ظلماتهم بشيء؛ فهذا

---

[١] سورة الحجرات، الآية (١٥)

[٢] سورة الحشر، الآية (٨)

[٣] رواه البزار، وعبد بن حُميد.

كالطبيب الذي يجالس المرضى مع الوِقاية، وكالسابح الذي ينقذ الغرقى مع الحفظ أن يغرقوه.

والثاني: يُؤثّر بنورانيته، ويتأثر من ظلماتهم بموافقتهم على أهوائهم ومعاصيهم؛ فهو في دائرة الخطر لأنه ربما يغلبونه بكثرتهم فيصبح على شاكلتهم.

والثالث: لا يؤثِّر بنورانيته في أحد، وسريع التأثر بجليسه الغافل أو العاصي؛ فيجب عليه صحبة أهل الخير، واجتناب الأشرار.

والرابع: لا يُؤثّر ولا يتأثر؛ وهو قليل ونادر، كالأحجار التي لا تخترقها الأشعة المتعاكسة، فالنفوس لها أشِعة تخترق الأجساد والقلوب، فلا بد في الحكم العام من التأثير أو التأثر، ومن جالس جانس، فمن جالس أهل الذِّكر واليقظة، والعلم والأدب صار منهم، ومن جالس أهل الغفلة والجهل صار منهم، قال العارف:

فاختر إلى الصحبة من أطاعا إن الطِّبــاع تســرِق الطِّباعا

اللهمّ اجعل جلساءنا علماء أدباء صالحين، ووفقنا للاقتباس من علمهم وأدبهم، واجعلنا معهم ومنهم ياربَّ العالمين، ولا تجعلنا مع المحرومين ولا منهم؛ فالمحروم من حُرِمَ بركة أهل زمانه، وأشدُّ حِرمانًا منه من صحبهم ولم يُرْزَقِ الأدب معهم، نسأل الله السَّلامة والغنيمة، والهداية من البداية إلى النِّهاية، بفضله ورحمته، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٢٩ - [قلوبُ الرِّجالِ وَحْشِيةٌ، مَنْ أَلِفها أقبلتْ عليه].

أقول: القلوب والأرواح في الإنسان وغيره؛ منها ما يألف ويُؤلَف، ومنها ما ينفِر ويَستوحش؛ وبعضه يُرَوَّض فيألف ويُؤلَف، وبعضه يبقى على نُفوره.

فالشيخ يُرشد إلى تألُّف القلوب النَّافرة عن الحقِّ والمستوحشة من أهله، ومثل هؤلاء كالمؤلَّفة قلوبُهم الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن وجعل لهم نصيبًا من أموال الزكاة، فمنهم من يُؤلَّف بالمال كهؤلاء، ومنهم من يُؤلَّف بالكلمة الطيبة وبالابتسامة، وبحسن الخُلُق، واحتمال الأذى، وبالعلم وبالحِلم، وبأنواع الإحسان وهي كثيرة؛ قال الشاعر أبو الفتح البُستي:

أحسنْ إلى النّاس تستعبدْ قلوبَهمُ ... فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

وإن أساءَ مُسيءٌ فليكن لك في ... عُروض زَلَّته صَفح وغُفرانُ

ومن أعظم أسباب إقبال القلوب على الداعي إلى الله وتأليفها وجمعها على الله تعالى: العمل في محابِّ الله تعالى؛ فمن أقبل على الله بقلبه أقبل الله بقلوب عباده الصالحين إلى مودَّته ومحبَّته، قال العارفون بالله تعالى: « من ثمرات الطاعة مودةٌ في قلوب المؤمنين، ومن آثار المعصية بغضٌ في قلوب المؤمنين »، وقالوا: « من أَنِسَ باللّه أنِس به كلُّ شيء، ومن استوحش من اللّه استوحش من كل شيء، واستوحش منه كل شيء»، فالوجود كلُّه يعاملُك بحسب نواياك للوجود، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[٢] فالقلوب بيد اللّه تعالى يُقلّبها كيف يشاء، فكم من بعيدٍ صار قريبًا، وكم من عدوٍّ صار صِدِّيقًا؛ وكم من مُبغضٍ صار حبيبًا، والعكس كذلك؛ ولهذا قال سيدنا علي رضي الله عنه:« أَحْبِبْ حبيبَك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضَك يومًا ما، وأبغضْ بغيضَك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبَك يومًا ما »، وجاء عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مثله، ومعناه لا تَغْلُ في الحُبّ ولا في البُغض، وعلى الإنسان ألا يستغربَ حالاً من أحد؛ إقبالاً

[١] سورة فاطر، الآية (٤٣)

[٢] سورة مريم، الآية (٩٦)

أو إدباراً، محبةً أو بغضـًا، عطاءً أو منعـًا، خصوصـًا في هذا الزمان الذي يتقلَّب بأهله، وتتقلّب فيه قلوبُ أهله تقلّب القِدْر على المِرْجَل، ومن النّاس من يصل به التقلّب إلى أشدّ ذلك وأكبره وهو الرّدّة عن دين الله؛ والعِياذ بالله.

قال رسول الله ﷺ: (**بادروا بالأعمال، فتنـًا كقِطَع الليل المُظلم، يُصبح الرجل فيها مؤمنـًا، ويُمسي كافراً، أو يُمسي مؤمنـًا ويُصبح كافراً، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا**)[١]، فهذا تقلّب من إيمانٍ إلى كُفرٍ بين عَشِيّة وغَدوة، وليُكثرْ أحدُنا من دعاء رسول الله ﷺ: (**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**)، قال أنس رضي الله عنه فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: (**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**)[٢].

فلا يُستغرب بعد ذلك انقلاب قلبٍ لعلّةٍ ظاهرةٍ أو خَفيةٍ؛ عن المحبّة إلى البغض، وعن الإقبال إلى الإدبار، نسأل الله السَّلامة، والثباتَ على الحق ومحبّةَ أهله، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٣٠ - [قُدْرتُك على نفسِكَ مِن أعظمِ القُدرة، وإمارتُك عليها خيرُ الإمارة].

أقول: إذا أكرم الله عبداً مِن عباده المؤمنين فملّكه نفسَه ولم يملْكّها إيّاه، فهو ملِك من المُلوك في زِيّ عبد، وسلطانٌ منَ السّلاطين في زِيّ مِسكين، ملَكَ نفسَه عند الشّهوة المُحرّمة والمكروهة، وعند الغضبِ وعند المطامع، و اتّقى وتورّع عند المتشابهات من المكاسبِ والمطاعم؛ قال الإمام الحسن البصري رحمه الله:

رُبّ مسْــتورٍ سَبَتْه شـهوتُه ... قد عَرِي عن سِتره وانهتكا

---

[١] رواه مسلم، والترمذي، وأحمد.

[٢] رواه الترمذي، وابن ماجه.

صاحبُ الشّـــهوةِ عبدٌ فإذا مَلكَ الشّهوةَ أضحى مَلكِا

وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(ليسَ الشّديدُ بالصُّرَعة، إنما الشّديدُ الذي يملِكُ نفسَه عندَ الغضب)**[١].

وفي الحديث عنه أيضـاً:

قال رسول الله ﷺ: **(تعِسَ عبدُ الدِّينار والدِّرهم والقَطِيفة والخَمِيصة، إنْ أُعطِي رَضِي، وإن لم يُعطَ لم يرْضَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وإذَا شِيكَ فلا انْتَقَشَ)**[٢]

فالمجاهدُ الحقيقي مَن جاهدَ نفسَه وهواهُ في الله حتى يملكها ولا تملكه، ويتحكم فيها بما يُحبّه اللّه تعالى ويرضاه، ويلجمها عن المآثم كما تُلجَم الدوابّ؛

قال البوصيري رحمه الله في بردته:

مَنْ لي بِرَدِّ جِماحٍ من غَوايتها كما يُرَدُّ جِماحُ الخيلِ باللُّجُمِ

ومن انتصرَ على نفسه ينصرُه اللّه على أعدائه؛ فالمعاركُ مع النّفس مستمرةٌ عند كل شهوةٍ ومطمع ومطعم، فمنَ النّاس مَن ينتصر، ومنهم من يُخذل ويندحر،

ولذا ختم الشيخ وصيته بقوله: وإمارتك عليها خير الإمارة، فنعم الأميرُ رجلٌ تولّى إمارةَ نفسِه فأمرها ونهاها، وقادَها إلى رضا مولاها، وإنّ أكثرَ بلاءِ الأُمّة في الأُسَر والمجتمعات إنّما هو من النّفس التي لم يملكْها صاحبُها؛ فملكته ولم يملكها، وركبتْه بدلاً مِن أن يركبها، وقادتْه بدلاً من أن يقودَها، وخدَمها بدلاً مِن أن يستخدمها، وأذلتْه بدلاً من أن يُذلّها؛ قال العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله:

كُــنْ مع اللّــه تَــرَ اللّه معَــكْ واتْــرُكِ الكُــلّ وحاذرْ طَمعَــكْ

---

[١] متفق عليه

[٢] رواه البخاري

بالصّـــفا عن كَدَرِ الحِـــسّ فغِبْ ... واطرحِ الأغيارَ واتـركْ خِدعَـــكْ
نـــورُك اللّه بـه كـــنْ مُشـــرقًا ... واحذرِ الأضـــدادَ تُطفي شَمَعك
ثم ضـــعْ نفسَـــك بالـذلّ لـــه ... قبلَ أنّ النفـسَ قهراً تَـضَعَـــكْ
لِـــمتى تَبني كُنَيْســـاتِ الهـــوى ... كـــسِّـر الأصنامَ واهجرْ بِيعَـكْ
ودعِ الـتـــدبيـرَ في الأمـــرِ لـــه ... واصنعِ المعروفَ معْ مَن صنعَكْ

اللهـمّ آتِ نُفوسنا تقواها وهداها، وزكّها أنت خير من زكّاها، ولا تملكّنا لها وملكّنا إيّاها، وارزُقنا الإمارة عليها، حتى لا نكون عبيدا لهواها، اللهـمّ آمين ياربّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٣١ - [**قاربُوا النّاس بأخلاقهم؛ تأمنوا غوائلَهم**].

أقول: هذه الوصية داخلة في علم الاجتماع وهي حكمة عملية يربح المتصف بها قلوب من حوله إن كان لهم قلوب الأخيار، ويأمن غوائلهم وكيدهم ومكرهم إن كانوا من الأشرار، والمراد بأخلاقهم طيبُ الكلام، وبشاشةُ الوجه، والإحسان؛ وكلُّ ذلك له شواهد في التشريع الإلهي والهدي النبوي الذي كان عليه الإنسان الكامل سيدنا محمد ﷺ، ومنها ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يا أبا ذر، كيف أنت إذا كنت في حُثالة؟**)، وشبّك بين أصابعه قلت: يا رسول الله، فما تأمرني ؟ قال: (**اصبر، اصبر، اصبر، خالقوا الناس بأخلاقهم، وخالفوهم في أعمالهم**)[١]، ومنها قوله ﷺ: (**الكلمة الطيبة صدقة**)[٢]، وقوله: (**تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة**)[٣]، وقوله (**إن شرَّ النَّاس من اتَّقاه الناس**

[١] رواه الطبراني، والبزار، والحاكم.
[٢] متفق عليه
[٣] رواه الترمذي

خشية شرِّه)[١]، وفي لفظ: **(يَا عَائِشَةُ، إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ يُكْرَمُونَ اتِّقَاءَ أَلْسِنَتِهِمْ)**[٢]. وهذا المسمى بالمداراة؛ وقد بوّبَ الإمام البخاري في صحيحه باب المداراة مع الناس، ويُذكر عن أبي الدرداء ﷺ: « إنا لنكْشِر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم»، ومعنى نكْشِر: نبتسم، وقال محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى: « ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف مَنْ لا يجد من معاشرته بُدّاً، حتى يجعل الله له فرجًا، أو قال: مخرجًا»، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: « كانوا يقولون: المدَاراة نصف العقل، وأنا أقول هي العقل كلُّه»، وعنه أيضًا: « المؤمن يُداري ولا يُماري، ينشر حكمة الله، فإن قُبِلت حَمِد الله، وإن رُدَّت حَمِد الله»، وقيل: « المُدَاراة: أن تداريَ الناس على وجهٍ يسلم لك دينك».

وقد قال الإمام الشافعي ﷺ:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدِ ... أَرَحْتُ نَفْسِيَ مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ ... كَأَنَّهُ قَدْ حَشَا قَلْبِي مَحَبَّاتِ

نسأل الله السلامة والعافية بفضله.

❁ وقال رحمه الله تعالى:

١٣٢ - [قدِّموا بعضًا يكونُ لكم، ولا تبخلوا كيلا يكونَ عليكم].

أقول: قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا

[١] متفق عليه بنحوه

[٢] رواه أبو داود بإسناد صحيح

[٣] سورة المزمل، الآية (٢٠)

﴿٢٩﴾[١]، وقال النبي ﷺ: (**أفضل الصدقة، أو خير الصدقة ما كان عن ظَهْر غِنىً، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السُّفْلى، وابدأ بمن تعول**)[٢].

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله ﷺ: (**وخير الصدقة ما كان عن ظَهْر غِنى**) معناه: أفضل الصدقة ما بقي صاحبها بعدها مستغنياً بما بقي معه، وتقديره: أفضل الصدقة ما أبقت بعدها غِنىً يعتمده صاحبها ويستظهر به على مصالحه وحوائجه، وإنما كانت هذه أفضل الصدقة بالنسبة إلى من تصدَّق بجميع ماله، لأن من تصدق بالجميع يندم غالباً أو قد يندم إذا احتاج، ويَوَدُّ أنه لم يتصدَّق بخلاف من بقي بعدها مستغنياً فإنه لا يندم عليها بل يُسَرُّ بها.

وفي فتح الباري: والمختار أن معنى الحديث أفضل الصدقة ما وقع بعد القيام بحقوق النفس والعيال بحيث لا يصير المتصدِّق محتاجاً بعد صدقته إلى أحد، فمعنى الغنى في هذا الحديث حصول ما تُدفَع به الحاجة الضرورية كالأكل عند الجوع المُشوِّش الذي لا صبر عليه، وستر العورة، والحاجة إلى ما يَدْفَع به عنه نفسه الأذى، وما هذا سبيله فلا يجوز الإيثار به بل يحرم، وذلك أنه إذا آثر غيره به أدَّى إلى إهلاك نفسه، أو الإضرار بها، أو كشف عورته، فمراعاة حقه أولى على كل حال، فإذا سقطت هذه الواجبات صح الإيثار وكانت صدقته هي الأفضل لأجل ما يتحمل من مَضَض الفقر وشدة مشقته.

وقوله – ولا تبخلوا – نهيٌ عن البُخْل وهو أدوى الداء؛ ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: (**وأيُّ داءٍ أدوى من البخل؟**)[٣]، قال العلامة ابن المُلَقِّن رحمه الله ومعنى ذلك: أن البخيل يمنع حقوق الله وحقوق الآدميين، ويمنع معروفه ورِفْدَه،

---

[١] سورة الإسراء، الآية (١٩)

[٢] متفق عليه

[٣] رواه البخاري في الأدب المفرد

ويسيء عِشْرَة أهله وأقاربه.

وقد تعوَّذ النبي ﷺ من البخل كما في حديث أنسِ بن مالك رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ كان يقول: (**اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ**)[١].

ويكفي الشُّحَّ ذمّاً أن الفلاحَ مرهونٌ باجتنابه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾[٢]، والشحُّ هو البخلُ مع الحرص؛ وهو لا يجتمع مع الإيمان في قلب المؤمن كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**ولا يَجْتَمِعُ شُحٌّ وإيمانٌ في قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**)[٣]، والشُّحُ أحد الثلاثة المهلكات؛ قال النبي ﷺ: (**ثلاث مهلكات: شحٌّ مُطاع، وهوىً مُتّبع، وإعجابُ المرء بنفسه**)[٤]، والشُّح من علامات الساعة؛ قال رسول الله ﷺ: (**يَتَقارَبُ الزَّمانُ، ويَنْقُصُ العَمَلُ، ويُلْقَى الشُّحُّ، وتَظْهَرُ الفِتَنُ، ويَكْثُرُ الهَرْجُ**، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، أيُّمَ هُوَ؟ قالَ: **القَتْلُ القَتْلُ**)[٥]، ومعنى قوله: أن يُلقى الشُّح؛ أي: يَنتشِرَ البُخلُ الشَّديدُ عَلى اختِلافِ أنْواعِه، ويَتمكَّنَ مِن قُلوبِ النَّاسِ حَتَّى يَبخَلَ الغَنيُّ بِمالِه، ويَبخَلَ العالِمُ بِعِلمِه، ويَبخَلَ الصَّانِعُ بِصِناعتِه، نسأل الله السَّلامة والعافية.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٣٣ - [قَبولُ عُذْرِ المُذْنبِ مِن مَواجبِ الكَرَم ومَحاسنِ الشِّيَم].

أقول: هذا من التَّخلُّق بأخلاق الله تعالى؛ فالله سبحانه يقبل توبة عبده إذا

---

[١] متفق عليه

[٢] سورة الحشر، الآية (٩)

[٣] رواه الإمام أحمد

[٤] رواه الطبراني، والبزار بسند حسن

[٥] رواه البخاري

تاب إليه، وعُذرَه إذا اعتذر إليه، وهكذا حال الكُمَّل من العارفين والمؤمنين يقبلون عذر من اعتذر إليهم عن إساءةٍ فَعَلَها معهم، بل يسامحون من أساء إليهم وينامون كل ليلة وليس في قلوبهم غِشٌ لأحد؛ لحديث أنس بن مالك ﷺ قال: كنَّا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: (**يطلُع عليكم الآن رجل من أهل الجنَّة**)، فطلع رجل من الأنصار، تَنْطِفُ لحيته من وضوئه، قد تَعَلَّق نَعْلَيه في يده الشِّمال، فلمَّا كان الغد، قال النَّبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرَّجل مثل المرَّة الأولى، فلمَّا كان اليوم الثَّالث، قال النَّبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرَّجل على مثل حاله الأولى، فلمَّا قام النَّبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، فقال: إنِّي لَاحَيْت أبي فأقسمت ألَّا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تُؤْوِيَني إليك حتَّى تمضي، فَعلتَ؛ فقال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدِّث أنَّه بات معه تلك الليالي الثَّلاث، فلم يره يقوم من اللَّيل شيئاً، غير أنَّه إذا تعارَّ وتقلَّب على فراشه، ذَكَر الله عزَّ وجلَّ وكبَّر حتَّى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنِّي لم أسمعه يقول إلَّا خيراً، فلمَّا مضت الثَّلاث ليال، وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، إنِّي لم يكن بيني وبين أبي غَضَب ولا هَجْرٌ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مِرَارٍ: (**يطلُع عليكم الآن رجل من أهل الجنَّة**)، فطلعتَ أنت الثَّلاث مِرَار، فأردت أن آويَ إليك لأنظر ما عملك فأقتديَ به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنِّي لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غِشّاً، ولا أحسد أحداً على خيرٍ أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغتْ بك، وهي التي لا نُطيق)[١].

۞ وعن زيد بن أسلم، أنَّه دخل على أبي دُجانة ﷺ، وهو مريض، وكان

---

[١] رواه الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح، والنَّسائي في الكبرى

وجهه يتهلَّل، فقال له: « ما لك يتهلَّل وجهك؟ قال: ما من عملِي شيءٌ أوثق عندي من اثنتين: أمَّا إحداهما، فكنت لا أتكلَّم فيما لا يَعنيني، وأما الأُخْرى: فكان قلبي للمسلمين سليماً »[١]، وقد ندبنا الشرع إلى قبول عذر المعتذر ففي الحديث: عَنْ جُودَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيه أَخِوه بِمَعْذِرَةٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ خَطِيئَةِ صَاحِبِ مَكْسٍ**)[٢].

وعن عائشة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**عِفُّوا تَعِفَّ نساؤكم، وبِرّوا آباءكم يبَرّكم أبناؤكم، ومن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيء بلغه عنه فلم يَقبل عذره لم يَرِدْ عَلَيَّ الحوض**)[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**عِفُّوا عن نساء الناس تعِف نساؤكم، وبِروا آباءكم تَبركم أبناؤكم، ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك منه، مُحِقًّا كان أو مُبْطِلاً، فإن لم يفعل لم يَرِدْ عليَّ الحوض**)[٤].

وهذه الأحاديث وإن كان فيها ضَعْف فقد تقوَّت بكثرة الطرق والشواهد وقَبول العلماء لها، قال ابن حبان رحمه الله في « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه لجُرمٍ مضى، أو لتقصير سبق، أن يَقبلُ عذره ويجعله كمن لم يذنب؛ لأن من تنصَّل إليه فلم يقبل أخاف أن لا يَرِدَ الحوض على المصطفى ﷺ، ومن فرَط منه تقصير في سبب من الأسباب يجب عليه الاعتذار في تقصيره إلى أخيه، ولقد أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

---

[١] ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى، والذهبي في سير أعلام النبلاء

[٢] رواه أبو داود في «المراسيل»، وابن ماجه في «السنن»، وابن حبان في «روضة العقلاء»، والطبراني في «المعجم الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان».

[٣] رواه الطبراني

[٤] رواه الحاكم في «المستدرك» وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه »

إذا اعتذر الصديق إليك يومـاً مـن التقصيـر عـذر أخٍ مُقــرِّ
فصُنه عن جَفائك واعفُ عنه فإن الصَّفْــح شِــيمةُ كُلِّ حُـرِّ

وقال الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء:

« أماَّ زلَّتُه في حقه – يعني زلة الأخ في حق أخيه - بما يوجب إيحاشه: فلا خلاف في أن الأَوْلى العفو والاحتمال، بل كل ما يُحْتَمَل تنزيله على وجه حسن، ويُتَصَوَّر تمهيد عذر فيه، قريب أو بعيد، فهو واجب بحق الأُخُوَّة ».

وقد جعل الشيخ رحمه الله ذلك مما يُوجبه الكرم ومن محاسن الشِّيَم، والأَولى ألا يُحوِّجَ أخاه إلى الاعتذار بل يعفو ويغفر؛ فقد قال بعض السلف:

ليس بأخٍ لك من أحوجك إلى الاعتذار، أو أوقفك موقفا فيه ذُلّ السّؤال، وجاء معناه عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: «واقبل عُذْرَ أخيك؛ فإن لم يكن له عذر فالتمس له عذراً، ولا تكثرنّ العِتاب فإنّه يُورِث الضغينة»، وعنه رضي الله عنه: «شرُّ إخوانك من أحوجك إلى مداراة، وألجأك إلى اعتذار».




الوصايا الشاذلية
ك

-حرف الكاف-

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٣٤ - [كل عارفٍ خائف].

أقول: خوفُ كلِّ عبدٍ للّه على قَدْر معرفته باللّه تعالى؛ ومن العباد من يخافُه تعالى خوفَ عذاب، ومنهم من يخافه خوف حجاب، ومنهم من يخافُه خوفَ تعظيمٍ وإجلال؛ قال الله تعالى في ملائكته عليهم السلام:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾[١]، وقال فيهم: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[٢] وقال سبحانه في حقِّ العلماء به: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[٣]. وقال النبي ﷺ في حق نفسه: **(ما بَالُ أقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟! فَوَاللهِ إنِّي لَأَعْلَمُهُمْ باللهِ، وأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً)**[٤].

فالمعرفةُ القلبية تُورِث وتُثمِر الخوف والخشية والتعظيم والإجلال للّه تعالى، وهذا يعني امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وفي الدعاء:

اللهمّ وفقنا لهُداك، واجعل عملنا في رضاك، اللهمّ اجعلنا نخشاك كأننا نراك، وأسعدنا بتقواك، اللهم ارزقنا محبتك، و أسكنْ قلوبنا خشيتك، اللهمّ آمين يارب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٣٥ - [كلُّ قانعٍ غَنِيّ].

أقول: هذا داخل في عموم قول النبي ﷺ: **(ارضَ بما قسم الله لك تكنْ أغنى**

---

[١] سورة النحل، الآية (٥٠)

[٢] سورة الأنبياء، الآية (٢٨)

[٣] سورة فاطر، الآية(٢٨)

[٤] رواه الشَّيخان

الناس)[١]، ومعناه: ارضَ بما أعْطاكَ اللهُ من رِزْقٍ، ولا تَأْسَفْ على ما فاتَكَ، من الدُّنيا، (**تكُنْ من أَغْنى الناسِ**)، أي: يَمْلَأُ اللهُ قَلْبَك، ويَدَيْكَ غِنًى؛ لأنَّ مَنْ رَضِيَ بما قُسِمَ له، ولم يَطمَعْ فيما في أيْدي الناسِ اسْتَغْنى عنهم، وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: (**ليسَ الغِنى عن كَثْرة العَرَض ولكنّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**)[٢].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (**قد أفلح مَنْ أسلم، ورُزِق كَفَافًا، وقنّعه اللّه بما آتاه**)[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**اللهمّ اجعلْ رِزقَ آلِ مُحمّد قُوتًا**)[٤].

وقال أبو ذؤيب الهُذَلي:

والنفسُ راغبةٌ إذا رغبّتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

فإذا استغنى المرء بما قَسَمَه الله له، وقنِع به ورضي، ولم يحرص على المكاثرة والمفاخرة، ولم يكن جَموعًا مَنوعًا، ولم يُلحَّ في الطلب إن احتاج، كان من أغنى الناس، ويكون برضاه غالبا للمآسي والشدائد في البأساء والضراء؛ كما قال الشاعر:

ما هيَ إلا مُدّةٌ وتنقضي ما غلَبَ الأيامَ إلا مَن رضِي

وبمعنى كلام الشيخ قالوا: « القناعةُ كنزٌ لا يَفنى».

وقال الشاعر:

إن الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسهِ ولو أنَّهُ عارِ المَنَاكِبِ حافي
ما كلُّ ما فوقَ البسيطةِ كافيًا فإذا قَنِعْتَ فكلُّ شيءٍ كافي

---

[١] رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

[٢] متفق عليه

[٣] رواه مسلم

[٤] متفق عليه

والقناعة لا تتناقض مع التَّوكل، والأخذ بالأسباب، والرَّغْبة في الاستزادة من الخير وَفْق شرع الله وآدابه وأحكامه، ومن الخطأ أن تُفَسَّر القناعة بالرُّكون إلى التقاعس عن العمل، وترك الأخذ بالأسباب، والتمني على الله الأماني، فالقناعة تكون بما قسمه الله للعبد من الرزق وَهْبًا أو كَسْبًا، والله هو الوهّاب عند الأسباب وبلا أسباب، وقد قال الله تعالى عن عبده المؤمن ذي القرنين رحمه الله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[١].

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

رَأَيتُ القَناعَةَ رَأسَ الغِـنى ... فَصِرتُ بِأَذيالِها مُمْتَسِـك
فَلا ذا يَـراني عَلى بـابِـهِ ... وَلا ذا يَـراني بِهِ مُنهَمِـكِ
فَصِرتُ غَنيّـًا بِلا دِرهَـمٍ ... أَمُرُّ عَلى الناسِ شِبهَ المَلِكِ

وقال أبو العتاهية رحمه الله:

رَغِيفُ خُبْـزٍ يَابِـسٌ ... تَـأْكُـلُـهُ فِي زَاوِيَـهْ
وَكُـوزُ مَـاءٍ بَـارِدٍ ... تَشْـرَبُهُ مِنْ صَافِيَـهْ
وَغُـرْفَةٌ ضَـيِّـقَـةٌ ... نَفْسُـكَ فِيهَا خَالِيَـهْ
أَوْ مَسْـجِدٌ بِمَعْـزِلٍ ... عَـنِ الوَرَى فِي نَاحِيَهْ
تَـقْرأُ فيهِ مُصْحَفـًا ... مُـسْتَنِداً بِسَـارِية
مُعتبراً بِمَـنْ مَضَى ... مِـنَ القُرونِ الخَالية
خَيرٌ مِـنَ السّاعاتِ ... في القُصورِ العَالية
تَـعْـقُبها عـقوبـةٌ ... تَصلى بنارٍ حامية
فـهـذهِ وصـيـتـي ... مُـخْـبِـرةٌ بِـحَـالِـيه

[١] سورة الكهف، الآيات (٨٤ - ٨٥)

طُوبى لِـمَن يَسـمعها تـلك لـعَـمري كـافية
فاسمعْ لَنصحِ مُشْـفقٍ يُـدعى أبـا الـعتاهيـة

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٣٦ - [كلُّ عاقلٍ مَغْبُونٌ].

أقول: الغَبْن: النقص والخسارة في البيع، والغَبَن في الرأي؛ أي: ضَعفُه، وفي الحديث: عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**)[١].

قال العلامة القَسْطّلاني رحمه الله: قال في الكواكب: فكأنه قال: هذان الأمران إذا لم يُستعملا فيما ينبغي فقد غُبن صاحبهما فيهما، أي: باعهما ببَخْس لا تُحْمَد عاقبتُه، أو ليس له رأي في ذلك ألبتة؛ فقد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا للعبادة لاشتغاله بالمعاش وبالعكس، فإذا اجتمع الصحة والفراغ وقصّر في نيل الفضائل فذلك الغَبن كلُّ الغبن، لأن الدنيا سوق الأرباح ومزرعة للآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة مولاه فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المَغْبُون؛ لأن الفراغ يعقبه الشُّغْل، والصحة يعقبها السُّقْم، ولو لم يكن إلا الهَرَم، انتهى.

وعلى هذا يُخرّج كلام الشيخ رحمه الله؛ فمن العقلاء من يُغبَط، ومنهم من يُغبَن، فمن استعمل عقله فيما خُلق لأجله من العلم والمعرفة، ودفعه عقله لاغتنام صحته وفراغه فهو مغبوط، وإلا فهو مغبون لما حصل له من الخسارة والنقص، وقد وصف الله تعالى الإنسان بذلك في سورة العصر إلا من رحم فقال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ

[١] رواه البخاري

﴿بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾.

ورحِم الله ابن المُقْري القائل في تائيته:

أَفَانِ بِبَاقٍ تَشْـــتَرِيْهِ سَـــفَاهَةً وَسُخْطـًا بِرِضْوَانٍ وناراً بجنةِ

وهذا هو الغَبن كُلُّ الغَبْن، نسأل الله السَّلامة من موجبات الندامة.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٣٧ - [كلُّ طامعٍ أسيرٌ].

أقول: مَن طمِع بحصولِ شيءٍ أو بالوصول إليه تذلّل من أجلِ ذلك، ووقع في أسر مقصدِه؛ وفي الحكم العطائية: « ما بسَقتْ أغصانُ ذلٍّ إلا على بذر طَمَع»، وفيها: « ما أحببتَ شيئـًا إلا كنتَ له عبداً، وهو لا يُحِبّ أن تكونَ لغيره عبداً »، وفيها: « أنتَ حُرٌّ ممّا أنتَ عنه آيس، وعبدٌ لِمَا أنتَ له طامِع»، وقال غيره: «مَن بَرّكَ فقد أَسَرَك، ومَن جَفاك فقد أطْلَقك »، ولهذا عُرّف عبدُ الله بأنّه: هو الذي لا يَستعبده هواه، ولا تَسترقُّه دُنياه، فإذا أصبحَ العبدُ حُرّاً ممّا سوى اللّه؛ فقد وصل إلى صِدق وإخلاصِ العبادة والعبودية لله تعالى، ومن هذا قولهم: «لن تنالَ صريحَ الحُرّيّة ما دام فيك لغيرِ اللّه بَقِيّة »؛ فليعملِ العبدُ في تحرّر باطنِه من رِقّ الأشياءِ لِيُصبحَ عبداً خالصـًا للّه تعالى لا يُشركُ به ولا معه شيئـًا؛ وفي الحديث: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(تعِسَ عبدُ الدّينارِ والدّرهمِ والقَطِيفةِ والخَمِيصة، إنْ أُعطِيَ رَضِي، وإن لم يُعطَ لم يَرْضَ)**[١].

اللهمَّ اجعلنا من المُخلِصين المُخلَصين يا ربّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٣٨ - [كـلُّ حَريصٍ فقيرٌ].

أقول: قال في اللسان: الحِرْص: شِدّة الإرادة، والشَّرَه إلى المطلوب، وقال

---

[١] رواه البخاري

الجوهري: الحِرْص الجَشَع؛ وهو أن تأخذ نصيبك من الأكل وغيره وتطمع في نصيب غيرك، وقول العرب: حريصٌ عليك؛ معناه: حريص على نفعك، ومنه قول الله تعالى مادحاً الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾[١] وكرِه القراء الوقف على كلمة حريص لدلالتها على معنى مذموم لا يليق بالنبي الكريم ﷺ، فكلام الشيخ رحمه الله يبيِّن فيه أن المُتَّصف بصفة الحِرْص ولو كان غنياً بالأعراض هو فقير محتاج يبحث عمّن يُطعمه ويسقيه ولو كان عنده ما يكفيه أو يغنيه، فهو ليس غنيّاً غِنى النّفس الذي هو من أوصاف الأغنياء بالله تعالى؛ قال رسول الله ﷺ: (**ليسَ الغِنَى عن كَثْرَةِ العَرَضِ، ولَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**)[٢]، وعن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النَّبي ﷺ فقال: (**يا مُحمّد عِشْ ما شئتَ فإنّك ميّت، وأحببْ مَن شئتَ فإنّك مُفارقُه، واعملْ ما شئتَ فإنّك مجزيٌّ به**)، ثم قال: (**يا مُحمّد شرفُ المؤمن قيامُ الليل، وعزُّه استغناؤه عن الناس**)[٣].

❁ وقال رحمه الله تعالى:

١٣٩ - [كلُّ فانٍ يسيرٌ]

أقول: كلُّ شيء في هذه الحياة الدنيا محكوم عليه بالفَناء إلا ما ابتُغي به وجهُ الله تعالى فهو باقٍ بقَبول الله تعالى وبإبقائه؛ قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[٤].

فكل شيء نلابسه ونصاحبه من مأكل ومشرب وملبس ومركب ومنكح ومكسب محكوم عليه بالفناء إلا ما ينوي به المؤمن التَّقويَّ على طاعة الله والتقرب إليه؛ فبإمكان المؤمن أن يجعل من الفانيات التي يلابسها ويصاحبها

---

[١] سورة التوبة، الآية (١٢٨)

[٢] رواه البخاري

[٣] رواه الحاكم وصححه، والطبراني، وحسنّه المُنذري، والهيثمي.

[٤] سورة الرحمن، الآيات (٢٦-٢٧)

وهي محيطة به ولا يمكنه الاستغناء عنها أبوابا مفتحة يدخل منها إلى رضاء الله والجنة، يأخذها من الله ويرجع بها إليه، ويذكر الله تعالى بها وعندها؛ وفي الحديث: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ: (**ليس يتحسَّر أهل الجَنَّة إلا على ساعة مرَّتْ بهم لم يذكروا الله فيها**)[١]، حتى إن أحدهم ليتحسر على الأكلة والنومة والجلسة لم يذكر الله تعالى فيها، فالمؤمن يَصْبُغ الفانيات بصبغة الباقيات الصالحات؛ فيربح الأشياء ولا يخسرها ولا يخسر أوقاتها، بخلاف الكافر الذي يخسر الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾[٣]، فلا ينبغي للإنسان المؤمن أن ينشغل بالأشياء الفانية من حوله بأكثر من حاجته إليها، ولا يعطيها أكثر من حجمها وقَدْرها فهي فانية ويسيرة ليس لها قدر كبير عند الله تعالى؛ فلا يُحجب بها عن الله تعالى وعن الباقيات الصالحات، وفي كلام الشيخ رحمه الله تعالى إشارة إلى معنى آخر: أن كل شيء إلى الفناء مصيرُه فهو يسير إلى زوال، فأنت ومن حولك وما حولك إما أن تزولَ عنك وإما أن تزول عنها، فوطّن نفسك على استحضار ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾[٤].

۞ ويروى عن سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: « إذا تلذذتَ في

---

[١] رواه الطبراني، والبيهقي في الشعب.

[٢] سورة الزمر، الآية (١٥)

[٣] سورة الشورى، الآية (٤٥)

[٤] سورة القصص، الآية (٨٨)

الإثم؛ فإن اللذة تزول، والإثم يبقى، وإذا تعبتَ في البِرِّ؛ فإن التَّعبَ يزول، والبِرُّ يبقى»، وقال الحافظ ابن الجوزي ﵀: « إن مشقَّةَ الطَّاعة تذهب ويبقى ثوابها، وإن لذَّةَ المعاصي تذهب ويبقى عقابها »، وفي هذا المعنى يقول كثيّر عَزَّة:

تفنى اللَّذاذةُ ممَّن نال صَفْوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعارُ

نسأل الله السَّلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٤٠ - [كلُّ راضٍ مستريحٌ].

أقول: الراضي بما قسم الله تعالى له، وبما فتحه الله تعالى له، وما منحه الله تعالى إيّاه، هو راضٍ عن الله تعالى، وله الرّاحةُ النفسية والسّكينةُ فلا يعيشُ في قلقٍ نفْسي ولا عَناء، وفي الحديث عن أنس بن مالك ﷺ: (**إنّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاء، وإن اللّهَ عزّ وجلّ إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم؛ فمن رَضِيَ فله الرِّضَى، ومن سَخِطَ فله السُّخْطُ**)[١]، وعلامته: أنه لا يحسُد أحداً على ما آتاه الله من فضله، وينظر إلى ما آتاه الله إياه من النعم بعين التعظيم، ويشكر الله تعالى عليها فيكرمه الله تعالى بالمزيد، وقال السلطان إبراهيم بن أدهم ﵀: نحنُ في لذّةٍ لو عرفها الملوكُ لقاتلونا عليها بالسّيوف، ونُسب إلى سيّدنا علي بن أبي طالب ﷺ:

رضِينا قسمةَ الجبّار فينا ... لَنا عِلْمٌ ولِلْجُهَّالِ مَالُ

فإنَّ المَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيْبٍ ... وإنَّ العلم باقٍ لا يُزالُ

وقال ابن المعتز:

وما العيشُ إلاّ مدةٌ سوفَ تنقضي ... وما المالُ إلاّ هالكٌ عندَ هالكِ

وقال الشيخ عبد القادر القصاب ﵀:

ما هيَ إلا مُدّةٌ وتنقضي ... ما غلبَ الأيامَ إلا مَنْ رضِي

---

[١] رواه الترمذي، وابن ماجه

وقال العارف الحداد رحمه الله:

الـــزم بابَ ربِّك واترُكْ كُلَّ دُونْ واسألْهُ السّلامة مِن دارِ الفُتــونْ
لايضيقُ صدرُكْ فالحادثْ يهونْ اللّه المقدِّرْ والعالَـــمْ شُــؤونْ
لا تُكثرْ لِهَمّـــكْ ما قُدّرْ يكــونْ

قد ضمنْ تعالى بالرّزق القِــوامْ في الكتابِ المُنــزَلْ نــوراً للأنامْ
فالرّضا فريضةْ والسُّــخطُ حرامْ والقُنْــعُ راحــهْ والطّمــعْ جُنــون
لا تُكثرْ لِهَمّـــكْ ما قُدّرْ يكــونْ

الذي لـغيركْ لا يصـــلْ إليـــكْ والذي قُسمْ لكْ حاصلٌ لديــكْ
فاشـــتغلْ بربّك والذي عليــكْ في فرضِ الحقيقة والشّرعِ المصونْ
لا تُكثرْ لِهَمّـــكْ ما قُدّرْ يكــونْ

شَرعُ المصطفى الهادي البشــيرْ ختــمُ الأنبيــاءِ الــبدرُ المُنيــرْ
صلّــى اللّهُ عليه الــرّبُ القديـرْ ما رِيــحُ الصّبا مالتْ بالغصــونْ
لا تُكثرْ لِهَمّـــكْ ما قُدّرْ يكــونْ

أقول: من لا يقف مواقف التُّهَم بريءٌ عن كل تهمة وعن سوء الظنون به، فهو باقٍ على صحته في عقيدةِ الناس وحسنِ ظنهم به، وصحيح في نفسه عن الشكوك والشبهات وعن كل رِيبة، وهو صحيح النّسبة إلى أهل الله تعالى لا يُخْجِلهم بين يَدَي العزيز سبحانه وتعالى، فلا يضرُّه كلام الناس فيه لثبوت براءته الأصلية، ولا يلتفت إلى كلام الناس فيه إلا من في قلبه مرض من المحجوبين عن الله تعالى، وقد قال الشيخ أبو تراب النَّخْشَبِي رحمه الله: « إذا أَلِف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أهل الله »، فكن أيها السالك طريقَ

الوراثة المحمدية بريئًا صحيحًا في نفسك، وبينك وبين ربك، ولا تلتفت إلى كلام الناس فيك ولا إقبالهم إليك أو إدبارهم عنك، وفي الحكم العطائية: «أجهلُ الناس من ترك يقينَ ما عنده لظنِّ ما عند الناس»، وقال العارف الكبير السيد أحمد الرفاعي ﵁ في البرهان المؤيد: « كُنْ مُتَشَرِّعًا وَدَعْ حاسِدَكَ يَكْذِبْ عَلَيْكَ؛ لا تُبَالِي، وَيَنْسُبُ ما يُحِبُّ إِلَيْكَ؛ لا تُبَالِي»:

وَلَسْتُ أُبَالِي مَنْ رَمانِي بِرِيْبَةٍ إِذَا كُنْتُ عِنْدَ اللهِ غَيْرَ مُرِيبِ

إِذَا كانَ سِرِّيْ عِنْدَ رَبِّي مُنَزَّهًا فمَا ضَرَّنِي وَاشٍ أَتَى بِغَرِيبِ

ويدخل في نتائج البراءة صحة الجسد؛ لأن أمراضه وعلله في حق العامَّة غير المعصومين هي عقوبات المعاصي والآثام وتطهير منها؛ دلَّ على ذلك ما جاء في الدر المنثور للإمام جلال الدين السيوطي ﵀ عند قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[١].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ ﵁ قالَ: (ألا أُخْبِرُكم بِأَفْضَلِ آيَةٍ في كِتابِ اللهِ حَدَّثَنا بِها رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ وسَأُفَسِّرُها لَكَ يا عَلِيُّ؛ **ما أصابكم مِن مَرَضٍ أَوْ عُقُوبَةٍ أَوْ بَلاءٍ في الدُّنْيا فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكم، واللهُ أَكْرَمُ مِن أَنْ يُثَنِّيَ عَلَيْكُمُ العُقُوبَةَ في الآخِرَةِ، وما عَفا اللهُ عَنْهُ في الدُّنْيا فاللهُ أَكْرَمُ مِن أَنْ يَعُودَ بَعْدَ عَفْوِهِ**)[٢].

وعَنِ الحَسَنِ البَصَرِيِّ ﵀ قالَ: لَمّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما**

---

[١] سورة الشورى، الآية (٣٠)

[٢] أَخْرَجَه الأئمة أَحْمَدُ، وابْنُ راهُويَه، وابْنُ مَنِيعٍ، وعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، والحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ، وأَبُو يَعْلى، وابْنُ المُنْذِرِ، وابْنُ أَبِي حاتِمٍ، وابْنُ مَرْدُوَيْهْ، والحاكِمُ.

مِن خَدْشِ عُودٍ، ولا اخْتِلاجِ عِرْقٍ، ولا نَكْبَةِ حَجَرٍ، ولا عَثْرَةِ قَدَمٍ؛ إلّا بِذَنْبٍ؛ وما يَعْفُو اللهُ عَنْهُ أكْثَرُ) [١]، وعَنْ أبِي مُوسى رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: **(لا يُصِيبُ عَبْداً نَكْبَةٌ فَما فَوْقَها أوْ دُونَها إلّا بِذَنْبٍ وما يَعْفُو اللهُ عَنْهُ أكْثَرُ؛** وقَرَأ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ **)** [٢].

وعَنْ عِمْرانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه أنَّهُ: « دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ أصْحابِهِ وكانَ قَدِ ابْتُلِيَ في جَسَدِهِ فَقالَ: إنّا لَنَبْتَئِسُ لَكَ لِما نَرى فِيكَ، قالَ: فَلا تَبْتَئِسْ لِما تَرى فَإنَّ ما تَرى بِذَنْبٍ، وما يَعْفُو اللهُ عَنْهُ أكْثَرُ؛ ثُمَّ تَلا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ »[٣].

وعَنِ الضَّحّاكَ قالَ: « ما تَعَلَّمَ أحَدٌ القُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ إلّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ؛ ثُمَّ قَرَأ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾؛ وقالَ: وأيُّ مُصِيبَةٍ أعْظَمُ مِن نِسْيانِ القُرْآنِ». [٤]

وعَنِ العَلاءِ بْنِ بَدْرٍ أنَّ رَجُلاً سَألَهُ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ؛ وقالَ: قَدْ ذَهَبَ بَصَرِي وأنا غُلامٌ صَغِيرٌ! قالَ: « ذَلِكَ بِذُنُوبِ والِدَيْكَ»[٥].

وعَنْ قَتادَةَ رحمه الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ الآيَةَ؛ قالَ: « ذُكِرَ لَنا أنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كانَ يَقُولُ: **(لا يُصِيبُ ابْنَ آدَمَ خَدْشُ عُودٍ، ولا عَثْرَةُ قَدَمٍ، ولا اخْتِلاجُ**

---

[١] أخْرَجَه الأئمة سَعِيدُ بْنُ مَنصُورٍ، وهَنّادٌ، وعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وابْنُ المُنْذِرِ، وابْنُ أبِي حاتِمٍ.

[٢] أخْرَجَه عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، والتِّرْمِذِيُّ.

[٣] أخْرَجَه عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وابْنُ أبِي الدُّنْيا في « الكَفّاراتِ»، وابْنُ أبِي حاتِمٍ، والحاكِمُ وصَحَّحَهُ، والبَيْهَقِيُّ في « شُعَبِ الإيمانِ».

[٤] أخْرَجَه ابْنُ المُبارَكِ، وابْنُ أبِي شَيْبَةَ، وعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وابْنُ المُنْذِرِ، وابْنُ أبِي حاتِمٍ، والبَيْهَقِيُّ في «الشُّعَبِ».

[٥] أخْرَجَه ابْنُ المُنْذِرِ، وابْنُ أبِي حاتِمٍ.

عِرْقٍ إلّا بِذَنْبٍ؛ وما يَعْفُو اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ)»[١].

وعَنِ البَراءِ ﷺ قالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(ما عَثْرَةُ قَدَمٍ، ولا اخْتِلاجُ عِرْقٍ، ولا خَدْشُ عُودٍ إلّا بِما قَدَّمَتْ أيْدِيكُمْ، وما يَعْفُو اللهُ عَنْهُ أكْثَرُ)**[٢].

وعَنِ ابْنِ أبِي مُلَيْكَةَ – أنَّ « أسْماءَ بِنْتَ أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما – كانَتْ تُصْدَعُ فَتَضَعُ يَدَها عَلى رَأْسِها وتَقُولُ: بِذَنْبِي، وما يَغْفِرُهُ اللهُ أكْثَرُ »[٣].

أقول: فمن أحبّ ألا يعاقب على ذنوبه في نفسه وأهله وماله فليكثر من الاستغفار والصدقة يمحى عنه الذنب وعقوبته بفضل الله تعالى، وليكثر من هذا الدعاء النبوي: **(اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَانٍ، وَإِيمَانًا فِي حُسْنِ خُلُقٍ، وَنَجَاحًا يَتْبَعُهُ فَلاَحٌ، وَرَحْمةً منك، وَعَافِيةً وَمَغْفِرةً مِنْكَ وَرِضْوانًا)**[٤]، **(اللهم إني أسألُكَ عيشةً نَقِيَّةً، ومِيتَةً سَوِيَّةً، ومَرَدّاً غَيْرَ مُخْزٍ، ولا فاضِحٍ)**[٥].

اللهم آمين يارب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٤١ - [كلُّ جمعٍ إلى شتات].

أقول: تفرّد اللّه تعالى بالبقاء، وقضى سبحانه على خلقه كُلِّهم في هذه الحياة الدنيا بالفناء، ومن هنا أمرنا الشارع الحكيم ﷺ بذكر الموت فقال: **(أكثِرُوا ذكرَ هادِمِ اللذَّاتِ)**[٦] يعني: الموتَ، وفي رواية: **(أكثروا ذكر هاذمِ اللَّذات؛ فما ذكره عبدٌ قطُّ وهو في ضيق إلا وسَّعه عليه، ولا ذكره وهو في سَعَةٍ إلاَ ضيَّقه عليه)**[٧].

---

[١] أخْرَجَه عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وابْنُ جَرِيرٍ، وابْنُ المُنْذِرِ، والبَيْهَقِيُّ في « شُعَبِ الإيمانِ ».

[٢] أخْرَجَه ابْنُ مَرْدُوَيَهْ

[٣] أخْرَجَه ابْنُ سَعْدٍ

[٤] رواه النَّسائي في الكبرى، وأحمد، والحاكم.

[٥] رواه الطبراني، والحاكم

[٦] رواه الترمذي، والنَّسائي، وابن حبَّان

[٧] رواه ابن حِبَّان

وقال سيدنا علي ﷺ: «ذكرُ الموت يُميت الشَّهوات في النفس، ويقلع منابت الغفلة، ويقوِّي القلب بمواعيد الله، ويُرِقّ الطبع، ويكسر أعلام الهوى، ويُطْفِئ نار الحرص، ويُحَقِّر الدنيا»، وقال أيضاً:

« اذكروا هادم اللّذّات، ومنغّص الشهوات، وداعي الشتات، اذكروا مفرّق الجماعات، ومباعد الأمنيّات، ومُدنّي المَنيّات، والمُؤذِن بالبَيْن والشتات».

ويدخل في الجمع الذي إلى شَتات كلُّ مالٍ يَدَّخِرُه الإنسان فهو مال وارثه جمعه له وحفظه عنده له؛ ففي الحديث: (**أَيُّكُمْ مالُ وارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِن مالِهِ؟** قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ما مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قالَ: **فإنَّ مالَهُ ما قَدَّمَ، ومالُ وارِثِهِ ما أَخَّرَ**)[١].

ويدخل في ذلك كل صحبة ومحبة كانت لغير الله تعالى بل لغرض؛ فنهايتها إما العداوة أو الانقطاع؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٢]. وقال الإمام مالك ﷺ: « ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل».

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٤٢ - [كلُّ داءٍ يُتداوَى منه إلا سوءَ الخُلُق].

أقول: سوء الخُلُق والعِياذ بالله من صفات المنافقين والذين في قلوبهم مرض، وسوء الخُلُق يعني: أن يكون الإنسان فظّا غليظَ الطّبع، لا يألف ولا يُؤلف، يُسيء إلى من أحسن إليه، ويقطع من وصله، ويحرم من أعطاه، ويظلم الناس ويعتدي عليهم باللسان وباليد؛ بذاءةً وإيذاءً، وهو المعبّر عنه بالحَماقة في قول الشاعر:

---

[١] رواه البخاري

[٢] سورة الزخرف، الآية (٦٧)

لكــلِّ داءٍ دواءٌ يُسْــتَطبُّ بــهِ إلاّ الحماقةَ أعيَتْ مَنْ يُداويها

فهذا وأمثاله يصعب على الدعاة وأهل التربية تزكيتهم وتهذيبهم إلا من رحمه الله تعالى، وكان من أهل الكرامات وخوارق العادات، وربّما بعض هؤلاء لا يصلحُ على يد نبيّ أو رسول؛ قال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام:

« داويتُ المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأتُ الأكمه والأبرص، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدِر على إصلاحه ».

وإنَّ من صفات المؤمنين حُسنَ الخلُق وهو أثقلُ شيء في ميزان العبد، ويُدرِك به درجةَ الصائم القائم كما أخبر بذلك رسولُ الله ﷺ[١].

وهو بشاشة الوجه والتبسم عند اللقاء، وطِيب الكلام، واحتمالُ الأذى، وبذل النّدى، قال أهل العلم: ومنشأ جميع الأخلاق السَّافلة وبناؤها على أربعة أركان: الجهل والظلم والشَّهوة والغضب؛ فالجهل: يُريه الحَسَن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصاً، والنقص كمالاً، والظُّلْم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضى، ويرضى في موضع الغضب، والشهوة: تَحمِلُه على الحِرْص والشُّح والبخل، وعدم العِفَّة، والنهمة، والجشع، والذل، والدناءات كلّها، والغضب: يحمله على الكِبْر، والحقد، والحسد، والعدوان، والسّفه، وفي الحديث: عنْ أبي سعيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **(خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ)**[٢].

وَنقيصة سُوءُ الْخُلُقِ تُنَافِي الإِيمَانَ، فَفي الحديث: **(سُوءُ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ)**[٣]، وفي رواية: **(إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ تَوْبَةً، إِلاَّ صَاحِب**

[١] رواه أبو داود، والترمذي

[٢] رواه الترمذي

[٣] رواه الحاكم مرفوعاً

سُوءِ الْخُلُقِ؛ فَإِنَّهُ لا يَتُوبُ صَاحِبُهُ مِنْ ذَنْبٍ إِلاَّ وَقَعَ فِيمَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ)[١]، وَفي حديث: **(لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّئُ الْخُلُقِ)**[٢].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(ما جبلَ الله تعالى وليًا له إلا على حسن الخلق والسخاء)**[٣]، وعن جابر رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أيّ الأعمال أفضل؟ قال: **(الصبر والسماحة)**[٤]، وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(خُلُقان يحبهما الله عز وجل، وخُلُقان يبغضهما الله عز وجل؛ فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء، وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الْخُلُقِ وَالْبُخْلُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً استعمله في قضاء حوائج الناس)**[٥].

وكان من دعائه ﷺ في افتتاح الصلاة: **(اللهم اهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقني سيء الأعمال وسيء الأخلاق لا يقي سيئها إلا أنت)**[٦]، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «لا تخالط سيِّء الخُلُق فإنه لا يدعو إلا إلى شر»، وقال أيضًا: «لأن يصحبني فاجر حَسَن الخُلُق؛ أحبّ إلي من أن يصحبني عابد سيء الخُلُق»، وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: «سوءُ الخُلُق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخُلُق حسنة لا تضرُّ معها كثرة السيئات».

وصحب ابنُ المبارك رحمه الله رجلا سيء الخُلُق في سفر فكان يتحمل منه ويداريه، فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال: بكيت رحمة له، فارقته وخلقه معه لم يفارقه، وجمع بعضهم علامات سوء الخلق فقال: « أن يكون

---

[١] رواه الخطيب البغدادي

[٢] رواه الترمذي، وابن ماجه

[٣] رواه الدارقطني، وابن عَدِي

[٤] رواه أبو يعلى، وابن حِبَّان

[٥] رواه الديلمي مرفوعًا، والأصفهاني موقوفًا

[٦] رواه النسائي، والدارقطني، وأصله في مسلم، وأبي داود، والترمذي بنحوه

قليل الحياء، كثير الأذى، قليل الصلاح، كذوب اللسان، كثير الكلام، قليل العمل، كثير الزَّلل، كثير الفضول، لا بَرَّاً ولا وَصولاً، ولا وَقوراً ولا صبوراً ولا شكوراً، غيرَ راضٍ، ولا حليماً، ولا رفيقاً، ولا عفيفاً، ولا شفيقاً، لعَّاناً، سبَّاباً، نمَّاماً، مغتاباً، عَجولاً، حقوداً بخيلاً، حسوداً، غضوباً، نَكِداً، يُحِبُّ شهواته ومن وافقه عليها، ويكره ويبغض من خالفه فيها؛ فهذا هو سوء الخلق، والعِياذ بالله تعالى.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٤٣ - [كلُّ شيءٍ يَميل إلا طرائفَ الحِكمة].

أقول: لا يثبتُ في العقول من العلوم، ولا يُتوارث في الأمة عبر الأزمنة من كلام البشر غير المُوحَى به إلا طرائفُ الحكمة والأمثال؛ التي نطق بها الحكماء والعقلاء، والتي أكثرها مأخوذ من الكتب والصحف السماوية التي أنزلها على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، ومن كلامهم الذي هو من جوامع الكلم،

فما من نبيٍّ إلا وآتاه الله الكتاب والحكمة وعلّمه ممّا يشاء، وما بقيَ بعد ذلك مأخوذ من تجارب الأمم وموروثها؛ الذي أُلْهِمَه علماؤها وحكماؤها، وقد سمَّى اللّه تعالى سورة في القرآن باسم لقمان الحكيم رضي الله عنه؛ وهو ليس بنبيٍّ ولكن تتلمذ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وآتاه الله الحكمة، وفي هذا تشريع من الله تعالى لعباده أن يُفِيدوا من الحكماء، ويُدوِّنوا حِكمهم، ويعلّموها الناس، وصدق اللّه تعالى القائل: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[١].

وفي الحكم العطائية: « كل كلام يبرُزُ وعليه كِسوة القلبِ الذي منه برز»؛ وكلام الأحياء بالله من العارفين به يُبقيه اللّه حيّاً، ويضعُ له القَبول بين عباده؛

[١] سورة البقرة، الآية (٢٦٩)

كما وضع لهم القَبول عنده وفي أرضه وسمائه، ويحيي اللّه به القلوبَ الميتة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر كما قال لقمان لابنه: «يا بنيّ جالسِ العلماءَ، وزاحمهمْ بركبتيك؛ فإنّ اللّه يُحيي القلب الميت بالحكمة ينطقون بها كما يُحيي الأرض بوابل السماء»، وفي الأثر: « إذا رأيتم في الرَّجُل قد أُعطِيَ زهداً في الدنيا وقلة منطق، فاقتربوا منه فإنه – يُلقَّى أو يُلَّقنُ – الحِكمة»[١].

اللهم حَسِّن أخلاقنا، وبارك لنا فيما رزقتنا، وألهِمنا الحِكمة والصَّواب وفَصْل الخِطاب يا وهَّاب، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٤٤ – [كلُّ شيءٍ يُستطاع إلا تغييرَ الطِّباع].

أقول: طِباعُ البشرِ ليست على شاكلة واحدة؛ بل منهم الجافي غليظ الطبع، لا يألف ولا يُؤلف، ولا يُؤثِّر ولا يتأثَّر، ومنهم من هو رقيق الطبع، يُؤثِّر في جليسه ويَتأثر من كل جليس، ومنهم من يُؤثِّر ولا يتأثر، ومنهم من يتأثر ولا يُؤثِّر؛ فهم متفاتون، كالمعادن التي تتأثر بالحرارة والبرودة، وكالمِغْناطيس الذي يجذِب الأشياء القابلة للانجذاب، وقد قال النبي ﷺ: (**تَجِدُون النَّاس معادنَ كمعادن الذَّهبِ والفِضَّة**)[٢].

قال الحافظ ابن حجر ﷺ في الفتح: قوله: (**تَجِدُون النَّاس معادنَ**) أي: أصولاً مختلفة، والمعادن جمع معدِن، وهو الشيء المستقر في الأرض، فتارة يكون نفيسًا، وتارة يكون خسيسًا، وكذلك الناس، انتهى.

وذكر العلامة المُناوي ﷺ: في كتابه فيض القدير نقلا عن الرافعي قوله: «وجه الشَّبه أن اختلاف الناس في الغرائز والطبائع كاختلاف المعادن في الجواهر،

---

[١] أخرجه ابن ماجه، والطبراني، والبخاري في التاريخ.

[٢] رواه البخاري

وأن رسوخ الاختلاف في النفوس كرسوخ عروق المعادن فيها، وأن المعادن منه ما لا تتغير صفته، ومنه ما تتغير صفته».

وجميع طبائع المخلوقات العُلْوية كالملائكة عليهم السلام، والأرضية كالوحوش المفترسة، والحشرات السّامة الضّارّة، موجود على شاكلتها في بني آدم، فهنيئا لمن زكّى نفسه من كل طبع دنيء، ووصف سيِّيء، والتحق بأوصاف الملأ الأعلى، والطّباع يسرِق بعضها من بعض في الأعمّ بالمصاحبة والملازمة والتشبه والمحبة؛ على حدّ قول القائل:

فاختر إلى الصحبة من أطاعا إن الطّباع تسـرق الطباعـا

وقال العارفون: « من أسرّ سريرة ألبسه الله رداءها، ولم يخلُ جلساؤه منها»، فمن صَحِب أهل الهداية اهتدى، ومن صَحِب أهل المحبة أحبّ، ومن صحب أهل الورع تورّع، وهكذا في المقامات والأحوال كلها، ومن صحب أهل الضلالة ضلّ والعِياذ بالله تعالى، فقل لي: من تصاحب؛ أقلْ لك من أنت، وقد قال الأديب محمّد صادق الرافعي ﷺ: «واعلم أن أرفع منازل الصداقة منزلتان: الصبر على الصديق حين يغلبه طبعه فيسيء إليك، ثم صبرك على هذا الصبر حين تغالب طبعك لكيلا تسيء إليه»، جعلنا الله وإيَّاكم على أكمل الأوصاف، وأحسن الأخلاق بفضله، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٤٥ - [كم مِنْ غَنيٍّ يُسْتغنى عنه، وكم مِن فقيرٍ يُفتقر إليه].

أقول: المراد بالغنيِّ هنا من استغنى بالمال والجاه، وأورثه ذلك العُجبَ والتكبر والتجبر؛ فيستغني عنه أقاربه وأصدقاؤه؛ لما يرون فيه من بُخلٍ وجهلٍ وجفاءٍ، وقلةِ أدبٍ واحترامٍ، وعدم معرفة بأقدار الآخرين، ولا يقترب منه ولا يصحبه إلا مَن أراد أن يأكل من فُتاته، وفي المقابل كم من فقيرٍ من المال غنيٌّ

بأدبه وخبرته ونصيحته، وبمحبته لأهله وأصحابه؛ وإيثارهم على نفسه؛ فيفتقر إليه مَن حوله لما يرون فيه من أدبٍ واحترامٍ وخبرةٍ و نصيحةٍ وقناعةٍ، وعِفّة وإيثار، وبهذا يتبيَّن لنا حقيقة ما قاله رسول الله ﷺ: (**ليس الغِنى عن كثرةِ العَرَض، ولكنّ الغِنى غِنى النَّفْس**)[١]، فالفقير الذي قلّ مالُه، وكثرت عيالُه، لكنّ نفسَه كبيرةٌ أبيةٌ، شهمٌ كريمٌ، مُتعالٍ عن المذلّةِ والتّبعية، متسامٍ عن التمسح بأذيال الأغنياء، بعيدٌ عن أبوابهم، يردُّ ما لا يَحتاج إليه إذا جاءه على يدِ مَن في ماله حرامٌ أو شُبهة، ولا يطلبُ ما هو غنيٌّ عنه، يرتاحُ لفقرهِ أكثرَ من راحته مع الأغنياء، ومِشيتُه عزيزاً أحبُّ إليه من طأطأة الرؤوس على موائد الكُبراء، قنِع بفقره، واستسلم لقضاء الله وقدره، ومع ذلك تجدُه ربّما جمع إلى هذا الجودَ والكرمَ والإيثارَ؛ فيُؤثر على نفسه ولو كان من ذوي الخَصاصة، ذلك هو العفيفُ الشريفُ الكريمُ، الذي يُفتقر إليه للاستفادة مِن عفته وورعه وكرمه وإيثاره، فهو أستاذٌ في هذه المدرسة الأخلاقية، ومتخصصٌ بهذه الخصال الشريفة التي يَفتقر إليها و إلى تعلّمها منه كثيرٌ من الناس.

وقد قال الحكماء: المالُ يَستر رذيلة الأغنياء، والفقر يُغطّي فضيلة الفقراء، الحاجةُ مِحكُّ النّباهة، غنيٌّ بخيلٌ أفقرُ من مُتسوّل، الأغنياءُ من خوف الفقر في فقر، ومن خوف الذُّلّ في ذُلّ، الفقرُ ليس عيباً وإنما العيبُ البطالة والكسل وذلُّ السؤال، إنّ أغنى الغِنى عقلُ الفقير، وأكبرُ الفقر حُمق الغنيّ، وأوحشُ الوَحشة العُجب، وأكرمُ الكرَم حُسْن الخُلُق، الغنيُّ البخيل فقيرٌ لا يُؤجر على فقره، العَفاف زِينة الفقر، والشُّكر زينة الغنى، حملتُ الجندلَ والحديدَ وكلَّ شيءٍ ثقيلٍ فلم أحملْ شيئاً هو أثقلَ من جار السُّوء، وذُقتُ

[١] متفق عليه

المَرار فلم أذقْ شيئًا هو أمرّ من الوقوف في باب غنيٍّ بخيل، الفقراء الذين يتبادلون الحُبّ والإيثار هم الأغنياء الحقيقيون، لاالفقرُ يستطيع إذلالَ النفوس القوية، ولا الثروةُ تستطيع أن ترفع النّفوس الدّنيئة، ربَّ علمٍ أضاعَ جوهرَه الفقرُ، وجهلٍ غَطّى عليه الثراءُ، مهما يبلغِ الفقر بالناس المؤمنين، ومهما يثقلْ عليهم البؤس، ومهما يُسىءْ إليهم الضيق، فإن في فطرتهم شيئًا من كرامة تحملهم على أن يجِدوا حين يأكلون ممّا كسبتْ أيديهم لذةً لا يجدونها حين يأكلون مما يُساق إليهم دون أن يكتسبوه بكَدّ اليدِ وعَرَقِ الجَبين.

اللهمّ إنّا نعوذُ بك من فِتنة الغِنى وفِتنةِ الفقر، ونعوذ بك اللهمّ من غِنىً يكونُ مُطغيا، ومن فقرٍ يكون مُنْسيًا، ونعوذُ بك من الفقرِ إلا إليك، ومن الغِنى إلا بك، اللهمّ أغننا بالافتقار إليك، ولا تُفقرنا بالاستغناء عنك، آمين.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٤٦ - [كمْ مِن أَكلةٍ مَنعتْ أَكَلات].

أقول: هذا الكلام مشترك بين حقيقة ومجاز، وبين عبارة وإشارة؛ فأما الحقيقة والعبارة فهي في رجل قُدّم إليه طعام بألوان يشتهيها فأكل منها جميعها إلى أن وصل إلى التُّخَمة وابتلي بعُسْر الهضم فذهب إلى الأطباء فألزموه بالحِمية ومنعوه من كثير من الأطعمة، وقديمًا قال طبيب العرب الحارث بن كَلَدَة:

« المعدة بيت الداء، والحِمْية رأس الدواء » ولهذا ينصح الأطباء بعدم الشَّبَع، وأن يقوم عن الطعام وهو يشتهيه؛ وفي الحديث:

عن المِقْدَام بن مَعْدِي كَرِبَ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما مَلَأ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً من بطن، بِحَسْبِ ابن آدم أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه، فإن كان لا مَحَالةَ،**

فَثُلُثٌ لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لِنَفَسِهِ)[١].

وورد من أقوال الحكماء ولا يُعْرَف حديثًا: « نحن قومٌ لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع ».

وأما المعنى المجازي الإشاري فهو: أن السَّالك يسلك عند شيخ فيتعلم على يده فنّـًا من فنون العلم من تخصصه ويتوسع فيه فلا يجد وقتًا ليتعلم عند غيره من فنون العلم ما لا تخصص له فيه، ومثل ذلك من يشتغل بقراءة قرآن أو وِرد من الأذكار في وقتٍ أو زيارة أو مجلسٍ عام فيفوّت بسببه درس علم ينتفع به، ويجهل أن نافلة العلم أفضل من نافلة العبادة، فربما يترتب على فعل خير حرمانٌ من خير أكبر في الوقت، أو من خيرات كثيرة في أوقات، نسأل الله أن يرزقنا البصيرة، وأن يُعَرِّفنَا حقوق الأوقات وما فيها بفضله، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٤٧ - [كم من طالبٍ خائب، وكم من مرزوقٍ غيرِ طالب].

أقول: الإنسان في الطلب على حالتين: إما أن يطلب من الله تعالى عن طريق الوَهْب المُجرَّد عن السبب، وإما أن يطلب منه سبحانه عن طريق الوَهْب المقرون بالسبب، والله تعالى هو الوهّاب عند الأسباب، وهو الوهّاب بلا أسباب، وبعد طلب العبد يعطيه ربّه إحدى ثلاث كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ:

(ما مِنْ مُسلِمٍ يَدْعو بدعوةٍ ليسَ فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رَحِمٍ إلَّا أعطاهُ اللهُ إِحْدى ثلاثٍ: إمَّا أنْ يُعَجِّلَ لهُ دعوتَهُ، وإمَّا أنْ يدَّخِرَها لهُ في الآخِرةِ، وإمَّا أنْ يصرِفَ عنهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَها)[٢]، فهو ليس بخائب في طلبه من الله تعالى، وإنما تأتي الخَيبة بالتخلف عن القبول لترك شرط من شروط الدعاء والتي أوصلها حجة الإسلام

[١] رواه الأئمة أحمد، والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه.

[٢] رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد، وأبو يعلى

الغزالي ﵁ إلى عشرين شرطًا، فتخلُّفُ شرط عاد أثره على الداعي بالخيبة وعدم القبول، وكذلك الطالب من الأسباب ربما يُلبَّى طلبُه وربما يخيب نظراً لتعلق اسمي الله تعالى المعطي المانع، ويوجد من العباد من يرزقه الله تعالى من حيث لا يحتسب دون توقف على سبب، وتلك رتبة خاصة للذين يتقون الله حق تقاته، ويشغلهم ذكره سبحانه عن سؤاله.

وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: يقول الرَّبُّ عزَّ وجلَّ: (**من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**)[١].

وأولئك هم أهل التَّوكل على الله حقَّ توكله يرزقهم كما يرزق الطَّير؛ وفي الحديث: عن عمر بن الخطاب ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطَّير، تغدو خِماصًا وتروح بِطانًا**)[٢]، فالطالبون الصادقون الذين توفَّرت فيهم الشروط درجات ومقامات؛ منهم الطالب بلسانه، ومنهم الطالب بعمله، ومنهم الطالب بتوجهه وتوكله، يرزقهم الله من حيث يحتسبون، ومن حيث لا يحتسبون.

ومن فاته أن يكون منهم فليكن معهم، وليطلب الدعاء ممَّن هم مَظِنَّة ذلك، رضي الله عنهم ونفعنا بهم، وجعلنا الله وإيَّاكم معهم ومنهم بفضله وكرمه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٤٨ - [كم مِن مغرورٍ بالسَّترِ عليه].

أقول: يدخل الغُرور على الإنسان إما من جهة النَّسَب أو الحَسَب أو المال أو العِلْم، وعلامته أنه يتعاظم في نفسه، ويرى أنه خير من غيره؛ فيطلب من الآخرين

[١] رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب

[٢] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن

بلسان المقال أو الحال تعظيمه وخدمته، مع احتقاره الآخرين والاستخفاف بهم، والحسد لمن يُعَظَّم أو يُصَدَّر أو يُقدَّم من الآخرين عليه، وفي الحكم العطائية: « لأن تصحبَ جاهلاً لا يرضى عن نفسه خيرٌ من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه ».

وسبب هذا الغرور والتَّمادي فيه؛ ما هو فيه من ستر الله عيوبَه وقبائحَه عن الخلق، ولو رفع الله عنه السَّتر وأظهر ما هو عليه لسقط تعظيم الخلق له وذهب ما في نفسه من غرور، ولهذا كان من مذهب بعض أهل التربية إسقاط جاهه من قلوب الخلق بإزالة أسباب التَّعظيم، وبإظهار بعض المكروهات أو المحرَّمات الظاهرة أخذاً بأخفِّ المفسدتين للتخلص من مفسدة أكبر أو مُحرَّم أشد، وهو مذهب غير مرضيّ عند المحققين، ولا يُسلّم لفاعله إن كان في ترك فرضٍ قطعيّ، أو إظهارِ حرام قطعي، بخلاف الحرام الظَّني أو الاجتهادي أو المكروه أو خلاف الأولى؛ إن تعيَّن طريقاً وحيداً للتَّخَلُّص من كبائر الباطن ولم يجد في غيره مخلصاً لما هو فيه، وفي الغالب يكون ذلك دون إرشاد مرشد كامل؛ لما يترتب عليه من مفاسد في حقِّ من رآه فيما جاهر فيه من مخالفات، ومن هنا قال بعضهم: ربما يسعد المُذنب ويشقى من رآه، يسعد المذنب لما يترتب على فعل ذنبه من ندم وانكسار وتذلل وتوبة وإنابة، ويشقى من رآه على الذنب لما يصحبه من دوام سوء الظن به وهتك الستر عنه.

وفي الحكم العطائية: « رُبّ معصيةٍ أورثتْ ذلاّ وانكساراً خيرٌ من طاعةٍ أورثت عزاً واستكباراً»، وفيها أيضاً: « من اطّلع على أسرار العباد ولم يتخلّق بالرّحْمة الإلهية كان اطّلاعه فتنةً عليه وسبباً لجرِّ الوبال إليه»، نسأل الله السَّلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

وقد ألّف الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله أبوابًا في إحيائه في التحذير من الغرور، وله كتاب « الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين ».

وللإمام الشيخ الشعراني رحمه الله كتاب « تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر لما خالفوا فيه سلفهم الطاهر » وهي جديرة بالقراءة والدراسة لمن ابتُلي بشيء من الغرور في نفسه، عافانا الله والمسلمين من أمراض النفس وآفاتها بفضله وكرمه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٤٩ - [كمْ مِنْ مُستدَرجٍ بالإحسان إليه].

أقول: المستدَرج هو الكافر المنعَم عليه بأنواع النّعم الدنيوية وهو مُصرٌّ على الكفر، ومثله العاصي المُجاهِر بالمعاصي؛ وقد قال الله سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾[١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٧٨﴾[٢]، وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۝١٨٣﴾[٤].

وفي الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ:

(إن الله ليُمْلِي للظالم، فإذا أخذه لم يُفْلِتْهُ، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ

---

[١] سورة المؤمنون، الآيات (٥٥ - ٥٦)

[٢] سورة آل عمران، الآية (١٧٨)

[٣] سورة الأنعام، الآية (٤٤)

[٤] سورة الأعراف، الآيات (١٨٢ - ١٨٣)

ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[١])[٢].

وقد عرّف العلماء الاستدراج بتعاريف منها:

۞ استدراج اللهُ العبدَ هو أخذه قليلاً قليلاً من دون مباغتة، وإمهالُه وعدمُ تعجيل عقوبته، والمراد بكيد اللّه للمكذبين بآياته أنه يتركهم يغترّون بإحسانه الظاهر فينسون الاستغفار فيتمادون في معصية الله.

۞ الاستدراج الأخذ بالتدريج منزلة بعد منزلة؛ ومنه إسباغ النّعم على العبد، رغم كثرة عصيانه، ومنعه من شكر المنعم حتى يأخذه الله تعالى بغتة، واستدراج الكافرين؛ صفةٌ فعليةٌ ثابتةٌ لله -عزَّ وجلَّ - بالكتاب والسنة.

وفي الحديث مرفوعـًا: (**إذا رأيت اللّهَ يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج**)[٣].

۞ الاستدراج: هو أن يعطي الله العبد كل ما يريده في الدنيا ليزداد غَيُّه وضلاله وجهله وعناده؛ فيزداد كل يوم بعداً من الله تعالى، وإلى هذا أشار الشيخ ﷺ، وأنواع الإحسان كثيرة تعمُّ جميع النّعم الدنيوية والدينية إذا لم يشكر العبد فيها ربه سبحانه بل عصى الله ظاهراً أو باطنـًا، فربما يكون بعض أهل الطاعة وأهل العلم مستدرَجـًا وهو لا يدري، فمن الناس من هو مستدرَج بكثرة المال، ومنهم من هو مستدرَج بالصّحة، ومنهم من مستدرَج بكثرة الأتباع وإقبال الخلق عليه، ومنهم من هو مستدرَج بالعلم الظاهر مع الإصرار على معصية أو مع الرّياء وحبّ المَحمَدة والثناء، ومنهم من هو مستدرَج بالكرامات وخوارق العادات،

---

[١] سورة هود، الآية (١٠٢)

[٢] متفق عليه

[٣] رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى

وغير ذلك، نسأل الله السَّلامة والعافية.

ولقد مرَّ الإمام الغزالي رحمه الله – كما قيل – بالمدرسة النّظامية التي كان إماماً فيها يعلّم الطّلاب ويعطي الدروس الدينية بعد أن اعتزل الناس ورَقَّت نفسه وصفت حاله فقال قوله المأثور المشهور: « هنا كنا نعصي الله» متهماً نفسه مشيراً إلى أنه كان يعلّم الدّين لا بإخلاصٍ كامل ولا باحتسابٍ تامٍّ لله، وقال الإمام أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه: « كم طيّرت طقطقة النّعال حول رؤوس الرّجال من رأس، وكم أذهبتْ من دين!»، نسأل الله السَّلامة من مُوجبات النّدامة، في الدُّنيا وفي القبر وفي يوم القيامة.

اللهمَّ لا تَدَعْنا في غَمْرة، ولا تأخذنا على غِرّة، ولا تجعلنا من الغافلين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٥٠ - [كم مِنْ مبتلىً بالنَّعماء، ومانٍّ عليه بالبَلاء].

أقول: الابتلاء هو الاختبار واللّه تعالى يبتلي إيمان عبده بما ظاهرُه نعمة وباطنه فتنة، وبما ظاهرُه فتنة وباطنه نعمة، وهي المقادير المتقابلة؛ كالغنى والفقر، والصّحة والمرض، والعزّ والذّلّ، والمدح والقدح، والطّاعة والمعصية، وأمثال ذلك، فالعبد ما بين شكر وصبر دائماً، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾[٢]، وقال الله تعالى حكاية عن لسان نبيه ورسوله سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۖ

[١] سورة الأنبياء، الآية (٣٥)

[٢] سورة الفجر، الآيات (١٥ - ١٦)

وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[٣]، وقال الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾[٤]، فكلّ الخلائق مبتَلَون، واللّه هو المُبلي والمُبتلِي، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾[٥].

وأضرب مثالاً على ذلك رسولَ الله ﷺ وأهلَ بيته وأصحابَه ﷺ، والرُّسلَ عليهم الصلاة والسلام وأصحابَهم، كانوا أشدَّ النّاس بلاءً ابتلاهم اللّه تعالى بإيذاء الخَلق لهم، وهم مستَضعَفُون في الأرض، وبالفقر وبالمرض، ثم ابتلاهم بالعِزِّ والغنى بعد أن مكّن لهم في الأرض فلم يرتدَّ أحد من أصحابهم عن إيمانهم، ولم يخرجوا عن عبوديتهم لله تعالى، ولا عن أحكام وآداب شرائع الله تعالى في الحالين، وهكذا المؤمنون في كل زمان ومكان يُبتَلَون على قَدر إيمانهم.

وفي الحديث: عن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه: قلتُ: يا رسولَ اللهِ أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً ؟ قال: (**الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلَى الرَّجلُ على حسْبِ دِينِه، فإن كان دِينُه صُلبًا اشتدَّ بلاؤُه، وإن كان في دِينِه رِقَّةٌ ابتلاه اللهُ على حسْبِ دِينِه فما يبرَحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يمشيَ على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ**)[٦].

---

[١] سورة النمل، الآية (٤٠)

[٢] سورة الأنعام، الآية (١٦٥)

[٣] سورة الملك، الآية (٢)

[٤] سورة الأعراف، الآية (١٦٨)

[٥] سورة المؤمنون، الآية (٣٠)

[٦] رواه الترمذي وقال حسن صحيح

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قالَ: يا رسولَ اللهِ! أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قالَ: (**الأنبياءُ ثمَّ الصَّالِحونَ، و قد كانَ أحدُهم يُبتلَى بالفَقرِ، حتَّى ما يجِدُ إلَّا العَباءةَ يجُوبُها فيلْبسُها، و يُبتلَى بالقُمَّلِ حتَّى يقتُلَه، و لأَحدُهُم كانَ أشدَّ فرَحًا بالبَلاءِ، من أحدِكم بالعَطاءِ**)[١].

وقد قال الإمام ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: «لِيخففْ ألمَ البلاءِ عنك علمُك بأنه سبحانه هو المبلي لك، فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عوَّدكَ حُسْنَ الاختيار »، فظاهرُ النّعمة وباطنُها على الحقيقة كلُّ ما يُذكّرُك باللّه ويُورثك حمدَ اللّه وشكرَه وطاعتَه والرجوعَ إليه، وأمّا ما يَشغلك عن طاعته، ويُنسيك ذكرَه، ويُورثك الغفلةَ والمعصيةَ؛ فهو النّقمة والفتنة وإن كانت بمظهر النعمة، نسأل الله السَّلامة من النّقم، ونسأله دوامَ النِّعم، وحسنَ الخِتام.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٥١ - [كم مِنْ غنيٍّ فقيرٌ، وكم مِنْ فقيرٍ غنيٌّ].

أقول: يدل على هذا حديث رسول الله ﷺ قال: (**ليس الغِنى عن كثرة العَرَض، ولكنّ الغِنى غِنى النّفْس**)[٢]، قال شيخ الإسلام الإمام النّووي رحمه الله: الْعَرَض هُنَا - بِفَتْحِ الْعَيْن وَالرَّاء جَمِيعًا- هُوَ: مَتَاعُ الدُّنْيَا.

وَمَعْنَى الْحَدِيث: الْغِنَى الْمَحْمُودُ غِنَى النَّفْس وَشِبَعُهَا وَقِلَّةُ حِرْصهَا لَا كَثْرَةُ الْمَال مَعَ الْحِرْص عَلَى الزِّيَادَة؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ طَالِبًا لِلزِّيَادَةِ لَمْ يَسْتَغْنِ بِمَا مَعَهُ فَلَيْسَ لَهُ غِنًى، وبمعناه حديث أبي ذرّ رضي الله عنه: قال له رسول الله ﷺ: يا أبا ذَرٍّ ! أَتَرَى كَثْرَةَ المالِ هو الغِنَى ؟ قلتُ: نَعمْ يا رسولَ اللهِ ! قال: **فَتَرَى قِلَّةَ المالِ هو الفقرَ؟**

[١] رواه البخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه بسند صحيح

[٢] متفق عليه

قُلتُ: نَعمْ يا رسولَ اللهِ ! قال: **إنَّما الغِنَى غِنَى القلبِ، والفَقْرُ فَقْرُ القلبِ**، ثُمَّ سأَلَنِي عن رجلٍ من قُرَيْشٍ قال: **هل تَعرِفُ فلانـًا؟**، قُلتُ: نَعمْ يا رسولَ اللهِ ! قال: **فكيفَ تَراهُ – أو تُراهُ؟**، قُلتُ: إذا سَأَلَ أُعطِي، وإذا حَضَرَ أُدْخِلَ، قال: ثُمَّ سَأَلَنِي عن رجلٍ من أهلِ الصُّفَّةِ، فقال: **هل تعرِفُ فلانـًا؟**، قُلتُ: لا واللهِ ما أعرِفُهُ يا رسولَ اللهِ! فما زالَ يُحَلِّيهِ ويَنْعتُه حتى عرفتُه، فقلتُ: قد عرفتُه يا رسولَ اللهِ! قال: **فكيفَ تَراهُ – أو تُراهُ ؟**، قُلتُ: هو رجلٌ مِسكينٌ من أهلِ الصُّفَّةِ، قال: **فهُو خيرٌ من طِلاعِ الأرضِ من الآخَرِ**؛ قُلتُ: يا رسولَ اللهِ! أفَلا يُعطَى من بعضِ ما يُعطَى الآخَرُ؟ فقال: **إذا أُعطِيَ خيراً فهُو أهلُه، وإذا صُرِفَ عنهُ فقدْ أُعطِيَ حَسنةً)**[١].

وعن أبي ذرٍّ ﷺ أيضـًا قال: قال رسول الله ﷺ: **(انظر أرفعَ رجلٍ في المسجد؟**، قال: فنظرت فإذا رجل عليه حُلّة، قلت هذا؛ قال: قال لي: **انظر أوضعَ رجل في المسجد؟** قال: فنظرت فإذا رجلٌ عليه أخلاق، قال: قلت هذا؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: **لَهَذا عند الله خير يوم القيامة من ملء الأرض مثلَ هذا)**[٢].

فكم من غنيٍّ بالمال في الدنيا يأتي فقيراً يوم القيامة، وكم من فقير في الدنيا يأتي غنيـًا في الآخرة ويكون ملكـًا من ملوكها، وفي الحديث: **(كَمْ مِن كاسِيَةٍ في الدُّنيا عَارِيَةٍ يومَ القيامةِ!)** وفي رواية: **(رُبّ كاسيةٍ)**[٣].

واختُلف في المرادِ بقولِه: **(كاسِيَة)** و**(عارِيَة)** على أَوْجُه:

أحدُها: كاسِيةٌ بالثِّيابِ لكنَّها شَفَّافَةٌ لا تَستُرُ عَورتَها؛ فتُعاقَبُ في الآخرة بالعُرْيِ جَزاءً على ذلك.

ثانيها: كاسيةٌ في الدُّنيا بالثِّيابِ لوُجودِ الغِنَى، عاريةٌ في الآخِرة مِن الثَّوابِ؛

---

[١] رواه النَّسائي، وابنُ حِبّان في صحيحه

[٢] رواه أحمد، وابن حبان

[٣] رواه البخاري

لعدَمِ العملِ الصَّالحِ في الدُّنيا.

ثالثُها: كاسيةٌ مِن نِعَمِ اللهِ، عاريةٌ مِن الشُّكرِ الذي تَظهَرُ ثَمرتُه في الآخِرةِ بالثَّوابِ.

رابعُها: كاسيةٌ جَسَدَها، لكنَّها تَشُدُّ خِمَارَها مِن وَرائها فيَبْدُو صَدْرُها، فتَصِيرُ عاريةً؛ فتُعاقَبُ في الآخِرة.

خامسُها: كاسيةٌ مِن خِلْعَةِ التَّزوُّجِ بالرَّجُلِ الصَّالحِ، عاريةٌ في الآخِرةِ مِن العَمَلِ؛ فلا يَنفعُها صَلاحُ زوجِها، كما قال تعالَى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾[١]، ورُوي من أقوال بعض السلف: « اتَّخذوا عند الفُقراء أياديَ فإنّ لهم دولةً يوم القيامة».

اللهمَّ ارزقنا غِنى النّفْس مع وجود المالِ والعَرَض، وعند فقدهما، وأغننا بفضلك عمن سواك يا ربّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٥٢ - [كفى بالغَفْلةِ ضَلالاً].

أقول: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[٢]، وأصلُ الغفلة والمعصية: الرِّضا عن النَّفْس، ومجالسةُ أهل الغفلة، وأصل اليقظة والعِفَّة: عدم الرضا عن النفس، ومجالسةُ أهل الذكر، كما أشار إلى ذلك صاحب الحكم رحمه الله تعالى.

ومن أسباب اليقظة الدائمة قراءة حزب من القرآن الكريم في صلاة القيام ففي الحديث: عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المُقَنْطِرين)**[٣].

---

[١] سورة المؤمنون، الآية (١٠١)

[٢] سورة الكهف، الآية (٢٨)

[٣] رواه أبو داود

فإن لم يستطع القيام بها فليقرأها من غير قيام ففي الحديث: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَن قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيلَةٍ لَم يُكتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ**)[١]،

وقد جاء أيضاً من قول جماعة من الصحابة رضي الله عنهم. فعن ابن عمر ﷺ قال: (**من قرأ في ليلة بعشر آيات لم يكتب من الغافلين**)[٢]. وورد نحوه أيضاً عن تميم الداري ﷺ.

وفي الأدعية دعاء: سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ: « اللهم لا تدَعْنا في غَمرة، ولا تأخذنا على غِرّة، ولا تجعلنا من الغافلين».

وجاء أيضاً عن عمر بن الخطاب ﷺ بلفظ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَأْخُذَنِي عَلَى غِرَّةٍ، أَوْ تَذَرَنِي فِي غَفْلَةٍ، أَوْ تَجْعَلَنِي مِنَ الْغَافِلِينَ ».

فيتعين على العاقل أن يتنبَّه من غفلته، ويستيقظ من نوم قلبه وعقله حتى يعرف قيمة الوقت والزمن؛ ويغتنم ذلك بأسباب سعادته في دنياه وآخرته، وبذلك يُحْفَظْ من الضَّلال والضَّياع، ويحيي الله له قلبه بالذِّكر يوم تموت القلوب بالحيرة والشكوك والأوهام القاطعة عن الله تعالى، وفي حزب البحر للإمام أبي الحسن الشاذلي ﷺ: اللهمَّ إنا نسألكَ العِصمة في الحركاتِ والسَّكَناتِ والكلماتِ والإراداتِ والخَطَراتِ؛ من الشكوكِ والظُّنونِ والأوهام الساترةِ للقلوبِ عن مُطالعةِ الغيوب، اللهمَّ آمين يارب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٥٣ - [كفى بالشَّيبِ نذيراً].

أقول: لا تنقطع النُّذُر من الله تعالى لعباده عامّة، ولكل إنسان خاصّة، وهي

---

[١] رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

[٢] رواهما الدارمي في مسنده

الكوارث والمصائب والأمراض وغير ذلك، فهي نذُرٌ من اللّه تعالى ليرجع العباد إليه تعالى منيبين تائبين، وقد قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾[١]، وقال عزّ وجلّ:﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾[٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾[٣]، ومن تلك الآيات والنُّذُر شيبُ الشّعرعند كِبَر السِّن؛ وقد فُسّر به قوله تعالى:﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[٤].

قال العلامة القرطبي رحمه الله: قال ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، وسفيان، ووكيع، والحسن بن الفضل، والفراء، والطبري، رحمهم الله تعالى: هو الشَّيْب، وقيل: النَّذير: الحُمَّى، وقيل: موت الأهل والأقارب، والنَّذير بمعنى الإنذار، وسمي الشَّيْب نذيراً لأنه يأتي في سِنِّ الاكتهال وهو علامة لمفارقة سِنِّ الصِّبا الذي هو سِنُّ اللَّهو واللَّعب، قال الشاعر:

رأيت الشّـــيب من نُذُر المنايا لصاحبه وحسـبُك من نـذيـر

وقال آخر:

فقلت لها المشيبُ نذيرُ عمري ولســتُ مسـوِّدا وجهَ النذير

وفي الحديث: عَنْ أبي هُريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**أعذرَ اللهُ إلى امرئ أخَّر أجلَه حتى بلغَ ستِّين سنةً**)[٥].

---

[١] سورة الأعراف، الآية(١٣٠)

[٢] سورة المؤمنون، الآية (٧٦)

[٣] سورة الإسراء، الآية (٥٩)

[٤] سورة فاطر، الآية (٣٧)

[٥] رواه البخاري

قال العلماء: معناه: لم يتركْ له عذراً إذ أمهله هذه المدةَ، يُقالُ: أعْذرَ الرَّجلُ: إذا بلغَ الغايةَ في العُذرِ؛ قال الحافظ المناوي ﷺ: في فيض القدير في شرح هذا الحديث: أعذر الله إلى امرئ؛ أي: سلب عذر ذلك الإنسان فلم يبق له عذر يعتذر به؛ كأن يقول: لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به، فالهمزة للسلب، أو بالغ في العذر إليه عن تعذيبه حيث أخَّر أجله يعني أطاله حتى بلغ ستين سنة لأنها قريبة من المُعْتَرك وهو سِنُّ الإنابة والرجوع، وترقب المَنِيَّة، ومظنة انقضاء الأجل، فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار ولزوم الطاعات والإقبال على الآخرة بِكُلِّيته، ثم هذا مجاز من القول فإن العذر لا يَتوجَّه على الله وإنما يَتوجَّه له على العبد، وحقيقة المعنى فيه: أن الله لم يترك له شيئًا في الاعتذار يتمسك به، وقيل لحكيم: أي شيء أشدّ؟ قال: دنوُّ أجل وسوءُ عمل، وعن مجاهد ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ﷺ يَقُولُ: الْعُمُرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللهُ إِلَى ابْنِ آدَمَ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾[١] أَرْبَعُونَ سَنَةً، وقال الإمام مالك ﷺ: أدركت طلبة العلم في بلدنا يطلبون العلم والدنيا، ويخالطون الناس، حتى إذا بلغوا الأربعين تركوا الدنيا ومخالطة الناس، وتفرَّغوا ليوم القيامة، جعلنا الله وإيَّاكم ممَّن تذكّر وأصلح العمل، وأناب إلى الله تعالى قبل نزول الأجل، بفضله وكرمه، آمين يا رب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٥٤ - [كفى بالتَّكَبُّر تَلَفًا].

أقول: التّكَبُّر مَتَلَفة، والعَرَبُ تقول: إنّ من القَرَف التَّلَف، والقَرَف: مُداناةُ الوباء، ومُقارفةُ المعاصي، والمَتالف: المَهالك، والتّلَف: الهلاك والعطَب في كل شيء، وأمراض القلب كلُّها متالفُ ومعاطبُ، وهي كبائرُ الإثم الباطن،

[١] سورة فاطر، الآية (٣٧)

وهي أشدُّ خطراً على المؤمن من كبائر الإثم الظاهر، ولمّا كانت معاصي إبليس من كبائر النَّفس وهي الحسدُ والتّكبّر طُرد من رحمة الله تعالى، ووجبت عليه لعنة الله عزّ وجلّ، ومثلُه كل من اتّصف بوصفه، والعِياذ بالله، والكِبر عرَّفه رسول الله ﷺ بقوله: (**بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ أو غَمْصُ الناس**)[١].

وبَطَرُ الحقِّ: عدم قبوله وترك الانقياد إليه؛ لظهوره على لسان غيره، ويدخل فيه التكبر على الله تعالى بترك امتثال أوامره، وبالتجرؤ على ارتكاب ما نهى عنه؛ استهزاء واستخفافاً، وغمْص الناس وغمْطهم: الاستخفافُ بهم واحتقارُهم، وهو مانع من دخول الجنة: قال رسول الله ﷺ: (**لا يدخلُ الجنّة مَن كان في قلبه مثقالُ ذرّة من كِبر**)[٢]؛ قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه: الظَّاهر ما اختاره القاضي عِياض وغيره من المحققين أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه، وقيل: هذا جزاؤه لو جازاه وقد يتكرم بأنه لا يجازيه، بل لا بد أن يدخل كل الموحّدين الجنة، إما أولاً، وإما ثانياً، بعد تعذيب أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرّين عليها، وقيل: لا يدخلها مع المتقين أول وَهْلَة، والله أعلم.

أعاذنا الله وإيَّاكم والمسلمين من كبائر الإثم ظاهراً وباطناً بفضله، وجعلنا من أهل جنَّتِه برحمته.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٥٥ - [كفى بالاغْتِرار جَهْلاً].

أقول: الغُرورُ أن يغترّ الإنسان بما وصل إليه على وَفْق الهوى من علم أو معرفة أو مكانة؛ فيقطعه غروره عن الترقي، وعن طلب المزيد من فضل الله تعالى، ويحملُه غروره على التكبر على غيره، والعُجْب بما هو فيه، وقد جعله الشيخ رحمه الله تعالى: غاية الجهل أي: بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته وأفعاله

[١] رواه مسلم

[٢] رواه مسلم

عزّ وجلّ، وقد ألّف حجة الإسلام الغزالي ﷺ كتاب « الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين »، وله في الإحياء في ربع المهلكات « كتاب ذم الغرور »، ذكر فيه غرور أهل العلم، وغرور أرباب العبادة والعمل، وغرور المتصوفة، وغرور أرباب الأموال، فليقرأه السالك لِزاماً.

وجاء من بعده الإمام الشَّعراني رحمه الله تعالى فألَّف كتابه: « تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر» وهما كتابان جديران أن يُقرآ للسَّالكين وعامة المؤمنين.

وقد قال أهل الله: الإمام الغزالي غَزَل، والإمام الشَّعْراني نَسَج، رحمهما الله ورضي عنهما وجزاهما خير الجزاء، فما ترك من الجهل شيئاً من اغترَّ بما هو فيه وعليه؛ من علم أو حال أو كرامة ورتبة، وتقديمٍ على غيره، وظهورٍ وشهرةٍ بين أهل بلده وزمانه، نسأل الله السَّلامة والعافية بفضله، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٥٦ - [كفى بالمرءِ عَثْرةً أن يُبصِرَ من عُيوبِ النّاس ما يخفى عليه مِن عيوبِ نفسِه].

أقول: قال ابن منظور ﷺ في اللسان: « العَثْرة الزَّلة، وعثَر كبا»، وفي المثل: « لكلِّ جَوَاد كَبْوة، ولكلِّ سيفٍ نَبْوة، ولكلِّ عالمٍ هَفْوة»، وفي المثل أيضاً: « عَثْرة القَدَم أسلمُ مِن عَثْرة اللّسان »، ويعني المثل: أنّ انزلاق قدم الإنسان قد يؤدي لإصابته التي قد تسبب له ألماً لكنها قابلة للعلاج، وأمّا زلّةُ وانزلاقُ اللّسان فقد تسبّب له مصائب ومصاعب وعواقب لا ينفع معها العلاج، والشيخ ﷺ جعل أكبر عَثرة للإنسان أن يُبصر في غيره من العيوب ويتكلمَ بذلك ويذمَّ من تلبّس بها وهي موجودة عنده في نفسه أو أشدّ وأكبر منها، وقد جاء عن السيد المسيح عيسى

على نبينا وعليه الصلاة والسلام من قوله هذه الوصية: « لا تنظروا إلى عيوبِ النّاس كالأرباب، وانظروا إلى عيوبكم كالعبيد، إن الرجل يُبصر القذاةَ في عين أخيه، ولا يبصر الجِذْع في عينيه، وإنما الناس رجلان: معافًى ومبتلًى، فاحمَدوا اللّه على العافية، وارحموا أهل البلاء».

وجاء مثله عن نبينا محمد ﷺ وهو قوله: (**يُبْصِرُ أحدُكم القذَى في عينِ أخيهِ ويَنْسَى الْجِذْعَ في عينِهِ**)[١]، والقَذَاة ما يَقَعُ في العَيْنِ والماءِ والشَّرابِ من نحْوِ تُرابٍ وتِبْنٍ، (**في عَيْنِ أَخيهِ**) في الإسلامِ، (**ويَنْسَى الجِذْعَ في عَيْنِهِ مُعْتَرِضًا**) والمعنى: أنَّه يُبصِرُ عَيْبَ غيرِهِ وإنْ كان صغيراً ويَتَحدَّثُ به، ولا يُبصِرُ عَيْبَ نَفْسِهِ الظاهِرَ، مع أنَّ العبدَ يَنْبغي عليه ألَّا يَنْشغِلَ بذُنُوبِ العِبادِ ويَنْسى نَفْسَهُ؛ لأنَّه سيُسْأَلُ عما قدَّم لنفْسِهِ، وفي هذا الحديثِ: أدبٌ عظيمٌ جليلٌ على المسلمِ المتَّقِي أنْ يَتأدَّبَ به، وهو ألَّا يَنشغِلَ بعُيوبِ العِبادِ ويَنسَى عيبَ نفْسِه، وروي في خبر: «طُوبى لمَن شغله عيبُه عن عيوبِ النّاس»[٢] وعن مجاهد رحمه الله قال: « ذكروا رجلاً عند ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك، فاذكر عيوبك»[٣].

وقال بعضهم:

عجبتُ لمَن يبكي على موتِ غيرِه ... دُمُوعًا ولا يبكي على موتـه دَمَـا
وأعجبُ مِن ذا أنْ يرى عيبَ غيـره ... عظيمًا وفي عَينيـه عن عَيبه عَمَـى

وفي وصية رسول الله ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه:

قال: (**لِيحجزْك عن النّاس ما تعلمُ من نفسك**)[٤]، ومعناه: ليمنعك عن غِيبة

[١] رواه ابن حِبان، وأبو نُعَيم في الحِلية، وابن المبارك في الزُّهد
[٢] رواه الطبراني في المعجم الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان، والقُضاعي.
[٣] رواه البخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في شعب الإيمان.
[٤] رواه الإمام أحمد، والطبراني، وابن حِبان.

الناس وأذاهم الذي تعلمه من نقصك في حق نفسك، وأنك في حاجة إلى إصلاح النفس، فعليك أن تشتغل بهذا عن ذكر الناس.

وقد جعل الإمام الحسن البصري ﷺ ذلك من علامات الفقيه فقال: « إنما الفقيهُ المُعرِضُ عن الدُّنيا، الراغبُ في الآخرة، البصيرُ بعيوبِ نفسه، المداومُ على عبادةِ ربّه، الكافُّ لسانَه عن أعراضِ النّاس، العفيفُ عن أموالِهم ».

وفي كلام الصّوفية: « أراك عيبَك في مرآةِ أخيك لينبّهكَ على ما خَفِي فيك » فإن كان ذلك العيبُ غيرَ موجود فيك بالفعل فاحمَد الله أن عافاك منه، وربَّما يكون موجوداً من حيث القوة والدواعي النفسية فادعُ اللّه أن يحفظك من الوقوع فيه، قال الإمام مالك ﷺ: « أدركت بهذه البلدة -يعني: المدينة المنوَّرة على منوِّرها الصلاة والسلام - أقوامًا لم تكن لهم عيوب، فعابُوا الناس فصارت لهم عيوب، وأدركت بها أقوامًا كانت لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس فنُسيت عيوبهم»، نسأل الله السَّلامة من موجبات الندامة في الدنيا وفي يوم القيامة.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٥٧ -[**كفى بالمَرءِ جهلاً أن يُنكِرَ على النّاس ما يأتي بمثلِه**].

أقول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتركهما على مراتب:

الأولى: رتبة الكاملين، وهي: أن يأمر بالمعروف ويأتمر به، وينهى عن المنكر وينتهي عنه.

والمرتبة الثانية: من يفعل المعروف لكن لا يأمر به، ويترك المنكر لكن لا ينهى عنه.

والثالثة: أن يأمر بالمعروف ولا يأتمر به كله أو بعضه، وأن ينهى عن المنكر ويأتي بمثله.

وهذا الذي سمَّاه الشيخ جهلاً، وفي أمثال هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[١]، وفي الحديث الصحيح: عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النّار، فتندلق أقتابُ بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرّحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**)[٢].

ويحمل ذلك على المستخف، والمستهزئ، والمتجرئ، والمتعمد، وأما الضعيف الذي تغلبه نفسه وشيطانه، وينوي الائتمار والانتهاء ويتقوى لذلك؛ فلا يدخل في الوعيد، وقد قال أهل العلم: على مُدير الكاس أن ينصح الجُلاّس، وقالوا: لا يمتنع عن النهي عن المنكر ولو كان متلبساً بمثله أو أشد منه، فيكون قد خلط بين عمل صالح وآخر سيء فيدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾[٣]، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، والفعل والامتثال واجب، فإذا ضيع واجباً فلا ينبغي له أن يضيِّع الواجب الآخر، فيكون بذلك مستجمعاً لآثام متعددة، فالذي يأمر وينهى ولا يمتثل أحسن من الذي لا يأمر ولا ينهى ولا يمتثل، فلابد أن يُفهم هذا الحديث على هذا الوجه.

إذا لم يَعظ النّاسَ مَن هو مذنبٌ فمَن يعظُ العاصين بعدَ محمدِ

صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال بعض السلف لمن اعتذر عن الأمر بالمعروف

[١] سورة البقرة، الآية(٤٤)

[٢] متفق عليه

[٣] سورة التوبة، الآية (١٠٢)

والدعوة أو عن وعظ الناس لأنه مقصّر؛ قال: «ودّ الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فمن الذي يكون مستجمعاً لأوصاف الكمال»، ولهذا قالوا في الصحبة: إذا أردت أن تصحب من لا يعصي فلن تصحب أحداً ولن يصحبك أحد لأن الجميع يعصي، والمستخفي والمستتر أهون من المجاهر والمستخف، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**كلّ أمتي معافىً إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه**)[١]، فينبغي إبقاء الصحبة ولو كان بعضهم على معصية مع التناصح والأمر والنهي، ومن خشي أن يتأثر بمعصية غيره أو يشارك فليجتنب الصحبة السيئة والمجالسة، وليُبق مجالسة العصاة للأطباء من العلماء والدعاة، وليصحب من هو أرقى حالاً منه علماً وإيماناً وطاعة، وهذا طريق النجاة.

والمرتبة الرابعة: هو الذي لا يأمر بالمعروف ولا يفعله، ولا ينهى عن المنكر ويفعله، وثمّ مرتبة أشد وأخطر وأكبر، **وهي الخامسة**: أن ينهى عن المعروف ولا يفعله، وأن يأمر بالمنكر ويفعله، ومثلها أن يرى المعروف منكراً والمنكر معروفًا، وهو من علامات الساعة فقد روي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**كيف بكم أيُّها النَّاس إذا طغى نساؤكم، وفسق فتيانكم**؟ قالوا: يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال: **نعم وأشدُّ منه؛ كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، قالوا: يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال: **نعم وأشدُّ منه؛ كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفًا**

[١] متفق عليه

والمعروف منكراً)[١].

وأختم بهذه الأبيات للشاعر المتوكل الليثي:

يا أَيُّها الرّجُلُ المُعَلِّمُ غَيرَهُ ... هَلَّا لِنَفسِكَ كانَ ذا التَعليمُ
تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السَّقامِ وَذي الضَّنا ... كيما يَصحّ بِهِ وَأَنتَ سَقيمُ
وَتَراكَ تُصلِحُ بالرّشادِ عُقولَنا ... أَبَداً وَأَنتَ مِنَ الرَّشادِ عَديمُ
فابدأ بِنَفسِكَ فانهَها عَن غَيِّها ... فَإِذا اِنتَهَت عَنهُ فأنتَ حَكيمُ
فَهُناكَ يُقبَلُ ما تَقولُ وَيُهتَدى ... بِالقَولِ منك وَينفَعُ التعليمُ
لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتأتيَ مِثلَهُ ... عارٌ عَلَيكَ إِذا فعلتَ عَظيمُ

نسأل الله السَّلامة من مُوجِبات النَّدامة، في الدنيا وفي يوم القيامة.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٥٨ - [كفى توبيخًا على الكذب علمُك بأنّك كاذب].

أقول: الكذب من أكبر الكبائر وهو أنواع:

أولاً: الكذب على اللّه تعالى، وعلى نبيّه ﷺ وعلى شرعه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[٣]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾[٤].

---

[١] رواه أبو يعلى، والطبراني، وابن أبي الدنيا بنحوه.

[٢] سورة النحل، الآية (١٠٥)

[٣] سورة الزمر، الآية (٦٠)

[٤] سورة هود، الآية (١٨)

ثانيـًا: الكذب على العَينين بأن يدعيَ أنه رأى شيئـًا يقظةً أو منامـًا وهو لم يره، ففي الحديث: عن ابنِ عُمرَ ﵄ قالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: (**أفْرَى الفِرَى أنْ يُرِيَ الرجُلُ عيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيا**)[١]، ومعناه: يقولُ: رأيتُ فيما لَمْ يَرَهُ.

ثالثـًا: الكذب على ألسنة الآخرين ونسبة كلام لهم لم يقولوه، وهو الافتراء، ومن أكبره إثما أن يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقله، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾[٣]، وعن سلمة بن الأكوع ﵁، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**من يقلْ عليَّ ما لم أقلْ فليتبوأ مقعده من النّار**)[٤].

رابعـًا: الكذب في الحديث بإثباتٍ أو نفيٍ خلافـًا للواقع، فالصّدق هو مطابقة الخبر للواقع والكذب ضدُه، ويدخل فيه الزيادة في الخبر وفي الكلام؛ وقد روي مرفوعـًا: (**ولولا تمريج قلوبكم أو تزيُّدُكم في الحديث لسمعتم ما أسمع**)[٥]، أي: من عذاب أهل القبور؛ قال العلامة السندي ﵀:

قوله: (**ولولا تمريج قلوبكم**) أي: إفسادها وجعلها مضطربة قلقة، (**أو تزيُّدُكم**) مصدر تزيَّدَ في الحديث: إذا كذب فيه وتكلف الزيادة فيه، والعادة في حكاية الأمور العجيبة لا تخلو عن تزيُّد، والله تعالى أعلم.

خامسـًا: الكذب بإسناد قول إلى نفسه وهو من أقوال غيره.

قال العلامة ابن جماعة ﵀: «صحَّ عن سفيان الثوري ﵀ أنّه قال: إنّ نسبة

---

[١] رواه البخاري

[٢] سورة الأحزاب، الآية (٥٨)

[٣] سورة النساء، الآية (١١٢)

[٤] رواه البخاري

[٥] رواه الإمام أحمد

الفائدة إلى مفيدها من الصدق في العلم وشكره، وإن السكوت عن ذلك من الكذب في العلم وكفره ».

وقال الحافظ ابن عبد البَر رحمه الله: « يقال: إن مِن بركة العلم أن تُضِيف الشيء إلى قائله»، وقد أوعد الله تعالى ورسوله ﷺ أشدّ الوعيد لمن تلبّس بنوع من أنواع الكذب وجعله من علامات المنافقين، فالمنافق إذا حدث كذب، وأثنى على أهل الصدق وعلى من ترك الكذب؛ وعن صفوان بن سُلَيم رضي الله عنه مرسلاً أو مُعْضَلاً: **(قيل يا رسول الله: المؤمن يكون جَبَانًا؟ قال: نعم، قيل يكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل يكون كذّابًا؟ قال: لا)**[١].

وعن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه رفعه: **(يُطبع المؤمن على كل خَلّة غيرَ الخِيانة والكذب)**[٢]، والأصح وقفه وله حكم المرفوع، و هناك أحوال ثلاثة لا إثم على من كذب فيها؛ وقد جاءت في الحديث:

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ، وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ)**[٣]، والمراد بالحديث بين الزوجين هو عن الحُبّ الذي يساعد على دوام العِشْرة.

ومن أبحاث العقيدة أنَّ من الصفات الواجبة في حق النَّبيين عليهم الصلاة والسلام الصِّدق، ومن الصفات المستحيلة في حقهم الكذب، وقد عُرف نبينا ﷺ قبل البعثة بالصَّادق الأمين، واستدل بذلك هرقل على صدقه ﷺ في رسالته، فقال لأبي سفيان بن حرب رضي الله عنه: **(وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ**

---

[١] رواه مالك في الموطأ

[٢] رواه البزَّار، وأبو يعلى.

[٣] رواه أبو داود، والترمذي.

يَقُولَ مَا قَالَ؟، فَذَكَرْتَ أَنْ: لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ)[١].

وكذلك الأمر في حق كل نبيّ في قومه عليهم جميعا أزكى الصلاة والسلام، إضافةً لما قرّره العلماء من أن المعجزة التي أُيِّد بها كل نبيّ نازلة منزلة قوله تعالى: **(صدق عبدي في كل ما يُبلّغُ عني)**.

وكذلك الحكم في أتباع وورّاث النّبيين عليهم الصلاة والسلام لا يُجرّب عليهم كذِب قط، وقد بيّن الشيخ رحمه الله قُبح الكذب منفّراً عنه بأن الكاذب يعلم قبح كذبه فهو وضيع في نفسه محتقر؛ لما يعلمه من كذبه، ولو خدع النّاس حتى ظنّوا به الصدق، نسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا من عباده الصادقين والصادقات، وأن يطهّر ألسنتنا وأبصارنا، وظواهرنا وبواطننا من الكذب، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٥٩ - [كثرةُ الأمانيِّ مِنْ فسادِ العَقل].

أقول: جاء في الحديث: عَنْ أبي يَعْلَى شَدَّادِ بْن أَوْسٍ رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: **(الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللهِ الأمانيّ)**[٢] قال الترمذي وغيره من العلماء: معنى **(دان نفسه)**: أي حاسبها.

فتبيَّن بهذا أن كثرة الأماني مع التقصير في الواجبات دليل على نقص العقل وعدم بلوغه مراتب أهل الكمال، وفي الحكم العطائية: « الرّجاء ما قارنه عمل، وإلا فهو أُمنيّة»، وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: « إن قوماً ألهتهم أمانيُّ المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنةَ لهم، وقالوا: نُحسن الظنّ باللّه، وكذبوا! لو

---

[١] متفق عليه

[٢] رواه الإمام الترمذي وحسَّنه

أحسنوا الظنّ لأحسنوا العمل »، ولهذا مَن قصّر في واجبٍ من الواجبات، أو أصرّ على معصيةٍ ولم يتبْ إلى اللّه منها، أو لم يُتبعها بحسنة، و برّر ذلك بقوله: « إن اللّه غفورٌ رحيم » فهو جاهلٌ بربّه، مُسيءٌ إلى نفسه، متعرضٌ لعقوبةِ اللّه وعذابه بعدله سبحانه، إلا أن يعفوَ اللّه تعالى بفضله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[١].

وكما يعتقد الإنسان أن اللّه تعالى هو الرّزاق ويعمل بأسباب الرّزق، وكما يعتقد أنّ اللّه هو الشافي ويعمل بأسباب الشّفاء، كذلك يجب عليه أن يعتقد أن اللّه غفورٌ رحيم وعليه أن يعملَ بأسباب المغفرة والرحمة.

وفي الدعاء النّبوي: (**اللهمّ إنّي أسألك مُوجباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، والسّلامةَ من كلّ إثْم، والغنيمةَ من كل بِرّ، والفوزَ بالجنّة، والنجاةَ من النّار**)[٢]، فللرّحمةِ مُوجبات، وللمغفرةِ عزائم، وقد قال العلامة ابن المُقري رحمه الله في تائيته:

تقولُ معَ العِصـــيانِ ربّيَ غافـرٌ ... صـدقتَ ولكنْ غافرٌ بالمَشِـيئةِ
وربُّـكَ رَزّاقٌ كما هـو غـافـرٌ ... فلِمْ لَمْ تُصَدّقْ فيهما بالسّـويةِ
فإنّك ترجو العفوَ من غيرِ توبـةٍ ... ولستَ تُرَجّي الرّزقَ إلاّ بحِيلـةِ
على أنّه بالرِّزقِ كافـلُ نفسـهِ ... لكـلٍّ ولمْ يَكفُـلْ لكلٍّ بجَنّـةِ
فلَمْ ترضَ إلاّ السعيَ فيما كُفيتَهُ ... وإهمالَ ما كُلِّـفْتَه مِنْ وظيفـةِ

نسأل الله السّلامة من موجبات النّدامة في الدنيا وفي القبر وفي يوم القيامة.

۞ وقال رحمه الله تعالى ورضي عنه:

١٦٠ - [كثرةُ الغضبِ تُزري بصاحبها وتُبدي معايبَه].

أقول: الغضب قسمان: محمود، ومذموم؛ فأما المحمود فهو الغضب لله

---

[١] سورة طه، الآية (٨٢)

[٢] رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم.

تعالى إذا انتُهكت محارمُه، وكان النبي ﷺ لا يغضب لنفسه قطّ، وإنما يغضبُ إذا انتُهكت حرماتُ اللّه تعالى، وعلى هذا القسم المحمود حُمل قول الإمام الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ورضي عنه: «مَنِ اسْتُغْضِبَ فَلَمْ يَغْضَبْ فَهُوَ حِمَارٌ، وَمَنِ اسْتُرْضِيَ فَلَمْ يَرْضَ فَهُوَ شَيْطَانٌ »[١].

وأما القسم المذموم فهو الغضب للنفس؛ إذا لم يُعرف قدرُها، أو لم تُعطَ حقّها، أو أُسيء إليها، ويدخل فيه الغضب لعَرَضٍ من الدنيا قلّ أو كثُر؛ كذهاب الزّبون من عنده إلى جاره ليشتري منه؛ فيغضب لذلك، ولو كان من أصحاب العقيدة الصحيحة لعلم أنه لم يُقسم له ذلك، وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: (**واعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليُخطِئَك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبَك**)[٢]، فلا يأكلُ أحد رزق أحد فلِمَ الغضب؟ وقد حذّر النبي ﷺ من هذا الغضب المذموم، ففي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (أَوْصِنِي، قَالَ: «**لا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لا تَغْضَبْ**»)[٣].

وعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رحمه الله، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي؟، قَالَ: «**لا تَغْضَبْ**»؛ قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: « فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ، فَإِذَا الغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ »[٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**)[٥].

---

[١] رواه الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى

[٢] رواه أبو داود، والترمذي

[٣] رواه البخاري

[٤] رواه أحمد، والبيهقي، وعبد الرزاق

[٥] رواه الشَّيخان

وقال أهل العلم: إن الشيطان يملك الإنسانَ ويُوقعه في كبائر الإثم في حالتين: إذا شبِع، وإذا غضِب، وقد عالج النبي ﷺ هذا المرض بأدوية؛ منها: الاستعاذة، ومنها الوضوء، ومنها تغيير حالته فإن كان قائما فليقعد وإن كان قاعدا فليضطجع، ومنها مفارقة المكان الذي فيه أسباب الغضب المرئية والمسموعة، فذلك أسلم له في دينه ودنياه وعاجل أمره وآجله، ومنها هذا الدعاء:

عن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم قال: كانت عائشة رضي الله عنها، إذا غضبت عرَك النبي ﷺ بأنفها ثم يقول: (**يا عُويّش! قولي: اللَّهم ربَّ محمّد اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مُضِلَّات الفِتَن**)[١].

وقد جعل الشيخ رحمه الله هنا كثرة الغضب تُزري بالإنسان، وتُنقصه وتُظهر عيوبه، وتُوقعه في المفاسد والمهلكات، وتفتح عليه أبواب المصائب والبليّات، أعاذنا الله وإياكم من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، آمين.

❁ وقال رحمه الله تعالى:

١٦١ - [كثرةُ الأكلِ من الشّرَه].

أقول: الشّرَه هو غلبـةُ الحِرص، فهو حريص على كثرة الأكل، نهم لا يشبع، وهذا من الصِّفات المذمومة التي يتصف بها ضعاف الإيمان من أهل الشهوات، وقد نهى النبي ﷺ عن كثرة الأكل فقال: فيما رواه عنه المقداد بن معديكَرِبَ رضي الله عنه أنه قال: (**ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسْب ابن آدم لقيماتٌ يُقمن صُلبه، فإن كان لابدّ فاعلاً فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنَفَسه**)[٢]، وقد أذن الشرع بأكلتين في اليوم غَداء وعَشاء؛ فالغداء ما يؤكل غَدوة أي: صباحًا قبل الظُّهر، والعَشاء ما يؤكل بعده، أو بعد العصر، أو بعد المغرب، ويُكره الأكل والنوم بعده بل عليه أن يُذِيبَ طعامه قبل النوم بالذكر والصلاة، وعدَّ بعضهم

[١] رواه ابن السُّني، وله شواهد

[٢] رواه الترمذي وحسَّنه

الأكل ثلاثاً من الإسراف، ويكره الوصول إلى حدِّ الشَّبع والامتلاء إلا مؤاكلة لضيف، أو عند الضّيق والقِلّة والشّدة ؛ وذلك من أخلاق النبي ﷺ:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ لم يجتمع له غداء، ولا عشاء من خبز ولحم، إلا على ضَفَف »[١]؛ والضَّفَف- بضاد، وفاءين- قال ابن الأثير في «النهاية»: الضِّيق والشدة، أي: لم يشبع منهما إلا عن ضيق وقلة، وقيل: إن الضَّفَف اجتماع الناس، أي: لم يأكل خبزاً ولحماً وحده، ولكن يأكل مع الناس، وقالوا: البِطنة تذهب الفِطنة، وفي الإحياء: قال أبو بكر الشبلي رحمه الله: ما جُعت للّه يوماً إلا رأيت في قلبي باباً مفتوحاً من الحكمة و العِبرة ما رأيته قط، وقال لقمان الحكيم عليه السَّلام لابنه: «يا بنيّ إذا امتلأتِ المعدة نامت الفِكرة، وخرِست الحِكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة»، وقال أبو يزيد البَسطامي رحمه الله: « الجوع سحاب، فإذا جاع العبد أُمطِر القلبُ الحكمة »، وقال حكيم: « نور الحكمة الجوع؛ فلاتشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم»، و قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: «أحلى ما تكون إليّ العبادة إذا التصق ظهري ببطني»، و قال أيضاً: « إذا جاع القلب و عطِش؛ صفا ورقّ، وإذا شبع عمِي و غلُظ»، وقال الإمام الجنيد رحمه الله: «يجعل أحدهم بينه و بين قلبه مِخلاة من الطعام و يريد أن يجدَ حلاوة المناجاة»، نسأل الله السَّلامة والعافية، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٦٢ - [كثرةُ الدُّنيا قِلّة، وعِزّها ذلّة].

أقول: قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ

[١] رواه الإمام أحمد، وإسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه الترمذي في «الشمائل»، وأبو يعلى، وابن حبان رحمهم الله تعالى.

[٢] سورة النساء، الآية (٧٧)

ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾﴾[١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[٢]، وقال عزّ من قائل حكاية: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾[٣]، وقال النبي ﷺ: **(لو كانت الدُّنيا تعدِلُ عند اللهِ جَناحَ بعوضةٍ ما سقَى كافراً منها شرْبةَ ماءٍ)**[٤]، وقال صلوات ربّي وسلاماته عليه: **(الدُّنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرَ اللهِ و ما والاه، و عالِمًا أو متعلمًا)**[٥].

۞ وقال الحريري في مقاماته:

يا خاطِبَ الدّنيا الدّنِيّة إنّها ... شَرَكُ الرّدى وقَرارَةُ الأكدارِ
دارٌ متى ما أضْحكتْ في يومِها ... أبْكَتْ غداً بُعْداً لها منْ دارِ
وإذا أظَلّ سَحابُها لم ينتَفعْ ... منْه صدٍ لجَهامِهِ الغرّارِ
غاراتُها ما تنْقَضي وأسيرُها ... لا يُفتَدى بجلائِلِ الأخْطارِ
كمْ مُزْدَهٍ بغُرورِها حتى بَدا ... متمَرّداً مُتجاوِزَ المِقْدارِ
قلَبَتْ لهُ ظهْرَ المِجَنّ وأولَغَتْ ... فيهِ المُدى ونزَتْ لأخْذِ الثّارِ
فارْبأ بعُمرِكَ أن يمُرّ مُضَيَّعاً ... فيها سُدًى من غيرِ ما استِظهارِ
واقطَعْ علائِقَ حُبّها وطِلابَها ... تلْقَ الهُدى ورَفاهَةَ الأسْرارِ
وارْقُبْ إذا ما سالَمتْ من كيدِها ... حرْبَ العدى وتوثُّبَ الغدّارِ
واعْلَمْ بأنّ خُطوبَها تفْجا ولوْ ... طالَ المدى ووَنَتْ سُرى الأقدارِ

---

[١] سورة الرعد، الآية (٢٦)
[٢] سورة القصص، الآية (٦٠)
[٣] سورة غافر، الآية (٣٩)
[٤] رواه الترمذي
[٥] رواه الترمذي

وقال حكيم:

عجبتُ للمرءِ في دنيـــاه تُطمعـه ... في العيش والأجلُ المحتومُ يَقطعه
يُمسي ويُصبح في عشواءَ يخطُبـها ... أعمى البصيرة والآمـالُ تخدُعـه
يغترُّ بالـدّهرِ مسـروراً بصُحبتـه ... وقـد درى أنّـه للغيـر يَـجمعُـه
تراه يُشـفق من تضييـعِ درهمِـه ... وليس يُشـفق من دينٍ يُضـيّعـه
وأسـوأ الناس تدبيـراً لعاقبـةٍ ... مَن أنفق العُمْر في ما ليـس ينفعـه

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

ومن يذقِ الدّنيـا فإني طعِمتُها ... وسيق إلينا عـذبُها وعـذابُها
فلم أرَها إلا غُـروراً وباطـلاً ... كما لاحَ في ظَهر الفلاةِ سرابُها
وما هـي إلا جيفـةٌ مستحيلـةٌ ... عليها كلابٌ همُّهنّ اجـتذابُها
فإن تجتنبْها كنتَ سِلمـاً لأهلهـا ... وإن تجتذبْها نازعتُـك كلابُهـا

وقال علماء الحكمة:

الدُّنيا إن حَلَتْ أَوْحَلَتْ، وإن كَسَتْ أَوْكَسَتْ، وإن جَلَتْ أَوْجَلتْ، وإن أقبلتْ بَلَتْ، وإن أينعتْ نَعَتْ، فكم من قبور تُبنى وما تُبنا، وكم من مريضٍ عُدنا وما عُدنا، وكم من ملكٍ فيها رُفعت له علامات فلما علا مَات، وكان سيّدنا عليٌّ رضي الله عنه وكرّم وجهه فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ وهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ، ويَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ، ويَقُولُ: يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّفْتِ لَا حَانَ حِينُكِ هَيْهَاتَ غُرِّي غَيْرِي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا، فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وأَمَلُكِ حَقِيرٌ، آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وطُولِ الطَّرِيقِ، وبُعْدِ السَّفَرِ، وعَظِيمِ الْمَوْرِدِ»[١].

[١] رواه أبو نُعيم في الحلية.

فالدّنيا خيالٌ وأوهامٌ وأطماعٌ وتعبٌ في تعب؛ إلا ما ابتُغي به وجهُ الله تعالى والدارُ الآخرة، فطُوبى لمن تخلّص من أسرها، وتحرّر من رِقّها، وصار عبداً خالصا لله؛ حُرّاً ممّا سواه، لا يسترقُّه هواه، ولا تستعبدُه دنياه.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٦٣ - [كُنْ بالوَحدةِ أنيسًا يَفرَّ منكَ قُرناءُ السُّوء].

أقول: إذا كنت بالوَحدة أنيسًا بالله تعالى وكلامه وذكره؛ ابتعد عنك قرناء السُّوء لأنهم لم يجدوا عندك فراغا يملؤونه بلهوهم ولغوهم، وقد جاء في المستدرك: عن صدقة بن أبي عمران بن حطان، قال: أتيت أبا ذر رضي الله عنه فوجدته في المسجد مُخْتَبِئًا بكساء أسود وحده، فقلت: يا أبا ذرّ، ما هذه الوَحدة؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**الوَحدة خيرٌ من جليس السوء، والجليس الصّالح خيرٌ من الوحدة، وإملاءُ الخير خير من السُّكوت، والسُّكوت خيرٌ من إملاء الشر**)[١]، وعَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ رحمه الله، قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه وَهُوَ يُسَبِّحُ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: « أَمْلِ الْخَيْرَ تُمْلأْ خَيْراً، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ قُلْتُ: بَلَى وَاللهِ، أَصْلَحَكَ اللهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى التَّسْبِيحِ، قَالَ: وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلاءِ الشَّرِّ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ قُلْتُ: بَلَى، ثُمَّ قَالَ: وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ قُلْتُ: بَلَى »[٢]، وفي الصحيح: قال النبي ﷺ: (**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ [يعطيك] وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ**

---

[١] رواه الحاكم في المستدرك، قال الحافظ رحمه الله في « الفتح» الْمَحْفُوظُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ.

[٢] إسناده حسن؛ أخرجه الحافظ البيهقي في « شعب الإيمان»، والحافظ ابن أبي الدنيا في « كتاب العزلة».

تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)[١].

قال الإمام النووي رحمه الله: « فِيهِ فَضِيلَةُ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْمُرُوءَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَالنَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الشَّرِّ وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَمَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ أَوْ يَكْثُرُ فُجْرُهُ وَبَطَالَتُهُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمَذْمُومَةِ »، فإذا كان الإنسان بين خيارين: إما الانفراد، وإما مجالسة أهل السوء؛ فلا شك أن الانفراد أفضل؛ قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: « وَرُبَّ صَرْمٍ جَمِيلٍ خَيْرٌ مِنْ مُخَالَطَةٍ مُؤْذِيَةٍ»، وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

إذا لم أجدْ خِلّاً تَقِيّـًا فوَحْدَتِي ... ألذُّ وأشهى مِن غَوِيٍّ أُعاشِرُهْ

وأجلِسُ وَحدي للعبادةِ آمنـًا ... أَقَرُّ لعَيني مِن جليسٍ أُحاذِرُهْ

۞ وخير ما يملأ به الإنسان وحدته بعد كتاب الله تعالى، حديثُ رسول الله ﷺ، وسِيَرُ أصحابه رضي الله عنهم، وقصص الصالحين.

وقد قيل للإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله: ألا تجلس معنا؛ وهو يجلس في مكتبته قال: أنا أجلس مع أصحاب رسول الله محمّد ﷺ.

۞ وسئل الإمام الجنيد رحمه الله عن الفائدة من حكايات الصالحين، فقال: «الحكايات جند من جنود الله تعالى، يُقوِّي بها قلوب المريدين؛ قيل له: فهل في ذلك شاهد؟ فقال رضي الله عنه: نعم، قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[٢]».

۞ وقال الشاعر:

أوفى صديقٍ إن خلوتُ كتابي ... أُهْدَى به إن خانني أصحابي

فاحذر أخي من سُرّاقِ الزمن الذين لا يعرفون قيمة الوقت، ويريدون إلهاءك

---

[١] رواه البخاري، ومسلم

[٢] سورة هود، الآية (١٢٠)

وإشغالك عما ينفعك في دينك ودنياك، وفي الحديث: عَن معَاذ بن جبل رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: (**لَيْسَ يتحسّرُ أهل الْجنَّة إِلَّا على سَاعَةٍ مرّتْ بهم لم يذكرُوا اللّه تَعَالَى فِيهَا**)[١]، نسأل الله السَّلامة من مُوجبات الحسرة والنّدامة في الدُّنيا، وفي يوم القيامة.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٦٤ - [كُنْ من الكريمِ على حَذَرٍ إذا أهنتَه، ومن اللئيمِ إذا أكرمتَه، ومن الحليمِ إذا أحرجتَه].

أقول: ذكرت هذه الحكمة في كتب الحكم منسوبة لعدد من الحكماء وفي بعضها زيادة: « ومن الأحمق إذا مازحتَه، ومن الفاجر إذا عاشرتَه، وإني ذقتُ الطّيباتِ كلَّها فلم أجدْ أطيبَ من العافية، وذقتُ المراراتِ كلَّها فلم أجد أمرَّ من الحاجة للنّاس، ونقلتُ الحديدَ والصّخرَ فلم أجدْ أثقلَ من الدَّين، واعلم أنّ الدهرَ يومان يومٌ لك ويومٌ عليك؛ إن كان لك فلا تبطَرْ، وإن كان عليك فاصبِرْ، فكلاهما سينحَسِر».

والكريم في نفسه وطبعه المجبول على ذلك في فطرته يبذل ما في يده لمن يستحق ولمن لا يستحق، ولا يمنُّ بذلك العطاء، ولا يرجع به، ولا يسمى كريماً إلا من أعطى أكثر من مقدار الزكاة الواجبة عليه في ماله، فهذا الكريم من حقه أن يُشْكَر، وأن لا يُسَاء إليه؛ ففي الحديث: (**لا يشكرُ اللهَ من لا يشكرُ الناس**)[٢].

وفي الحديث: (**من صنع إليكم معروفاً فكافِئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**)[٣].

---

[١] رواه الطبراني، والبيهقي في « شعب الإيمان »

[٢] رواه أبو داود، وأحمد، والترمذي بنحوه.

[٣] رواه أبو داود، والنَّسائي

وهذا بإحسانه لمن أحسن إليه يستوجب حمداً وشكراً، وأما الذي أساء إلى من أحسن إليه فقد بدّل نعمةَ الله كفراً، قال أبو الطيب:

وَما قَتَلَ الأَحرارَ كَالعَفوِ عَنهُمُ ... وَمَن لَكَ بِالحُرِّ الَّذي يَحفَظُ اليَدا

إِذا أَنتَ أَكرَمتَ الكَريمَ مَلَكتَهُ ... وَإِن أَنتَ أَكرَمتَ اللَئيمَ تَمَرَّدا

وَوَضعُ النَدى في مَوضِعِ السَيفِ بِالعُلا ... مُضِرٌّ كَوَضعِ السَيفِ في مَوضِعِ النَدى

ثم أرشد الحكيم إلى الحذر من اللئيم إذا أكرمتَه؛ لأنه لا يحفظ وداً ولا عهداً، بل يُسيء إلى من أحسن إليه، وعليه يُحمل قول الشاعر:

يَا عَجَبًا لمن رَبَّيْتُ طِفْلاً ... أُلقَّمُهُ بأطْرَافِ الْبَنَانِ

أعلِّمهُ الرِّمايَةَ كُلَّ يوَمٍ ... فَلَمَّا اسْتَدَّ ساعِدُهُ رَمَاني

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافي ... فَلَمَّا قَال قَافِيَةً هَجَاني

أعلِّمهُ الْفُتُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ ... فَلَمَّا طَرَّ شارِبُهُ جَفَاني

ثم أرشد الحكيم إلى الحذر من العاقل الحليم إذا أحرجتَه في موقفٍ ما أمام الناس لأن غائلة النفس ربما تتحرك للانتصار عند بعض الناس ممّن لا يملكون العفو عند المقدرة، ثم قال: ومن الأحمق إذا مازحتَه؛ لأنه لقلّة عقلِه وقِصَر نظرِه يجعل من ذلك عداوة وتشهيراً وإيذاءً، ثم قال: ومن الفاجر إذا عاشرته؛ لأنك ستتأثر بفجوره ويلحقك شيء من إثمه وعقوبته؛ فهو كما جاء في الحديث: **(كنافخ الكِير إما أن يُحْرِق لك ثيابك، وإمَّا أن تجدَ منه ريحًا خبيثة)**[١].

فإن لم يُصبْك شررُه، أصابك دُخَانُه، أعاذنا الله والمسلمين من مُوجبات النَّدامة، في الدنيا وفي يوم القيامة، آمين.

---

[١] رواه الشَّيخان

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٦٥ - [كُلّما ارتفعتْ رتبةُ اللئيمِ نقصَ النّاسُ عنده، والكريمُ ضدّ ذلك].

أقول: يذكر الشيخ ﷺ علامةً للّئيم، وعلامةً للكريم؛ يُعرفان بهما، فاللئيم إذا صار غنياً أو استلم منصباً ينظر إلى الناس بعين الاستخفاف والاحتقار ويراهم دونه، ويرى أنه يستحق التعظيم دونهم، وأنهم كالخَدَم عنده، وهذا غاية الجهل والحمق، لأن الاعتبار عند الله تعالى في ميزانه بالتقوى لا بأعراض الحياة الدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[١]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾[٢] بينما كريم النفس كلما ارتقى في المراتب والمناصب، وزاده الله من فضله؛ يزداد تواضعاً لله، ويزداد رحمة وتفضلاً على عباد الله؛ فيشركهم معه في نعم الله عنده، مع حفظ مقاديرهم، وحفظ ماء وجوههم، ويرى أن لهم الفضل إذا قبلوا منه ما يعطيهم؛ لأنهم تسبَّبوا له بالأجر والثواب، وخلّصوه من الإثم، وزكّوا نفسه من رذيلة الشُّح و البُخل، فهنيئاً لمثل هذا العبد الصالح، ونعم المال عنده وفي يده، يتقي به ربه، ويصل به رحمه، وينفقه في وجوه الخير، فيجازيه الله تعالى على الإحسان إحساناً، ويزيده من فضله لأنه من عباده الشاكرين، ويجعل له في قلوب عباده المحبة والتعظيم، وعلى ألسنتهم الثناء والدعاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

---

[١] سورة الحجرات، الآية (١٣)

[٢] سورة النجم، الآية (٣٢)

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٦٦ -[كُلّما قَوِيتِ الحِكْمةُ ضَعفُتِ الشَّهوة].

أقول: الإنسان إما أن يملك شهوته، وإما أن تملكه، ولا يمكن أن يملك شهوته، وأن يتحرر من أسرها؛ إلا بإشراق روحه ونور عقله، ولا يتحقق له ذلك إلا بالإكثار من ذكر الله تعالى، وطلب العلم، ومجالسة الحكماء والصالحين، والاستفادة من حِكَمهم النورانية، وقد سمّى اللّه تعالى سورة في القرآن باسم عبد من عباده وهو لقمان الحكيم رضي الله عنه؛ آتاه الله الحكمة، وهو ليس بنبي، وذكر بعض وصاياه لابنه، وذكر النّبي ﷺ بعض حكمه لأصحابه رضي الله عنهم، وفي هذا تشريع من اللّه تعالى بالاستفادة من حكمة الحكماء وتدوينها، وروي في الحديث مرفوعـًا وموقوفـًا: (**الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحقُّ بها**)[١].

قيل في معناه: إنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي فَهْمِ الْمَعَانِي، وَاسْتِنْبَاطِ الْحَقَائِقِ الْمُحْتَجِبَةِ، وَاسْتِكْشَافِ الْأَسْرَارِ الْمَرْمُوزَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُنْكِرَ مَنْ قَصُرَ فَهْمُهُ عَنْ إِدْرَاكِ حَقَائِقِ الْآيَاتِ وَدَقَائِقِ الْأَحَادِيثِ عَلَى مَنْ رُزِقَ فَهْمـًا وَأُلْهِمَ تَحْقِيقـًا؛ كَمَا لَا يُنَازِعُ صَاحِبَ الضَّالَّةِ فِي ضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا، أَوْ كَمَا أَنَّ الضَّالَّةَ إِذَا وُجِدَتْ مُضَيَّعَةً فَلَا تُتْرَكُ بَلْ تُؤْخَذُ وَيُتَفَحَّصُ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى تُرَدَّ عَلَيْهِ؛ كَذَلِكَ السَّامِعُ إِذَا سَمِعَ كَلَامـًا لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ وَلَا يَبْلُغُ كُنْهَهُ فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُضَيِّعَهُ وَأَنْ يَحْمِلَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ فَلَعَلَّهُ يَفْهَمُ أَوْ يَسْتَنْبِطُ مِنْهُ مَا لَا يَفْهَمُهُ وَلَا يَسْتَنْبِطُهُ هُوَ، أَوْ كَمَا أَنَّهُ لَا يَحِلُّ مَنْعُ صَاحِبِ الضَّالَّةِ عَنْهَا فَإِنَّهُ أَحَقُّ بِهَا كَذَلِكَ الْعَالِمُ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَعْنًى لَا يَحِلُّ لَهُ كِتْمَانُهُ إِذَا رَأَى فِي السَّائِلِ اِسْتِعْدَاداً لِفَهْمِهِ، كَذَا قَالَهُ الطِّيبِي رحمه الله تعالى.

والحكمة أقسام؛ منها: الحكمة العِلْمية، ومنها: العَملية، ومنها: الدعوية،

---

[١] رواه الترمذي وقال غريب، وابن ماجه

ومما عُرّفت به: فعلُ ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، وقد قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[١].

فمن تعلّم العلم النّافع، وقرأ الحِكَم، وصحِب أهلها، قويت نورانيته، وأشرق قلبه وعقله، فينتج عن ذلك ضعف الشهوة والهوى المذموم، فيغلب خيرُه شرّه، وبذلك يكون من النّاجين في الدنيا من مواقف التُّهَم، ومن مُوجبات النّدامة، ويكون من النَّاجين من عذاب الله في الآخرة، ومن الفائزين برضوان اللّه تعالى وجنَّته، جعلنا اللّه وإيّاكم منهم بفضله وكرمه، آمين.



[١] سورة البقرة، الآية (٢٩٦)

الوصايا الشاذلية

ل

-حرف اللام-

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٦٧ - [للأحمقِ في كلِّ قولٍ يمين].

أقول: قال العلامة ابن منظور ﷺ في اللسان: الحُمْق ضدّ العقل، وحقيقة الحُمْق: وضعُ الشيء في غير موضعه مع العلم بقُبحه، فتبيّن أنه الذي يفعل فعل الجاهلين الذين لا يتبصرون العواقب، وجعل الشيخ له علامةً عدمَ تعظيم أسماء الله تعالى، فهو يحلف بالله تعالى من غير أن يُستحلف، ويجعل ذلك منه عادة وديدنا في كل حديث ولو كان مازحـًا أو كاذبـًا، والعلماء الرّبانيّون لا يحلِفون باللّه تعالى تعظيمـًا لله عز وجل إلا إذا دُعوا لشهادة.

ونقل عن الإمام الشافعي ﷺ قوله: ما حلفت باللّه لا صادقـًا ولا كاذبـًا قط؛

وهذا من ورعه وفقهه وتعظيمه لله تعالى، وهو لا يعني أنه يمنع اليمين بالله تعالى أو أنه إذا احتاج إلى أن يحلف بالله تعالى لم يحلف به، ولكنه ترك الحلف بالله تعالى على كل حال تعظيمـًا له ولعدم حاجته إلى اليمين.

۞ قال الحوارِيّون رحمهم الله لعيسى بن مريم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام: أوصنا؟، فقال: قال موسى (عليه الصلاة والسلام) لقومه: لا تحلفوا بالله كاذبين، وأنا آمركم أن لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين.

ويتأكد النهي عن الحلف بالله عند البيع والشِّراء ففي الحديث:

عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**)؛ لما قالها النبي ﷺ مرة واثنتين وثلاثـًا قال أبو ذرٍّ: (خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟! قال: **المُسْبل، والمَنَّان، والمُنفق سِلعته**

بالحلِف الكاذب)[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**الحَلِفُ مَنْفَقَة للسلعة، مَمْحَقَة للكسب)**[٢]؛ قال العلَّامة ابن حَجَر رحمه الله في الفتح:

قَوْله: (**الْحَلِف)** بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَكَسْرِ اللَّام أَيْ: الْيَمِين الْكَاذِبَة، قَوْله: **(مَنْفَقَة)** بِفَتْحِ الْمِيم وَالْفَاء بَيْنهمَا نُون سَاكِنَةٌ مَفْعَلَة مِنْ النَّفَاقِ بِفَتْحِ النُّونِ وَهُوَ الرَّوَاجُ ضِدُّ الْكَسَادِ، وَالسِّلْعَة بِكَسْرِ السِّين الْمَتَاعُ.

وَقَوْله **(مَمْحَقَة)** بِالْمُهْمَلَةِ وَالْقَاف وَزْن الْأَوَّل، وَحَكَى عِيَاضٌ ضَمَّ أَوَّلِهِ وَكَسْر الْحَاء، وَالْمَحْقُ النَّقْصُ وَالْإِبْطَال، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الْمُحَدِّثُونَ يُشَدِّدُونَهَا وَالْأَوَّل أَصْوَبُ وَالْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ، وفي رواية: **(ممحقة للبركة)** أي: مُذهبة؛ **(للبركة)** وهي: الزيادة والنّماء من الله تعالى.

وأما من حَلَف ألا يفعل خيراً فإنه يفعله ويكفِّر عن يمينه، فعَنْ عبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ لي رسُولُ الله ﷺ: (**وَإِذَا حَلَفْتَ علَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَها خَيْراً مِنهَا، فأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وكفِّرْ عَنْ يَمِينك)**[٣]، نسأل الله السَّلامة والعافية بفضله وكرمه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٦٨ - **[للإنسان فضيلتان: النُّطْق والعقل، فبالعقل يستفيد، وبالنُّطْق يُفِيد]**، أقول: لا شك أنّ الإنسان مكرَّم عند اللّه تعالى، وقد فضّله على كثير ممّن خلق، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[٤].

---

[١] رواه مسلم

[٢] رواه الشَّيخان، وأبو داود واللفظ له.

[٣] رواه الشَّيخان

[٤] سورة الإسراء، الآية (٧٠)

ومن وجوه التفضيل الظاهرة في الإنسان على غيره من المخلوقات الأرضية: عقلُه ونطقُه، والمراد بالعقل التكليفي الذي يبدأ بالبلوغ ثم يزداد بالعلم والتجارب؛ وقد قال فيه حجة الإسلام الإمام الغزالي رضي الله عنه:

والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجري منه مجرى الثَّمرة من الشَّجرة، والنُّور من الشمس، والرؤية من العين، وهو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة.

أقول: وعلامة كمال هذا العقل أن يستفيد من عقل العقلاء وعلم العلماء، ويجمع ذلك إلى عقله وعلمه؛ فيغدو بذلك أعقلهم وأعلمهم.

وأما النُّطْق فهو أداة التعبير عما اختزنه العقلُ والقلبُ من معلومات؛ فاللِّسان تُرْجُمَان القلب، وما فيك يظهر على فيك، وهو سبب فوز العبد أو هلاكه، فمن نطق بما يُرضي الله تعالى فاز، ومن نطق بما يسخط الله تعالى هلك، وشواهد ذلك كثيرة في القرآن الكريم والحديث الشريف: ومنها قوله تعالى في الفائزين: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥﴾[١]، ومنها قوله تعالى في الهالكين: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾[٢]، وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: **(ألا أدلُّك على مِلاك الأمر كلّه؟، قال: قلت: بلى يارسول الله، فأخذ بلسانه قال: كُفّ عليك هذا، فقلت: يا نبي الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثَكِلَتك أمّك، يا معاذ؛ وهل يَكُبُّ الناسَ في النّار على وجوههم أو – على مناخرهم – إلا حصائدُ ألسنتهم)**[٣]، وفي الحديث أيضاً: عن أبي هريرة

---

[١] سورة المائدة، الآية (٨٥)

[٢] سورة المائدة، الآية (٦٤)

[٣] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح

ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (**إن العبد لَيَتكَلَّمُ بالكلمة من رِضْوَانِ الله تعالى ما يُلْقِي لها بَالاً يَرْفَعُهُ الله بها درجاتٍ، وإن العبد لَيَتكَلَّمُ بالكلمة من سَخَطِ الله تعالى لا يُلْقِي لها بَالاً يَهْوِي بها في جهنم**)[١].

وعن أبي عبد الرحمن بلال بن الحارث المُزَني ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الرجل لَيَتكَلَّمُ بالكلمة من رِضْوَانِ الله تعالى ما كان يظنُّ أن تبلغ ما بَلَغَتْ يكتبُ الله له بها رِضْوَانَهُ إلى يوم يَلْقَاهُ، وإن الرجل لَيَتكَلَّمُ بالكلمة من سَخَطِ الله ما كان يظنُّ أن تبلغَ ما بَلَغَتْ يكتبُ الله له بها سَخَطَهُ إلى يوم يَلْقَاهُ**)[٢]

فالنُّطْق فضيلة لمن نجّاه من عذاب الله تعالى، وإلا فهو حسرة ووبال على صاحبه في الدنيا والآخرة، نسأل اللّه تعالى الجنّة وما قرَّب إليها من قول وعمل، ونعوذ به من النّار وما قرَّب إليها من قول وعمل، وهنيئاً لإنسان عاقلٍ قال فَغَنِم، أو سكتَ فَسَلِم، ونسأله سبحانه السَّلامة والعافية بفضله وكرمه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٦٩ - [لِينْهَكَ من - ذكر - معايبِ النّاسِ ما تعرفُهُ مِن معايبِ نَفسِك].

أقول: هذا مأخوذ من حديث: (**طوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب النّاس**)[٣]، وقال الإمام النَّووي ﷺ في كتاب (الأذكار) في باب حفظ اللسان: «بلغنا أنّ قُسّ بن ساعدة وأكثمَ بن صَيفِيّ اجتمعا؛ فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدتَ في ابن آدم من العيوب؟، فقال: هي أكثر من أن تُحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، ووجدت خَصلة إن استعملتها سترتِ العيوبَ كلّها؛ قال: ما هي؟. قال: حفظُ اللسان ».

و قال ابن الكوّاء للرّبيع بن خُثَيم ﷺ: «ما نراك تذمُّ أحداً ولا تعيبُه؟ قال:

---

[١] رواه البخاري

[٢] رواه الإمام مالك في الموطأ، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

[٣] رواه الطبراني، والبيهقي في الشعب.

ويلك يا ابن الكوّاء، ما أنا عن نفسي براضٍ، فأتفرغَ من ذَمّي إلى ذمّ النّاس، إنّ النّاس خافوا اللّه على ذنوب العباد وأمنوا على ذنوبهم »[١].

وقال أهل التصوف: أراك الله العيبَ في مرآة أخيك لتعرف فضله عليك أن عافاك منه، أو لينبِّهك على مجاهدة نفسك للتَّخلص منه إن كنت مبتلىً به، وسئل لقمان الحكيم رحمه الله: « ممن تعلمت الحكمة؟ قال: من الجهلاء، وقيل له: مِمّن تعلّمت الأدب؟ فقال: مِمّن لا أدب له كلما رأيت منهم عيبا تجنبته ».

اللهمّ عافنا من كل عيب يحجبنا عنك، واهدنا لأحسن الأخلاق والأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيء الأخلاق والأعمال، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٧٠ - [لن يَهْلِك العبدُ حتى يُؤثِر شهوتَه على دِينه].

أقول: الغرائز التي في النَّفْس، وما زُيّن لها من الشهوات والأهواء؛ تُنازع المؤمنَ على الدوام؛ وذلك لينال أجر الجهاد في سبيل الله، وليدوم إقباله على الله تعالى، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾[٤].

وفي الحكم العطائية: « جعل الشيطان لك عدوا لِيَحُوشَك به إليه، وحرّك عليك النّفس ليدومَ إقبالُك عليه »، فالمؤمن يَظهر حبُّه للّه تعالى بإيثار دينه على شهوة نفسه، فلا يتّبع هواها المذموم، بل يعقل هواها بعِقال الشرع

[١] رواه ابن أبي شيبة في المصنف

[٢] سورة الشمس، الآيات(٧ -٨)

[٣] سورة الحج، الآية (٧٨)

[٤] سورة العنكبوت، الآية (٦٩)

وأحكامه وآدابه، قال رسول الله ﷺ: **(لا يُؤمن أحدُكم حتى يكونَ هواهُ تبعًا لِمَا جئتُ به)**[١]، وبذلك يكونُ من الفائزين المفلحين، ويقابل ذلك من هو ضعيفُ الإيمان، ومن في قلبه مرض؛ فيُؤثر هوى نفسه وشهوتَه المُحرّمة على دين الله تعالى وشرعه؛ فيكونَ بذلك من الخاسرين الهالكين، فمَن آثرَ الباقيات الصّالحات على الفانيات أفلح وفاز ونجا، ومَن آثر الفانيات على الباقيات الصالحات خاب وخسر وهلك، والعِياذ بالله تعالى.

۞ وممَّا نُسِب إلى سيدنا الإمام علي رضي الله عنه أنه قال: « إذا تلذذتَ في الإثم؛ فإن اللّذة تزول، والإثم يبقى، وإذا تعبتَ في البِرّ فإنّ التعبَ يزول، والبرّ يبقى»، وقال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله: « إن مشقَّة الطَّاعة تذهب ويبقى ثوابها.. وإن لذَّة المعاصي تذهب ويبقى عقابها »، وفي هذا المعنى يقول كُثيّر عَزّة:

تفنى اللذاذةُ ممّن نال صفوتَها ... من الحرام ويبقى الإثم والعارُ

فأولُ وأعظمُ الانتصارات الانتصارُ على النّفس أمام مغريات الحياة والشّهوات، وحتى المباحات؛ وقد دل على ذلك ما جاء في الحديث:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنَّه قال: رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحمًا معلّقًا في يديّ فقال: ماهذا يا جابر؟ قلت اشتهيت لحمًا فاشتريته، فقال عمر: «أوَ كُلّما اشتهيت اشتريت ياجابر، أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾[٢]»[٣] فمَن أكثرَ من الشهوات المباحة أوقعته نفسه في المشبوه والمكروه، ومن وقع في المشبوه والمكروه؛ يُخشى عليه الوقوع في الحرام، نسأل الله السّلامة

[١] رواه البيهقي في المدخل، وابن أبي عاصم، وقال الإمام النَّووي رحمه الله: رويناه في الحجة بإسناد صحيح.
[٢] سورة الأحقاف، الآية (٢٠)
[٣] رواه الإمام مالك في الموطأ

والعافية لنا وللمسلمين والمسلمات، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٧١ -[ليس التَّملُّق مِن خُلُق الأتقياء].

أقول: التَّملُّق يأتي بمعنيين: محمود، ومذموم؛ أما التملّق المحمود: فهو الوُّد واللُّطف الشّديد، والتّرفق والمُداراة؛ قال العارف الحراق رحمه الله:

وَأَحسَنُ أَحوالي وُثوقي بِفَضلِكُم وَأَنّي عَلى أَبوابِكُم أَتَمَلَّقُ

قال العلاّمة ابن منظور رحمه الله تعالى في اللسان:

وتملّق له وتملّقه أي: تودّد إليه، وتلطّف له، أقول: ومنه: اتِّقاء ذي الشَّرِّ من أهل الهجاء والإيذاء، ومنه: الإهداء والتّصدق على من بينك وبينه قطيعة أو شحناء من الأرحام والأصدقاء؛ وعليه دلَّ حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: إنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الصَّدقات أيُّها أفضل؟ قال: (**على ذي الرَّحِم الكاشِح**) [١]، والكاشِحُ: هو الذي يُضمِر عداوته في كَشْحِه: وهو خَصْرُه، يعني أن أفضل الصدقة على ذي الرحم القاطع المضمر العداوة في باطنه، وقيل: الكاشح: العدوّ الذي يُضمر عداوته ويطوي عليها كَشْحَهُ: أي باطنه، وأما التَّملُّق المذموم فهو: الزّيادة في التّودد فوق ما ينبغي؛ كموافقة أهل الأهواء والمعاصي على ما هم عليه، ومنه: الاعتداء في الدعاء؛ وقد نهى الشرع عنه، قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [٢].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

الاعتداء في الدعاء على وجوه: منها: الجهر الكثير والصِّياح، ومنها: أن يدعو الإنسان أن تكون له منزلة نبيٍّ، أو يدعو بِمُحَالٍ، ونحو هذا من الشَّطَط، ومنها:

---

[١] رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى

[٢] سورة الأعراف، الآية (٥٥)

أن يدعوَ طالبًا معصية، ومنها: ما جاء في الحديث: أنَّ عبد الله بن مغفَّل ﷺ سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتُها، فقال: أي بُنيّ سلِ اللّه الجنَّة، وعُذ به من النَّار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**سيكون قوم يعتدون في الدُّعاء والطُّهور**)[١].

قال في اللسان: ورجل مَلِق: يُعطي بلسانه ما ليس في قلبه، فتبين أن المتملّق المذموم: هو الذي يعطي بلسانه ما ليس في قلبه، ولا يصدُق ودّه، ويعِدُ ويُخلف، ويمدح بما ليس في الممدوح، وقد روي مرفوعًا وموقوفًا: (**ليس من خُلُق المؤمن المَلَق**)، وفي رواية (**إلا في طلب العلم**)[٢]، فينبغي لطالب العلم أن يتودّد ويتحبّب ويتواضع لمعلِّمه.

قال الحافظ المُناوي ﷺ في فيض القدير:

(**ليس من أخلاق المؤمن**) لفظ رواية البيهقي: خُلُق بالإفراد (**التملّق**) أي: الزيادة في التودد والتضرع فوق ما ينبغي، ليستخرج من الإنسان مراده، وفي بعض الروايات: المَلَق بلا تاء (**ولا الحسد، إلا في طلب العلم**) فإن المتعلم ينبغي له التملُّق لمعلِّمه، وإظهارُ الشَّرَف لخدمته، وأن يُلقي إليه زِمام أمره، ويُذعن لنصحه إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، صلى زيد بن ثابت ﷺ على جنازة، فقُربت له بغلته ليركب، فأخذ ابن عباس ﷺ برِكابه، فقال زيد: خلّ عنه يا ابن عمّ رسول الله ﷺ، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقبّل زيد يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا ﷺ.

قال الحَلِيمي ﷺ: المَلَق لغير المعلِّم من أفعال أهل الذِّلة والضَّعة، وما يُزري بفاعله ويدلّ على سَقاطته وقلة مقدار نفسه، وليس لأحد أن يُهين نفسه كما ليس لغيره أن يُهينه، اللهمّ أعزّنا بالإسلام، وأعزّ الإسلام بنا، آمين، وسلامٌ على

[١] رواه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه رحمهم الله تعالى.

[٢] رواه البيهقي، وابن عَدِي

المرسلين والحمد لله رب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٧٢ - [ليسَ لِمُتكَبِّرٍ صَدِيقٌ].

أقول: التَّكَبُّر من أخطر كبائر الإثم الباطن، يَحْرِم العبد في الدنيا من السعادة والهناء مع أهله وأصدقائه، ويحرمه في الآخرة من دخول الجنة حتى تُطَهِّرَهُ النار إلا أن يعفوَ الله تعالى بفضله إن مات على التوحيد؛ ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**لا يدخلُ الجنّة مَنْ كان في قلبِه مِثقالُ ذَرّةٍ من كِبْر**)[١]، وقد بيَّن النبي ﷺ معنى الكِبْر بقوله في آخر الحديث: (**الكِبْر بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النّاس**)، ومعنى بطَرَ الحَق: عدم قبوله، وعدم الانقياد إليه؛ ومنه حديث أَبِي مسلمٍ، وقيلَ: أَبِي إِيَاسٍ سلَمةَ بْنِ عَمْرو بنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رسولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ فقالَ: (**كُلْ بِيمِينكَ قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ قالَ: لا استطعَت، مَا منعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ فَمَا رَفعَها إِلَى فِيهِ**) [٢]، ومعنى (**غَمْط النّاس**) وفي رواية (**غَمْص**): احتقارُهم والاستخفافُ بهم لفقرٍ أو لِصَغرٍ أو لدَمامةٍ أو لمهنةٍ؛ وفي ذلك اعتراض على الله تعالى، وحكمته في خلقه، وربما يكون العبد المستخَفّ به أفضل عند الله تعالى ويأتي يوم القيامة ملكًا من ملوك الآخرة، ويشفع في غيره ممن استوجب دخول النار من أهله وإخوانه، ويكون مجاب الدعوة عند الله تعالى.

وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**رُبَّ أشعثَ أغبرَ مدفوعٍ بالأبواب، لو أقسَمَ على الله لَأَبَرَّهُ**)[٣].

وقال رسول الله ﷺ في شفاعة عبد صالح فيما رواه عنه أبو أمامة الباهلي

---

[١] رواه مسلم

[٢] رواه مسلم

[٣] رواه مسلم

ﷺ: (**ليدخُلَنَّ الجنَّةَ بشفاعةِ رجلٍ ليسَ بنبيٍّ مثلُ الحيَّيْنِ رَبيعةَ و مُضرَ**)[١]، بينما المتكبر في الدنيا يأتي يوم القيامة حقيراً ذليلاً؛ ففي الحديث: عن أَبي هُريرةَ ﷺ، عن رَسُول الله ﷺ قَالَ: (**إِنَّهُ لَيأتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ العظِيمُ يَوْمَ الْقِيامةِ لا يزنُ عِنْد الله جنَاحَ بعُوضَةٍ**)[٢].

ويحشر المتكبرون على صورة الذَّر كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو ﷺ مرفوعـًا: (**يُحشَرُ المتكَبِّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجالِ يغشاهمُ الذُّلُّ من كلِّ مَكانٍ، يُساقونَ إلى سجنٍ في جَهَنَّمَ يسمَّى بُولَسَ تعلوهُم نارُ الأَنيارِ، يُسقونَ من عُصارةِ أَهْلِ النَّارِ طينة الخَبَالِ**)[٣].

فينبغي لمن ابتلي بهذا المرض أن يعمل على التَّخلص منه، وتزكية نفسه قبل أن يُعَذَّب ويُذلَّ يوم القيامة، نسأل الله السَّلامة والعافية في الدنيا والآخرة، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٧٣ - [ليسَ معَ الاختلافِ ائتلاف].

أقول: لقد نهانا الله تعالى ورسوله ﷺ عن الاختلاف؛ ولو على مسائل فقهية فرعية مختلف فيها، نتدابر ونتهاجر ونتقاطع من أجلها، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[٥]، وقال رسول الله ﷺ: (**اسْتَوُوا ولا تَختَلِفُوا؛ فتَختلِفَ**

---

[١] أخرجه الإمام أحمد، و الإمام الطبراني، والآجري في « الشريعة » بإسناد صحيح.

[٢] متفق عليه

[٣] أخرجه الإمام الترمذي واللفظ له، و الإمام أحمد.

[٤] سورة آل عمران، الآية (١٠٥)

[٥] سورة النحل، الآية (٦٤)

قلوبُكمْ)[١]، فجعل اختلاف القلوب وتناكرها مترتباً على اختلاف الظاهر؛ في هيئة أو كيفية أو حالة، فكيف يكون تناكرها وتنافرها عند الاختلاف في أصل عَقَدي، أو ترك فريضة، أو سنة من سنن الهدى والشعائر؟.

وفي الخبر: أن ابن مسعود رضي الله عنه صلى أربعاً في الحج، وهو يرى القصر، وقد عاب على عثمان رضي الله عنه تربيعه وودّ لو قصر، فقيل له: عِبتَ على عثمان ثم صليت أربعاً، قال: «الخلاف شر»[٢]، ونُسب إلى سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « لو سكت الجاهل لما اختلف الناس»، فتبيَّن بهذا أن سبب الاختلاف الجهل وعدم العلم، وكذلك التعصبُ للرأي المذموم والهوى المستقبَح، فإذا أتى العالِم أو السالك قوماً و كان عنده إنكارٌ أو ترجيحٌ في مسألةٍ خلافَ ما يرون، وكان الخلاف بين فاضل ومفضول، وأراد أن يوافقهم ارتكاباً للمفضول، فله ذلك، حتى لا يصل معهم إلى مقاطعة وعداوة، أو كانت المسألةُ مسألةً اجتهادية ليس فيها نصٌّ صريح صحيح، فله أن يقول بالقول المرجوح في مذهبه أو يوافقهم على مذهبهم؛ لإبقاء الألفة والمحبة والابتعاد عن أسباب التباغض، وإذا كانت موافقتهم توصل إلى ارتكاب حرام أو مكروه تحريماً بالإجماع فلا تنبغي موافقهم حينئذ لأن الحِفاظ على وَحدة الكلمة والجماعة لا يعني أن يرجع أهل الحق عن الحق وأن يوافقوا أهل الباطل عليه، وإنما إذا كانوا هم حريصين على وحدة الجماعة والكلمة فليرجعوا عن باطلهم إلى الحق؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾[٣].

فإذا وقع الاختلافُ رُفع من القلوب الائتلاف، فلم تبق الجماعة على قلب

[١] رواه الإمام مسلم

[٢] رواه أبو داود

[٣] سورة الجاثية، الآية (١٨)

واحد، وتتفرق كلمتهم، وتتناكر قلوبهم؛ فيُرفع عنهم التأييد الإلهي، وتنقطع عنهم معية الله تعالى الخاصَّة؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[١]، وقال النبي ﷺ: (**يد الله مع الجماعة**)، وفي رواية: (**على الجماعة**)، (**ومن شذّ شذّ إلى النّار**)، (**وإنما يأكلُ الذئبُ من الغنمِ القاصية**)[٢]، وذئب المسلم شيطانه، أعاذنا الله وعبادَه من أسباب تناكر القلوب وتنافرها، وأدام أُلفتَها ومحبتَها لعباده المؤمنين، آمين.

وفي دعاء بعض الصالحين رحمه الله ورحمهم، وجعلنا معهم ومنهم: اللهمّ إنّك تعلم أن هذه القلوب قد اجتمعت على محبَّتك، والتقت على طاعتك، وتوحَّدت على دعوتك، وتعاهدت على نُصرة شريعتك؛ فوثّق اللهمّ رابطتها، وأدم وُدّها، واهدها سبلَها، واملأها بنورك الذي لا يخبو، واشرح صدورها بفيض الإيمان بك، وجميل التوكل عليك، وأحيها بمعرفتك، وأمتها على الشهادة في سبيلك، إنّك نعم المولى ونعم النصير، اللهمّ آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٧٤ - [ليسَ مع الشّهوةِ عَفاف].

أقول: الشهوة تنقسم إلى مباحةٍ ومحرمة، فالمباحُ كالشَّبع من الطعام الحلال، وكالإكثار من الثياب من غير خيلاء ولا فخر، وكالبناء زيادة عن الحاجة، وتزيينه، وكالزواج أكثر من واحدة، وكالذهاب إلى النُّزه والبساتين، وكإقامة الحفلات في المناسبات، ومشاركة الناس في الاجتماعات، والألعاب الرياضية، وفضول النظر والسمع والكلام، وكلُّ ذلك له شروط للبقاء في دائرة الإباحة، وربما جرّ إلى

[١] سورة الأنفال، الآية (٤٦)

[٢] رواه أبو داود، والترمذي

مكروهٍ أو حرام، لذلك ينبغي التيقظ والتنبه.

وقد قال أهل العلم: « تُترك المصلحة إذا جرّت إلى مفسدة »، وقالوا: «اترك الخيرَ الذي عليه الشرُّ يربو»، وأما الشّهوة المحرمة فهي كلُّ ما ورد في الشرع الشريف النهيُ عنه نهيَ كراهةٍ تحريميةٍ بدليلٍ ظنيّ، أو نهيَ تحريمٍ قطعي، وهي ضدُّ العَفاف، فليس في شهوةٍ منها عفاف، سواءٌ كان في مأكل، أو مشرب، أو ملبس، أو مسكن، أو مركب، أو مال، أو كلام، فالفرق بين المباح والمكروه والحرام إنما هو العِفّة.

۞ وقد أمر الله تعالى بها في مواضع من كتابه؛ فأرشد أولياء اليتامى إليها فقال تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[١]، وأرشد إليها الشباب العُزّاب، والفتيات العَزَبات؛ بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[٢]، وأرشد إليها القواعد من النساء بقوله سبحانه: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠﴾[٣].

۞ وقد دعا بها رسول الله ﷺ؛ ففي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: **(اللهمّ إنّي أسألُك الهُدى والتُّقى والعَفافَ والغِنى)**[٤]، ورُوي **(عِفّوا تَعِفّ نساؤكم)**، وفي رواية: **(عِفّوا عن نساءِ النّاس تعِفّ نساؤكم، وبِرّوا آباءكم تبَرَّكم**

[١] سورة النساء، الآية (٦)

[٢] سورة النور، الآية (٣٣)

[٣] سورة النور، الآية (٦٠)

[٤] رواه مسلم

أبناؤكم)[١]، وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

عِفّوا تَعِفَّ نِساؤُكُم في المَحرَمِ ... وَتَجَنَّبوا ما لا يَليقُ بِمُسلِمِ
إِنَّ الزِّنا دَينٌ فَإِنْ أَقرَضتَهُ ... كانَ الوَفا مِن أَهلِ بَيتِكَ فَاعلَمِ
يا هاتِكًا حُرَمَ الرِّجالِ وَقاطِعًا ... سُبُلَ المَوَدَّةِ عِشتَ غَيرَ مُكَرَّمِ
لَو كُنتَ حُرّاً مِن سُلالَةِ ماجِدٍ ... ما كُنتَ هَتّاكًا لِحُرمَةِ مُسلِمِ
مَن يَزنِ يُزنَ بِهِ وَلَو بِجِدارِهِ ... إِن كُنتَ يا هَذا لَبيبًا فَافهَمِ

فليستعفّ المسلم في بصره وسمعه ولسانه ويده وماله حتى يُعفّه اللّه تعالى، وفي الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: «إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: (**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ**)»[٢]، فقَوْله: (**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ**)، قَالَ الْقُرْطُبِيّ: « (**مَنْ يَسْتَعِفّ**) أَيْ: يَمْتَنِع عَنْ السُّؤَال (**يُعِفَّهُ الله**) أَيْ: إِنَّهُ يُجَازِيه عَلَى اِسْتِعْفَافه بِصِيَانَةِ وَجْهِهِ وَدَفْع فَاقَته »، وقال غيره: (**وَمَنْ يَسْتَعفف**) أَيْ: مَنْ يَطْلُبْ مِنْ نَفْسِهِ الْعِفَّةَ عَنِ السُّؤَالِ، قَالَ الطِّيبِيُّ: أَوْ يَطْلُبِ الْعِفَّةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى (**يُعِفَّهُ اللهُ**) أَيْ: يَجْعَلْهُ عَفِيفًا، مِنَ الْإِعْفَافِ، وَهُوَ إِعْطَاءُ الْعِفَّةِ، وَهِيَ الْحِفْظُ عَنِ الْمَنَاهِي.

أقول: ومنه العِفة في الكسب بالابتعاد عن المشبوه ففي الحديث: (**إنّ الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن وبينهما أمور مُشْتَبِهات لا يعلمهنّ كثير من النّاس، فمن اتّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشّبهات وقع في**

---

[١] رواه الحاكم

[٢] رواه الشَّيخان.

الحرام)[١]، ومن هنا نبّه العلماء على أن التّوسع في المباح يُوقع في مشبوهٍ أو مكروهٍ، وأنّ الوقوع في مشبوهٍ أو مكروهٍ يُوصل إلى الحرام، والعِياذُ بالله تعالى، رزقنا الله العفَّة بفضله، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٧٥ - [لو عقَل أهلُ الدُّنيا لخَرِبتْ].

أقول: قسّم الإمام حُجّة الإسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في « الإحياء» العقلَ إلى أربعة أقسام: **الأول**: الوصف الذي يُفارق الإنسانُ به سائر البهائم وهو الذي به استعدّ لقَبول العلوم النظرية، وتدبير الصّناعات الخفية الفكرية.

الثاني: هو العلوم التي تَخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميّز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات.

الثالث: علوم تُستفاد من التجارب بمجاري الأحوال.

الرابع: أن تنتهيَ قوّة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور، ويقمع الشّهوة الداعية إلى اللّذة العاجلة ويقهرها، أقول: وهذا القسم الأخير هو المراد بقول الشيخ رحمه الله إذ لو عقَل النّاس هذا العقلَ العاقلَ لزهدوا في الدنيا زُهد قلبٍ ويدٍ؛ بأن أخذوا منها قدر الكفاية، وتركوا المكاثرة والمفاخرة والتنافس، وتركوا كثيراً من التّجارات والصّناعات، وتفرّغوا لأعمال الآخرة؛ وهذا ينبني عليه تعطيل كثير من الأعمال وهو المعبّر عنه في كلامه بالخراب، ولهذا قرّر الفقهاء في باب الوصية: أنّه لو أوصى رجلٌ بماله لأعقل الناس فإنه يُصرَف إلى الزُّهاد؛ وهو منقول عن الإمام الشافعي رضي الله عنه.

ولهذا كان الزّهادُ قلائل بالنسبة للرّاغبين في الدُّنيا الباحثين عن كُنوزها

---

[١] رواه الشَّيخان.

وخيراتِها في خبايا الأرض وفي زينتها الظاهرة، وذلك لتتمَّ عِمارة الأرض المشار إليها بقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾[٢]، ومن لم يُلههه مالُه ولا تجارتُه عن ذكر اللّه تعالى وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فهو الرّجل الرّابح، وإلا فهو من الخاسرين؛ قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾[٤].

ولهذا نجد في الصّحابة والتّابعين والعلماء رضي الله عنهم أجمعين؛ منهم الأغنياء الزاهدون قلباً لا يداً، ومنهم الزّهاد قلباً ويداً؛ كما قال تعالى في الصّحابة رضي الله عنهم: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾[٥].

وكلا الأمرين وصف كمالٍ في حقّ الصّحابة رضي الله عنهم وورّاثهم من العلماء والمؤمنين، لأن الأغنياء منهم زهِدوا قلباً لا يداً، والفقراء منهم زهِدوا قلباً ويداً، ولهذا قال الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: « قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: للآخرة، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: لله تعالى، فكلاهما مدح».

---

[١] سورة هود، الآية (٦١)

[٢] سورة الكهف، الآية (٧)

[٣] سورة النور، الآيات (٣٧ -٣٨)

[٤] سورة المنافقون، الآية (٩)

[٥] سورة آل عمران، الآية (١٥٢)

وفي دعاء رسول الله ﷺ: (**اللهمّ لا تجعلِ الدّنيا أكبرَ همّنا ولا مبلغَ عِلمِنا**)[١]، وكان من دعاء بعض الصّالحين: « اللهمّ إنّا نسألك دُنيا واسعةً زكية، وأخرج حبّها من قلوبنا بالكُليّة، ووفّقنا إلى صَرفها في مصارفها الشرعية»، وفي دعاء آخر: «اللهمّ اجعل الدنيا بين أيدينا، لا في قلوبنا»، وفّقنا الله وإيّاكم إلى ما يُحبّ ويرضى، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٧٦ - [لو كُنّا نأتي لِمَا يأتون ما قامَ للدّين عَمود، ولا اخضرَّ للإيمانِ عُود].

أقول: لو أنّ المُسلمَ المُؤمن وافقَ العُصاةَ على ما يأتونه من المعاصي وما يُجاهرون به من القبائح، وداهنَ المُخالفين أتباعَ الأهواء والبِدع فيما هُم عليه؛ وهم يحبون ذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩﴾[٢]، أي: تمنَّوا وأحبُّوا لو تُلاينهم، وتُصانعهم على بعض ما هم عليه؛ فيلينون لك، وإذا صحب ذلك تركُ أهلِ العلم والدعاةِ إلى اللّه تعالى واجبَ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لصار حال النّاس في مجتمعهم واجتماعاتهم واحداً، ولما مُيّز أهلُ الإيمان والطاعة عن أهل الفسق والمعصية، ولذا منع الشرعُ الشّريفُ من التّشبه بغير المسلمين فيما هو شعار لهم، ومنع من التّشبه بأهلِ الفسق فيما هو من علاماتهم في المآكل والملابس والهيئات والحركات، ومنع من مُجالستهم وأوجب هجرتهم في الله، فالمُهاجر من هجر السّوء وأهلَه، وهذا معنى الإعراض الذي أمرنا الله به بقوله: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٠٦﴾[٣]، وبقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي

[١] رواه الترمذي، والنَّسائي في الكبرى، والطبراني في الدعاء.

[٢] سورة القلم، الآية (٩)

[٣] سورة الأنعام، الآية (١٠٦)

حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[١] وبقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾[٢]، وكل هذا مِن أجل بقاء شعائر الدّين ظاهرةً في الأمة، قائمةً في أتباع الحق؛ يُحْيُونها ويَحْيَون بها و يُحْيُون بها المَوات من أراضي النّفوس والقلوب المَيْتة، فلا ينبغي لمَن تزيَّا بِزِيِّ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، والصّالحين من العلماء أن يَفعل أفعال الجاهلين، وإلا كان أثرُه في الصّد عن سبيل اللّه، وتنفيرِ النّاس عن دين الله كبيراً، ويكونُ عليه مِثل آثام من ضلّ بسببه، فليحفظِ المسلمُ المؤمنُ المَظْهر والنَّسب والنِّسبة عن أن يُسيء إلى الإسلام والعلم والدّعوة مِن خِلالها، نسأل الله السَّلامة والعافية في الدّنيا والآخرة بفضله وكرمه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٧٧ -[لسانُ المُرائي جميل، وفي قلبِهِ داءٌ دخيل].

أقول: المُرائي هنا هو المُنافق الذي يُظهر خلاف ما يُبطن، وهو الذي قال فيه الشاعر:

لا خيـــرَ في وُدِّ امـــرئٍ مُتَملّـــقٍ ... حُلـوِّ اللِّســـانِ وقلبُـــهُ يَتلهـــبُ

يُعطيكَ مِن طَرَفِ اللّسانِ حلاوةً ... ويـروغُ منكَ كما يروغُ الثّعلـــبُ

يلقاكَ يحلِـــفُ أنّه بـــكَ واثـــقٌ ... وإذا توارى عنكَ فهو العقـــربُ

يحسبه المغفَّل لما يَرى مِن حلاوةِ لسانهِ مُحبـًا مُخلصـًا فيطلعُه على أسراره؛ ويكونُ ذاكَ المنافق متربصـًا به فيفضحُه؛ وينشرُ أسرارَهُ، وربّما يُطلِع أعداءَه على

[١] سورة الأنعام، الآية (٦٨)

[٢] سورة النساء، الآية (١٤٠)

ذلك فيكون في ذلك هلاكُه، ولذلك ينبغي أخذُ الحذَر من مدعي المحبة ومن الأصدقاء؛ كما قال الشاعر:

وكنْ على حذَرٍ للنّاس تَستُرُهُ ولا يَغرَّكَ منهم ثَغرُ مُبتسِمِ

وقال آخر:

احـــــذرْ عَــدوَّك مرّةً واحذرْ صديقَكَ ألفَ مرّة

فلرُبّما انقلــبَ الصّديـقُ فكانَ أعلــمَ بالمَضــرَّة

قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى:

وجُمهور الناس اليوم مَعارف، ويندُر فيهم صديق في الظاهر، فأما الأُخوَّة والمصافاة: فذاك شيء نُسخ، فلا يُطمع فيه، وما أرى الإنسان تصفو له أُخوَّة من النسب، ولا ولده، ولا زوجته، فدع الطمعَ في الصّفا، وخذ عن الكل جانبًا، وعاملْهم معاملة الغرباء، وإيّاك أن تنخدعَ بمَن يُظهِر لك الوُدّ؛ فإنّه مع الزمان يَبين لك الحال فيما أظهره، وربما أظهر لك ذلك لسبب يناله منك.

وقد قال الفضيل بن عياض ﷺ: «إذا أردت أن تُصادق صديقًا فأغضبه، فإن رأيته كما ينبغي فصادقه».

أقول: وهذا اليوم مخاطرة؛ لأنك إذا أغضبت أحداً: صار عدواً في الحال، والسبب في نسخ حكم الصفا: أن السلف كان همتهم الآخرة وحدها، فصَفَت نيّاتهم في الأُخوة والمخالطة، فكانت دِينًا لا دنيا، وأمَّا الآن: فقد استولى حبّ الدّنيا على القلوب؛ فإن رأيت متملّقًا في باب الدّين فاخبُرهُ تَقْلُهُ – أي: إن اختبرته: تبيّن لك منه ما يُبعدك عنه، نسأل اللّه السَّلامة مِن مُوجِبات النّدامة في الدّنيا وفي القبر وفي يوم القيامة، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٧٨ - [لسانُ الحال أصدقُ مِن لسانِ المقال].

أقول: الحالُ هو ما عليه القلب مع الله تعالى من يقظةٍ أو غفلةٍ، ومن أدبٍ ومراقبةٍ ورضا، أو اعتراضٍ وعدمِ رضا، ومِن اعتقادٍ صحيحٍ أو فاسدٍ، ومن خوفٍ أو رجاءٍ، ومن بسطٍ أو قبضٍ؛ فمن العارفين مَن قبضَه الورعُ، ومنهم من بسطتْه المعرفة، ومثلُ الخشيةِ والخشوعِ والبكاءِ والهَيبةِ في اللّه وتعظيمِ شعائرِ اللّه، وما شاكل ذلك من مقامات القلوب وأضدادها، وهذا كله ينطبعُ في مرايا قلوب الجلساء انطباعَ الصُّور في المرآة، ولهذا قالوا: « مَن أسرّ سريرةً ألبسه اللّه رداءها»، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢﴾[١].

وقال الشاعر:

وَمَهما تَكُن عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَــةٍ وَإِن خالَها تَخفى عَلى الناسِ تُعلَمِ

وقالوا أيضـًا: حالُ رجلٍ في ألفِ رجل؛ خيرٌ مِن وَعظِ ألفِ رجلٍ في رجل، ولهذا كانت موعظة رؤية الميت ومعالجة جسده بالتغسيل والتكفين والدفن في القبر، وزيارة القبور؛ أبلغ من كثير من المواعظ القولية والخُطَب مهما كانت بليغة، وقد جاء بذلك الحديث عن أبي ذرّ رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ أوصاه فقال له: **(زُرِ القبورَ تذكُرْ بها الآخرةَ، واغسِلِ الموتَى فإنَّ معالجةَ جسدٍ خاوٍ موعظةٌ بليغةٌ، وصَلِّ على الجنائزِ لعلَّ ذلك أن يُحزِنَك؛ فإنَّ الحزينَ في ظلِّ اللّهِ)**[٢].

وقد قال الشّيخ ابن عطاء الله السّكندري رحمه الله في حِكَمه: «كلُّ كلامٍ يبرُزُ وعليه كِسوةُ القلبِ الذي منه بَرَز»، فكلامُ أهل الحضور مع اللّه تعالى يُورث

---

[١] سورة البقرة، الآية (٧٢)

[٢] رواه الحاكم، والبيهقي، وإسناده جيد.

الحضورَ مع اللّه تعالى، كما أنّ كلامَ أهلِ الغَفلة عن اللّه تعالى يُورث الغفلة عن اللّه تعالى، ومِن هنا نهى العلماءُ عن مجالسةِ أهل البدع الضلالات والمجاهرين بالمعاصي، وعن النّظر إليهم وعن سماع كلامهم؛ خشية العدوى وسرقة الطبع من الطبع، وأَمروا بمجالسة أهل العلم وأصحاب الحال وشدّ الرّحال إليهم؛ فقالوا: « يُستحب شدُّ الرّحال لمُلاقاة أهلِ العلم وأصحابِ الحال ».

وقال الشّمس التبريزي رحمه الله: « وجالسْ جميلَ الرُّوحِ تُصْبك عدوى جمالهِ»،

وقال العارف الشّيخ عبد الغنيّ النابُلُسي رحمه الله:

والرُّوحُ كالرِّيح إن هبّتْ على عَطِـــرٍ طابتْ وتخبُثُ إنْ مرّتْ على الجِيَفِ

وقال الشيخ أبو مدين رحمه اللّه تعالى:

وراقبِ الشّيخَ في أحوالهِ فعسى يَرى عليك من استحسانهِ أثَـرا

وقالوا: « قلْ لي مَن تُصاحِب أقلْ لك مَن أنت»، وقال عدي بن زيد:

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خيَارَهُمْ وَلَا تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

عَنِ المَرءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُـــلّ قَرِيـــنٍ بالمُقَـــارَنِ يَقْتَـــدِي

نفعنا اللّه بأهل الحال من العارفين به، وجعلنا على شاكلتهم، آمين.

الوصايا الشاذلية

م

-حرف الميم-

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٧٩ - [مَنْ جهِلَ قلَّ اعتذارُه].

أقول: للجاهل علاماتٌ منها: أنه إذا أساء إلى أحد أو أخطأ لا يعتذر عن خطئه ولا عن إساءته بل لا يبالي بذلك، والاعتراف بالخطأ فضيلة، والرجوع عنه فضيلة أكبر، والاعتذار من شيم الرجال الكبار.

۞ هذا نبيّ اللّه موسى عليه الصلاة والسلام حين صحب الخضر عليه السلام فاشترط عليه الخضر ألاّ يسأله عن شيء حتى يُحدّثه به ويُوقفه على حقيقة الأمر، فلما خالف نبيّ الله موسى عليه الصلاة والسلام الشرط اعتذر عن ذلك، فقال: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾[١].

۞ وهذا نبيّ اللّه نوح عليه الصلاة والسلام اعتذر للّه تعالى من سؤاله النجاة لولده الذي لم يكن مؤمنًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٢].

وهكذا الصالحون من أتباع النبيين لا يتكبّرون عن الاعتذار إذا بدر منهم ما يستدعيه، وقد سجل لنا التاريخ صفحات مشرقة من اعتذار الصحابة رضي الله عنهم لبعضهم؛ ومن ذلك:

ما جاء عن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه مغضبًا، فاتّبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتّى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ ونحن عنده- فقال رسول الله ﷺ: (**أمّا صاحبكم فقد غامر**) - أي: خاصَمَ -، وندم

---

[١] سورة الكهف، الآية (٧٣)

[٢] سورة هود، الآية (٤٧)

عمر على ما كان منه، فأقبل حتّى سلّم وجلس إلى النّبيّ ﷺ وقصّ على رسول الله ﷺ الخبر، قال أبو الدّرداء رضي الله عنه: وغضب رسول الله ﷺ، وجعل أبو بكر يقول: «والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم»[١].

فهذا الصِّدِّيق يعتذر عما بدر ولا تمنعه مكانته وسابقته من تقديم الاعتذار عند الحاجة، وهذه السيدة أمّ المؤمنين أمّ حبيبة رضي الله عنها دعت في مرض موتها السيدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها وقالت لها: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضّرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقالت عائشة رضي الله عنها: غفر الله لك ذلك كلّه وتجاوز، وحلّك من ذلك كلّه، فقالت: سررتني سرّك اللّه، وأرسلت إلى السيدة أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها فقالت لها مثل ذلك.

وكذلك اعتذار العلماء والصالحين لبعضهم والشواهد كثيرة لمن تتبعها، والاعتذار يكون مع الأعلى رتبة ومع الأدنى، ومع الكبير والصغير، وبين الزوجين، وبين الرئيس ومرؤسيه، وبين المعلم وطلاّبه، وبين الشيخ وتلامذته، فكل ذلك من مكارم الأخلاق، ومن موجبات دوام المحبْة والصّلة، ومن أسباب دفع التدابر والتنافر والتهاجر؛ التي نُهينا عنها على لسان رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)**[٢].

وأمرنا الشّرع الشّريف بقَبول عذر من اعتذر إلينا ففي الحديث:

---

[١] رواه البخاري

[٢] رواه مسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**عِفّوا عن نساء النّاس تعِفّ نساؤكم، وبِرّوا آباءكم تبَرّكم أبناؤكم، ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك منه، مُحِقّاً كان أو مُبطلا، فإن لم يفعل لم يَرِدْ عليَّ الحوض**)[١].

ويقول سيّدنا الحسن بن سيدنا عليّ رضي الله عنهما: لو أن رجلا شتمني في أذني هذه، واعتذر إليّ في الأخرى لقبلت عُذره، ويقول الأحنف بن قيس رحمه الله: إن اعتذر إليك معتذر تلقَّه بالبِشر، واعتذر رجل إلى الحسن بن سهل رحمه الله من ذنب كان له، فقال له الحسن: تقدمتْ لك طاعة، وحدثتْ لك توبة، وكانت بينهما منك نَبوة، ولن تغلب سيئة حسنتين.

قال الشاعر:

إذا اعتذر الجاني محا العذرُ ذنبَه وكان الّذي لا يقبلُ العُذر جانيا

وقد قيل: ماء الاعتراف يمحو دنسَ الاقتراف، فقبول معذرة المعتذِر من مكارم الأخلاق، وأسباب المحبّة والمودّة؛ قال ابن حبان رحمه الله في « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء »: فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه لجُرمٍ مضى، أو لتقصيرٍ سبق، أن يقبل عذره ويجعله كمن لم يذنب؛ لأن من تنصّل إليه فلم يقبل أخاف أن لا يرد الحوضَ على المصطفى ﷺ، ومن فرَط منه تقصير في سبب من الأسباب يجب عليه الاعتذار في تقصيره إلى أخيه؛ ولقد أنشدني محمد بن عبد الله بن زَنجي البغدادي رحمه الله:

إذا اعتذر الصّديقُ إليكَ يوماً من التقصيرِ عُذرَ أخٍ مُقِرِّ
فصُنه عن جَفائِكَ واعفُ عنه إنّ الصَّفحَ شِيمة كلِّ حُرِّ

---

[١] رواه الحاكم في «المستدرك» وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه »، وتعقبه الذهبي بقوله: « بل سويد ضعيف».

وقال الإمام حُجّة الإسلام الغزالي رحمه الله: « أمّا زلتُه في حقه – يعني زلةَ الأخ في حق أخيه – بما يُوجب إيحاشه: فلا خلافَ في أنّ الأَوْلى العفو والاحتمال، بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن، ويتصور تمهيد عذر فيه، قريب أو بعيد، فهو واجب بحقّ الأُخوّة »، وقد قالوا في الاعتذار: «الاعتذار مرهمٌ لنصف الوجع، والنصف الآخر دواؤه الإحسان بعد الإساءة»؛ قال اللّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾[٢]، وقالوا: روحٌ قويّة مُفعَمةٌ بالحُبّ، يبعثُها القلبُ الذي اهتمّ، وعرف قدر الآخَر، ذاك هو الاعتذار، الاعتذارُ ضِماد جروحٍ نُسعف به قلوبَ أحبّتنا النّازفة، الاعتذار أسمى مكارمِ الأخلاق، لو أنّ كلّ من أخطأ اعتذر؛ لانتهت المشاكل بين بني البشر، اللهم أكرمنا بمكارم الأخلاق.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٨٠ - [مَنْ حَذّرك كمَنْ بشّرك].

أقول: من لوازم الأخوة والمحبة التحذيرُ والبِشارة؛ فتُحذِّر أخاك مما سيقع فيه ممّا عاقبتُه ندامةٌ أو خسارة أو عقوبة، وتُبشّره فيما يقوله ويفعله ممّا فيه ثوابٌ أو مكافأة، وهذا من شأن المؤمن مع جميع إخوانه في الإيمان، وفي الإنسانية، وربما يجتمع التحذيرُ والبِشارة في حقّ بعض النّاس، وربّما لبعضهم التّحذيرُ، و لبعضهم البِشارة، فأنت مع إخوانك مُحَذِّر ومُبشِّر، وهذا من النّصيحة الواجبة لأئمةِ المسلمين وعامّتهم؛ فإذا جاء أخ لك يُحذّرك من أمر فهو كمَن حمل لك بِشارة؛ لأن تحذيره إياك يُنجيك من مهلكة أو يدفع عنك فتنة أو عقوبة أو مَذمّة؛

---

[١] سورة الرعد، الآية (٢٢)

[٢] سورة المؤمنون، الآية(٩٦)

فتَسلمَ في نفسك وأهلِك ومالِك بسبب تحذيره لك، فينبغي أن تعرف فضلَه عليك، وأن تشكرَه على معروفه معك بتحذيرك، كما تَشكر من بشّرك وتُثيبه على بِشارته،

ولهذا من سمع أو علم أنّ قوماً أو أحداً يَكيد، أو يَمكر، أو يَخدع، أو يَنوي نية سوءٍ بغيره؛ يجب شرعاً تحذيرُ ذلك الممكور به ليتنبهَ وليأخذَ حِذْره، فمِن حقّ المسلم على أخيه ألاّ يُسلِمَه؛ ومعنى: (لا يُسلمه): أي لا يلقيه إلى الهَلَكة، ولا يتركه عند من يؤذيه، بل ينصره ويَدفع عنه[١]، وإذا لم يُحذّره فقد أسلمه؛ فهو حينئذٍ شريكٌ مع الماكرين والكائدين في الإثم، وعليه مثلُ ما عليهم من العذاب في الآخرة لتركه نُصرةَ أخيه، وفي الحديث:

عن جابر وأبي طلحة ﷺ قالا: قال رسول اللّه ﷺ: (**ما مِن امرئٍ يَخذُل امرَءاً مُسلماً في موطنٍ يُنتقصُ فيه مِن عِرضه ويُنتَهكُ فيه مِن حُرمته؛ إلاّ خذلَه اللّه تعالى في موطنٍ يُحِبُّ فيه نُصرتَه، وما مِن أحدٍ ينصُر مسلماً في موطنٍ يُنتقصُ فيه مِن عِرضه، ويُنتَهكُ فيه من حُرمته إلاّ نصرَه اللّه في موطنٍ يُحِبّ فيه نصرتَه**)[٢].

وذلك لأنّ الجزاءَ على مثل الوصف ومِن جِنس العمل؛ فالوصف الذي تعامل به الخلق يعاملك به الحق سبحانه وتعالى.

ورُوي من طرق عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النّبي ﷺ قال: (**أُمر بعبدٍ مِن عباد اللّه يُضرَب في قبره مائةَ جلدة، فلم يزلْ يسألُ ويدعو حتى صارت جلدةً واحدة، فامتلأ قبرُه عليه ناراً، فلمّا ارتفع عنه وأفاق، قال: علامَ جلدتموني؟ قالوا: إنّك صليتَ صلاةً بغير طُهور، ومررتَ على مظلومٍ فلم تنصرْه**)[٣] .

نسأل اللّه تعالى التَّوفيق للقيام بحقوقه سبحانه، وحقوق عباده، بفضله وكرمه، آمين.

---

[١] فتح الباري

[٢] رواه أحمد، وأبو داود

[٣] رواه الإمام الطحاوي، وغيره.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٨١ - [ما تواضعَ إلا رفيعٌ، ولا تكبّر إلا وضيع].

أقول: التَّواضع خُلُقٌ عظيم من أخلاق العلماء الربانيين وخاصَّة المؤمنين، والتّكبر - والعِياذ بالله - من أخلاق الجاهلين، ومعنى التَّواضع: أن لا يرى نفسه خيراً من أحد من المسلمين، وأنّه لا يستَحِقُّ التعظيم؛ فلا يُحِبّ أن يتمثلَ له الناس قياما، ولا يُحِبّ أن يُصَدَّر، ولا أن يُقَدّمَ على غيره، ولا أن يُثْنَى عليه بألقابٍ أو بعلمٍ أو عمل، وقد وصفَ اللّه تعالى المؤمنين المحبوبين عنده والمحبين له بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾[١]، فوصفهم بالتذلل للمؤمنين.

وعن عياضِ بن حمارٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله أوحى إليَّ أنْ تواضَعوا؛ حتى لا يَفخَرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغيَ أحدٌ على أحدٍ)**[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **(ما نقَصتْ صدقةٌ من مالٍ، وما زاد اللهُ عبداً بعفوٍ إلا عزّاً، وما تواضَعَ أحدٌ إلا رفعه اللهُ)**[٣]، وعنه رضي الله عنه قال: **(إن كانت الأَمَةُ من إماء المدينة لَتأخُذُ بيد النبي ﷺ، فتنطلق به حيث شاءت)**[٤].

وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرفعه إلى رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه تعالى: **(يَقُولُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذَا - وَجَعَلَ - يَزِيدُ أحدُ الرواة - بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَدْنَاهَا إِلَى الْأَرْضِ - رَفَعْتُهُ هَكَذَا - وَجَعَلَ بَاطِنَ**

---

[١] سورة المائدة، الآية (٥٤)

[٢] رواه مسلم

[٣] رواه مسلم

[٤] رواه البخاري

كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَفَعَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ)[١].

وقال الإمام ابن عطاء الله السكندري ﵀ في حكمه: « ليس المتواضعُ الذي إذا تواضع رأى أنه فوقَ ما صنع، لكنِ المتواضعُ الذي إذا تواضعَ رأى أنه دون ما صنع »، وقال أيضـًا: « التواضعُ الحقيقيُّ ما كان ناشئـًا عن شهودِ عَظمتِه، وتجلِّي صفتِه»، وقال السيد أحمد الرفاعي الكبير قدّس اللّه روحه ونوّر ضريحه في البرهان المؤيَّد: أنا أُحْمَيد اللّاش اللّاش، أي: اللّا شيء، وفي الرِّسالة القُشيرية: مَن لم يتّضِع عند نفسه؛ لم يرتفعْ عند غيرِه.

أقول: وهو معنى ما تقدم في الأحاديث، والأمورُ كامنةٌ بأضدادها، وقال الإمام القُشَيري ﵀: وقال الفضيل بن عياض ﵀: من رأى لنفسه قيمة؛ فليس له في التواضع نصيب، وسُئِل الفضيل ﵀ عن التواضع فأجاب: « تخضعُ للحقّ وتنقادُ له وتقبلُه ممّن كان»، وسُئِل الإمام الجنيد ﵀ عن التواضع فأجاب: «خفضُ الجَناح للخلق، ولينُ الجانبِ لهم».

أقول: ومن علاماتِ المُتواضع: أن يحملَ متاعَه من السُّوق بنفسه، وأن يخدُمَ ضيفه بنفسه، وألاّ يسمحَ لإخوانه وتلامذته بالسّير وراءه، وألا يجلسوا بين يديه مُطرقين، ولا وقوفـًا كالخَدَم والعبيد، وألاّ يسمحَ لأحدٍ بتقبيلِ يدِه إلا أنْ يُقبّل الشيخُ يدَه حتى لا تكونَ له مَزِيّة عليه، وأن ينسُب كلّ قولٍ أو فائدةٍ لمن أفاده ذلك، ونُسب إلى الإمام الشافعي ﵁:

وأقبح شيء أن يَرى المرءُ نفسَه ... رفيعـًا وعند العالمينَ وضيـــعُ
تواضعْ تكنْ كالنّجم لاح لناظرٍ ... على صفحاتِ الماءِ وهو رفيعُ
ولاتـكُ كالدُّخّان يعلو بنفـــسه ... على طبقاتِ الجوّ وهو وضيعُ

[١] أخرجه الإمام أحمد في المسند، وأخرجه الإمام ابن ماجه.

وقال الشاعر:

مَلاَّى السَّنابِلِ تَنْحَني بِتَواضُعٍ وَالْفَارِغَاتُ رؤوسُهُنَّ شوامِخُ

وقال:

إِذَا امْتَلاَّتْ كَفُّ اللَّئيمِ مِن الغِنَى تَمايَلَ إِعْجَاباً وَقَالَ أَنَا أَنَا
وَلَكِنْ كَريمُ الأَصْلِ كالْغُصْنِ كُلَّمَا تَحَمَّلَ أَثْماراً تَواضَعَ وَانْحَنَى

وأما الكِبْر فقد عرّفه ﷺ بقوله: (**بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النّاس - وفي رواية - وغَمْصُ**)، وقد تقدّمت الإشارة إليه في حكمة سابقة.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٨٢ - [ما أحسنَ العفوَ معَ الاقتدار، وما أقبحَ العُقوبةَ مع الاعتذار].

أقول: قال الله تعالى في مكارم أخلاق المتقين:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[٢]، وبهذه النصوصِ الكريمةِ يتبينُ أنّ مِن أكملِ الأخلاق الدّالة على الشّهامة والمُروءة والكمال: العفوَ عند المقدرة، فالكريم إذا قدَر عفا، وهو من أخلاق سيّد الخلق سيّدنا محمّد ﷺ والذي أثنى اللّه على أخلاقه الكريمة، والشّواهد في سيرته العطرة كثيرة؛ منها:

ما رواه سيّدنا جَابِرٌ رضي الله عنه أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُول الله ﷺ قَفَلَ مَعَهُمْ، فأدْرَكتْهُمُ الْقائِلَةُ في وادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رسولُ اللهِ ﷺ، وتَفَرَّقَ النَّاسُ يسْتظلُّونَ بالشَّجَرِ، ونَزَلَ رسولُ الله ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ، فَعَلَّقَ بِهَا سيْفَه، ونِمْنَا نوْمةً، فَإِذَا رسولُ اللهِ ﷺ يدْعونَا، وإِذَا عِنْدَهُ أَعْرابِيٌّ فقَالَ: (**إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سيْفي وأَنَا نَائِمٌ، فاسْتيقَظْتُ وَهُو في يدِهِ صَلْتًا**)، قالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ

[١] سورة آل عمران، الآية (١٣٤)

[٢] سورة الشورى، الآية (٤٠)

منِّي؟ قُلْتُ: (الله -ثَلاثًا) وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ[١]، وفي رواية: قَالَ جابِرٌ رضي الله عنه: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بذاتِ الرِّقاعِ، فإذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجرةٍ ظَلِيلَةٍ تركْنَاهَا لرسول الله ﷺ، فَجاء رجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِين، وَسَيفُ رَسُول الله ﷺ مُعَلَّقٌ بالشَّجرةِ، فاخْترطهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: (لا) قَالَ: فمَنْ يمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: (الله)، وفي رواية أبي بكرٍ الإسماعيلي في صحيحِهِ: قَالَ: منْ يمْنعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: (اللهُ) قَالَ: فسقَطَ السَّيْفُ مِنْ يدِهِ، فَأَخَذَ رسَول الله ﷺ السَّيْفَ فَقال: (منْ يمنعُكَ مِنِّي)؟ فَقال: كُن خَيْرَ آخِذٍ، فَقَالَ: (**تَشهدُ أنْ لا إلَه إلاَّ اللهُ، وأنِّي رسولُ الله**)؟ قَالَ: لاَ، ولكِنِّي أعاهِدُك أنْ لا أقَاتِلَكَ، وَلاَ أكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخلَّى سبِيلهُ، فَأتى أصحابَه فقَالَ: جِئتكُمْ مِنْ عِندِ خيرِ النَّاسِ.

وقد رغّب بذلك رسول اللّه ﷺ فقال: (**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ من أَيِّ الحُورِ شَاءَ**) وفي روايةٍ (**منَ الحُورِ العِينِ ما شاء**)[٢]، رواه سهل بن معاذ بن أنس الجُهَني عن أبيه رضي الله عنه.

ويدخل في ذلك ألاّ يظلمَ القادرُ على الظُّلم أحداً، وإنّ مِن أشدّ الظُّلم أن تظلِمَ من ليس له ناصرٌ إلا اللّه؛ من الضُّعفاء، والمُسنِّين، والبهائم والحيوانات، وقد قال الحكماء: « إذا دعتْك قدرتُك على ظلم النّاس؛ فتذكّر قدرةَ اللّه عليك»، وهي بمعنى حديث نبوي: رواه أبو مسعود البَدْري رضي الله عنه قال: كنت أضرِب غُلاماً لي بالسَّوْط، فسمعت صوتاً من خَلفِي: (**اعلم أبَا مسعود**) فلم أفْهَم الصَّوت من الغَضَب، فلمَّا دَنَا مِنِّي إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: (**اعلم أبَا مسعود أن اللّه أقْدَرُ عليك مِنْك على هذا الغُلام**)، فقلت: لا أَضربُ مملوكاً بعده أبداً، وفي رواية: فسقط السَّوط من يَدي من هَيْبَتِه، وفي رواية: فقلت: يا رسول الله، هو حُرٌّ

[١] متفق عليه

[٢] رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وقال:حديث حسن غريب

لوجه الله تعالى، فقال: (**أمَا لو لم تفعل، لَلَفَحَتْكَ النَّار، أو لَمَسَّتْكَ النَّار**)[١].

وأما قوله: وما أقبحَ العُقوبةَ مع الاعتذار،وذلك بأن تُعاقِبَ إنساناً بالظّنّ ثم يتبينَ لك براءتُه فتعتذرَ إليه فذلك من أقبح الخصال والفِعال؛ وقد ورد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (**ادْرَؤوا الحُدودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَخْرَجٌ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّ الْإِمَامَ لأَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ**)[٢]، ويَحتمِل قولُه معنىً آخرَ وهو: أن يأتيَ المُخطئ معتذراً لمن أخطأ في حقه؛ فلا يقبل عذرَه بل يُعاقبه بعد اعتذاره، فهذا من أقبح الخصال كذلك، وقد تقدّم في حكمةٍ سابقة أن يقبلَ المسلمُ عذرَ من يعتذرُ إليه صادقًا كان أو غيرَ صادق، فذلك من مكارم الأخلاق، خلَّقَنا الله والمسلمين بالأخلاق المحبوبة عنده، ومنها العفو، وندعو بما أمر به رسول الله ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها إذا أدركت ليلة القدر أن تقول: (**اللهمّ إنّك عفوٌّ تُحِبّ العفوَ فاعفُ عنّي**)، اللهم آمين يارب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٨٣ - [مَن أكرمَ مُحدِّثه حسُن مشهدُه].

أقول: إكرامُ المحدِّث يكونُ بالاستماعِ إليه، والتّجاهلِ بين يديه؛ وهذا من آداب المجالس، ومن حقّ المُتكلم على جليسهِ، ولذا كرِه العلماءُ الأكلَ والشّربَ والكلامَ والنّوم عند المحدِّثِ والخطيبِ والمتكلمِ حتى يفرغوا من كلامهم.

و قد ثبت في الشَّمائل المحمَّدية في أخلاق سيّدنا رسول اللّه ﷺ أنّه كان: (لا يتكلمُ إلا فيما يرجو ثوابَه، وإذا تكلّم أطرقَ جلساؤه كأنّما على رءوسهمُ

[١] رواه مسلم

[٢] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مَرْفُوعاً وموقوفاً

الطّير، وإذا سكتَ تكلّموا، ولا يتنازعون عنده الحديثَ، من تكلّم عنده أنصتوا له حتى يفرُغ، حديثُهم عنده حديثُ أولهم، يضحكُ ممّا يضحكونَ منه، ويتعجبُ مما يتعجبونَ منه، ويصبرُ للغريب على الجفوة (أي الجفاء والغلظة) في منطقه ومسألته، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجةٍ فأرشدوه، ولا يقبلُ الثّناء إلا من مُكافِئٍ، ولا يقطع على أحدٍ حديثَه حتى يجوز (أي يُجاوز الحقّ ويتعداه) فيقطعه بنهيٍ أو قيام)[١]، فمن تخلَّق بهذا الخلُق يحسُن مشهدُه وحضورُه، ويرغبُ أهلُ الحديث في مجالستهِ والتّحدثِ إليه.

وقال الخطيبُ البغداديّ في كتابه « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»: وبسنده إلى معاذ بن سعيد، قال: كنّا عند عطاء بن أبي رباح ﵀، فتحدّث رجل بحديثٍ فاعترض له آخرُ في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله ما هذه الأخلاق؟ ما هذه الأحلام؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه، فأُريهم من نفسي أنّي لا أُحسن منه شيئًا، وفي رواية عنه: إنّ الرّجل ليحدثني بالحديث فأُنصتُ له كأنْ لم أسمعْه قطّ؛ وقد سمعته قبل أن يُولد. وفي أمثالهِ قال الشاعر:

– وتَراه يُصغي للحديث بسمْعِه وبقلبِـه ولعلَّـه أدرى بـِهِ

فهذا الذي يُحَبّ، و هذا الذي يَودّ الناس صحبته ومجالسته؛ لحسن أدبه وإصغائه، أدّبنا اللّه بآداب نبيّه ﷺ وعبادِه الصّالحين، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٨٤ – [من خبُث عُنصرُه ساءَ منظرُه].

أقول: الظّاهر عُنوان الباطن، ومن أسرَّ سريرةً ألبسه الله رداءها، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢﴾[٢]، وفي الحكم العطائية: « ما استُودِع في غيب السّرائر؛ برز في شهادة الظواهر»، والأمرُ ليس على عمومه؛ بل ربّما يكون

[١] رواه الترمذي في الشمائل

[٢] سورة البقرة، الآية (٧٢)

في بعض النّاس على خلاف ذلك، ويمكن حصرُ النّاس في أربعة:

الأول: إنسانٌ طيّب النّفس جميلُ المنظر والمظهر.

الثاني: إنسانٌ جميلُ الرّوح طيّبُ القلب، سيءُ المنظر والمظهر.

وأكثرُ الفقراء والبؤساء من هذا الصّنف، وهذا كالأوّل تستحب صحبتهما ومعاشرتهما، وفيهما قيل: «عاشرْ جميلاً تُصبْك عدوى جمالِه».

والثالث: إنسانٌ خبيثُ النّفس، جميلُ المنظر والمظهر، وفيه قيل:

جمالُ الوجه معْ قُبح النفوسِ كقنديلٍ على قبر المجوسي

والرابع: إنسانٌ خبيثُ النّفس، سيءُ المنظر والمظهر، وهو المراد بكلام الشيخ رحمه الله تعالى.

ويُكتشف عُنصر كلّ صنف من خلال المعاملة والإحسان، فمَن أحسن لمن أحسن إليه ولمن أساء، فهو الحسن طيّب النفس، سواءٌ وافق ظاهرُه أو خالف، ومن كفر الإحسان وأساء لمن أحسن إليه، وسعى في الشر والأذى لأقاربه وإخوانه ولمن حوله، فهو خبيثُ النّفس، سواءٌ وافقتْ صورتُه الظاهرة أو خالفت، فلا ينبغي إطلاق الحُكم على أحدٍ من خلال ظاهره، والحُكم للمعاملة، والإحسان والإساءة، والخير والشر.

اللهمّ اجعلْنا ممّن أحسنتَ خَلْقَهم وخُلُقَهم، وظاهرَهم وباطنَهم، واجعلْ سريرتَنا خيراً من علانيّتنا، واجعل علانيّتنا صالحةً وصورتنا حسنةً، اللهمّ آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٨٥ - [مَنِ احتاج إلى الدّنيا صحِب الأدنياء، ومَنِ احتاج إلى الآخرة صحِب الأتقياء].

أقول: سمِّيت الحياة الدُّنيا بذلك لأنها مشتقة من الدّنو وهو القُرب، ويعني

قُرب زوالها، أو من الدَّناءة وهي الخِسّة، ويشهد لاشتقاقها من الدنوِّ بمعنى القرب قول الله تعالى:﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾[١]، يعني السماء القريبة، وحمل على هذا المعنى أيضاً قول الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾[٢].

وقد ذكر هذا المعنى الأئمة القرطبي، والغزالي، وابن منظور رحمهم الله تعالى، ويشهد لاشتقاقها من الخِسّة قول الله تعالى في اليهود الذين استبدلوا ما كان ينزل عليهم من المنّ والسّلوى بالبقول: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾[٣]، وقد ذكر هذا المعنى العلامة المُناوي رحمه الله في فيض القدير. وقيل لسيدنا علي رضي الله عنه: « لمَ سميت الدنيا دنيا؟ فقال: لأن الدّنيا دنيّة خُلقت من دون الآخرة، ولو خلقت مع الآخرة لم يفنَ أهلها كما لا يفنى أهل الآخرة، قال السائل: فأخبرني لمَ سميت الآخرة آخرة؟ قال: لأنها متأخرة تجيء من بعد الدنيا، لا توصف سنينها، ولا تحصى أيامها، ولا يموت سكانها».

وقال رضي الله عنه: « أَلا إِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَالآخِرَةَ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُما بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسَابٌ، وَغَداً حِسَابٌ وَلا عَمَلٌ»، وكان رضي الله عنه يقوم – وقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ – فِي مِحْرَابِهِ قَابِضاً عَلَى لِحْيَتِهِ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ؛ أي: اللديغ، ويَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ، ويَقُولُ: يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّفْتِ، لَا حَانَ حِينُكِ، هَيْهَاتِ غُرِّي غَيْرِي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا، فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وأَمَلُكِ حَقِيرٌ، آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وطُولِ الطَّرِيقِ،

---

[١] سورة الصافات، الآية (٦)

[٢] سورة الأعراف، الآية (١٦٩)

[٣] سورة البقرة، الآية (٦١)

وبُعْدِ السَّفَرِ، وعَظِيمِ الْمَوْرِدِ.

وقد وصف الله تعالى الدّنيا وحال أبناءها فيها بقوله سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[١]، وقال سبحانه في بيان زُهد أبناء الآخرة بزينة الحياة الدنيا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾[٢].

وكان كبار الصحابة ﷺ قد تركوا التّوسع في المباحات خشية أن يقال لهم يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[٣]، مع أنها في الكفار وليست في المؤمنين، ولكن حملهم على ذلك الخشية والورع.

عن ابن عمر ﷺ أن عمر ﷺ رأى في يد جابر بن عبد الله ﷺ درهمًا، فقال: ما هذا الدّرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لحمًا لأهلي؛ قَرِموا إليه، فقال: «أفكلما اشتهيتم شيئًا اشتريتموه ؟! أين تذهب عنكم هذه الآية ؟: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[٤]».

وعن سالم ابن عبد الله بن عمر ﷺ أن عمر ﷺ كان يقول: « والله ما نعيا بلذّات العيش أن نأمر بصِغار المِعْزى فتُسْمَط لنا؛ أي: تُنظّف لتُشَوى، ونأمر بلُباب الحِنطة فتخبز لنا، ونأمر بالزّبيب فينبذ لنا في الأسعان حتى إذا صار مثل عين اليعقوب أكلنا هذا وشربنا هذا، ولكنا نريد أن نستبقيَ طيباتنا لأنَّا سمعنا الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾»[٥] .

---

[١] سورة الحديد، الآية (٢٠)

[٢] سورة الأحزاب، الآية (٢٨)

[٣] سورة الأحقاف، الآية (٢٠)

[٤] رواه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم، والبيهقي ﷺ في «شعب الإيمان».

[٥] رواه أبو نُعيَم في «الحِلية»

والأسعان: القِرَب بكسر القاف، واليعقوب: الحَجَل.

وعن قتادة رحمه الله في قوله سبحانه: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ قال: « تعلمون أن أقواماً يسترطون حسناتهم في الدنيا، استبقى رجل طيباته إن استطاع، ولا قوة إلا بالله»[١]، قال: وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: « لو شئت لكنت أطيبَكم طعاماً، وألينكم لباساً، ولكني أستبقي طيباتي»، وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمّا قدم الشام صنع له طعام لم يُر قبلَه مثلُه قال: هذا لنا؟! فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: « لهم الجنة»، فاغرورقت عينا عمر رضي الله عنه وقال: « لئن كان حظنا هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بَونا بعيداً».

وقد أخذ الصحابة هذا عن رسول الله ﷺ وأهل بيته رضي الله عنهم: فعن ثوبان رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة رضي الله عنها، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة رضي الله عنها، فقدم من غزاة له فأتاها، فإذا بمِسْح على بابها، ورأى على الحسن والحسين رضي الله عنهما قُلبين من فضة، فرجع ولم يدخل عليها، فلما رأت ذلك فاطمة رضي الله عنها ظنَّت أنه لم يدخل من أجل ما رأى، فهتكت السّتر ونزعت القُلبين من الصَبِيَّين فقطعتهما، فبكى الصّبيان فقسمته بينهما، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ وهما يبكيان فأخذه رسول الله ﷺ منهما فقال: **(يا ثوبان اذهب بهذا إلى بني فلان - أهل بيت بالمدينة - واشتر لفاطمة قِلادة من عَصْب وسِوارين من عاج فإن هؤلاء أهل بيتي، ولا أُحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا)**[٢]، فتبيَّن بهذا أن أبناء الآخرة الذين يُصْحَبون؛ هم الزّهاد الأتقياء؛ الذين زهدوا في الحرام فاجتنبوه، وفي المتشابه فتورعوا عنه، وفي المباح فلم يتوسعوا فيه؛ بل وسّعوا به على أرحامهم والفقراء والمساكين، وتبيَّن أن أبناء الدنيا الذين لا يُصْحَبون هم

---

[١] رواه عبد بن حُميد، وابن جرير الطبري رحمهما الله.

[٢] رواه أحمد، والبيهقي في الشُّعَب

أهل المكاثرة والمفاخرة؛ الذين يأكلون الحرام والمشبوه، ويتشبهون بالكافرين في الإسراف والتبذير، وأولئك هم أهل الخِسّة والدّناءة، غيرُ الأتقياء، نسأل الله السَّلامة من الدنيا وأهلها، ونسأله سبحانه أن يجعلنا من أبناء الآخرة ومع أهلها بفضله، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٨٦ - [مَن اعترفَ بالجَريرة؛ فقد استُحِقَّتْ عليه العُقوبة].

أقول: قال ابن منظور ﷺ في اللسان: « الجَريرة: الذّنْبُ والجِناية يَجنيها الرّجل على نفسه أو غيره، ا. هـ.

فإن كانت الجناية بالتعدِّي لحدٍّ من حدود اللّه وبلغت وليَّ الأمر واعترف الجاني بها وجب إقامة الحدّ، وإن لم تبلغ وليّ الأمر، ولم يتعلّق بها حقٌّ شرعيٌّ أو حقٌّ لمخلوق؛ يلزمه حينئذٍ التّستّر و التّوبة والاستغفار والصّدقة، وإن تعلّق به حقٌّ شرعيٌّ يلزمه من شروط التّوبة قضاؤه كالصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ، وإن تعلّق به حقٌّ لمخلوقٍ بالاعتداء عليه في نفسٍ أو مالٍ أو عِرْض تعيّن عليه أداؤه حتى تبرأ ذِمّتُه أو استحلالُه منه؛ فإن سامحه مُحِي الإثم عنه، وإن لم يعترف بالجَريرة تعديًا أو اعتداءً ولم يتُبْ؛ بقي آثما حتى يلقى اللّه تعالى فإن شاء سامحه وغفر له إن كان من حقوق الله تعالى المجرّدة عن حقوقِ الشّرع أو معها، و المجرّدة عن حقوقِ العِباد؛ أو يُعاقبه ويُعذبّه فأمرُه مفوّضٌ لربّه، وإن كانت من حقوق العِباد فبينه وبين أصحاب الحقوق القِصاص؛ فتُؤدّى الحقوقُ من حسناته، فإن لم تُستَوفَ أُخذ من سيئاتهم فطُرحتْ عليه ثم يُطرَح في النّار؛ كما جاء به الحديث عن رسول الله ﷺ في بيان المفلس؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(أتَدرونَ ما المُفلِسُ؟ إنَّ المُفلسَ مِن أُمَّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي وقد شتَم هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا،

وضربَ هذا، فيُعْطَى هذا من حَسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإن فَنِيَتْ حَسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليهِ، أُخِذَ من خطاياهم، فطُرِحَتْ عليهِ، ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ)[١].

وتكون العقوبة على ذلك في القبرِ أو يومَ القيامة أو في النّار، والعِياذ باللّه نسأل اللّه السَّلامة من مُوجِبات النّدامة، في الدُّنيا، والقبر، وفي يوم القِيامة، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٨٧ - [مَنْ لم تُؤدّبْهُ الكرامةُ أدّبتْهُ المَلامة].

أقول: السَّالكون وطُلَّاب العِلم منهم من يُؤدّب بالإكرام والإحسان، ويفقه بالإشارة، ومنهم من يُؤدَّبُ بالمَلامة والعِتاب، ويفقهُ بالعِبارة، ومنهم من يُؤدَّبُ بالتقريع والعِقاب، ويُقرَع بالعصا؛ قال الشاعر وسار في الناس مَثلاً:

العبــدُ يُقرَع بالعصــا والحُرُّ تكفيهِ الإشارة

ومن أسلوب الحكيم: ألاّ يستعملَ يدَه في الموضع الذي يكفي فيه لسانُه، وألاّ يستعملَ العصا في الموضع الذي تكفي فيه يدُه.

وكان لسيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه دِرَّة يُؤدّب بها؛ قال الإمام الشعبي رحمه الله: « كانت دِرّة عمر رضي الله عنه أهيبَ من سيف الحجاج».فينبغي لأهل التّربية أن يَجمعوا أساليبها كلٌّ في موضعِه ومحلِّه في زمنٍ جُعل فيه بعضُ العبيدِ سادة، وبعضُ السّادة عبيداً، ورحم الله الإمام الشَّافعي القائل:

تموتُ الأُسْد في الغاباتِ جُوعـًا وَلَحمُ الضَأنِ تَأكُـلُهُ الكِــلابُ

وَعَبــدٌ قَـد يَنــامُ عَلى حَريــرٍ وَذو نَسَــبٍ مَفارِشُــهُ التُـرابُ

وينبغي ألا يُضيّعوا أوقاتَهم في صحبة من لا يُريد التّأدب والتّعلم؛ فإنّه لا

---

[١] رواه مسلم

خيرَ في صحبةٍ تُبنى على المُداراة ولا دوامَ لها.

قال الإمام الشَّافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إِذَا الْـمَـرْءُ لَا يَـرْعَـاكَ إِلَّا تَـكَـلُّـفَـا ... فَـدَعْـهُ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ التَّأَسُّـفَـا

فَفِي النَّاسِ أَبْـدَالٌ وَفِي التَّرْكِ رَاحَـةٌ ... وَفِـي الْقَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَوْ جَفَـا

فَمَا كُلُّ مَنْ تَهْـوَاهُ يَهْـوَاكَ قَلْبُـهُ ... وَلَا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَـهُ لَكَ قَدْ صَفَـا

إِذَا لَـمْ يَكُنْ صَفْوُ الْـوِدَادِ طَبِيعَـةً ... فَـلَا خَـيْرَ فِي وُدٍّ يَجِيءُ تَكَلُّفَـا

وَلَا خَيْرَ فِي خِلٍّ يَخُـونُ خَلِيلَـهُ ... وَيَـلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الْمَوَدَّةِ بِالْجَفَـا

وَيُـنْكِرُ عَيْشـًا قَدْ تَقَادَمَ عَهْـدُهُ ... وَيُظْـهِرُ سِرّاً كَانَ بِالْأَمْسِ فِي خَفَا

سَـلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَـمْ يَكُنْ بِهَا ... صَـدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقُ الْوَعْدِ مُنْصِفَا

جعلنا الله وإيَّاكم من أهل الصفا والوفا بفضله آمين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٨٨ - [**مَنْ لمْ يُنصتْ لحديثِك؛ فارفعْ عنه مَؤونة الاستماعِ منك**].

أقول: جاء في شمائل رسول الله ﷺ أنَّه: «كان لا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بنهيٍ أو قيام»، فكان صلوات ربي وسلامه عليه يُنصت لمن يُحدِّثه، ويستمع إليه، حتى إذا جاوز المتحدِّث حديثه إلى شيء محرّم كالغِيبة؛ قطعه رسول الله ﷺ بنهيٍ أو قيام.

والإنصاتُ منه ما هو واجب: كالإنصات إلى القرآن الكريم، وإلى خطيب الجمعة، ومنه ما هو مُستَحَب: كالإنصات إلى كل خطيب ومتكلِّم، وعدم التلاهي عن الاستماع إليه، وهذا من آكد آداب المجالس.

وقد عُرِّف الإنصات الفعّال، أو النشيط، بأنه عملية تركيز الانتباه تركيزاً كاملاً على المتحدّث، وعلى محتوى رسالته دون مقاطعته، مع فهمٍ عميقٍ للمعنى الذي يُحاول المتحدّث إيصالَه، وفهمِ عواطفه ولغة جسده التي تُرافق الرسالة، وقال علماء الاجتماع: إن السامع يمكنه التركيز الكُلِّي، والتفاعل في أول خمس عشرة دقيقة؛ ثم يَقِلُّ أو يَعْقُبه شرود أو تشاغل، ولهذا كان قِصَر الخُطبة دليلاً على فقه الرجل، وكمال علمه، ورجحان عقله، وورد ذلك في حديث رسول الله ﷺ فقال:

(**إنَّ طولَ صلاةِ الرجلِ، و قِصَرَ خُطبتِه، مَئِنَّةٌ من فقهِه، فأَطيلوا الصلاةَ، وأَقصِروا الخُطبةَ، و إنَّ من البيانِ لَسحراً**)[١] رواه سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

وقد أوصى علماء الاجتماع من يحضر مجلسا يتكلم فيه متكلِّم بوصايا وهي التي تسمى: وصايا الإنصات الجيِّد: توقف عن الكلام، وانظر إلى وجه محدّثك، اجعل المتحدِّث يشعر بالارتياح، اجعل المتحدِّث يشعر بأنك مصغٍ إليه، واظهَر بمظهر المُهْتَم بعمق لما يقوله، تخلَّص مما يُشَتِّت الانتباه كالانشغال بذكر أو تسبيح بالمِسْبَحة، أو الانشغال بحديث جانبي مع أحد الحاضرين، أو الانشغال بالهاتف الجوال، ونحو ذلك، تعاطف مع المتحدِّث، ولاحظ الميل الذي يتملكك تجاه المتحدث الممتع، ونفورك من صاحب الحديث المُمِل، كن صبوراً، حافظ على مزاجك وتجاوبك مع المتحدِّث وساعده، لا تتوقف عند النقاط التي تتعلق بالجدل أو الانتقاد، ولا تقاطعه أثناء الحديث، اسأل بعض الأسئلة المفيدة في نهاية الحديث، ولا تنحرف عن موضوع الحديث، واستخدم كلمات المتحدِّث في وجهة نظرك التي تعمل على إيصالها إليه.

---

[١] رواه مسلم

والشيخ ﷺ في هذه الوصية يُرشد كلّ متكلم إذا لم يجد أُذُنـًا مُصغيةً وواعيةً، أن لا يُكمل حديثَه بل يقطعه ويُنهيه؛ حتى لا يكونَ ممّن يضع الحكمة في غير أهلها فيظلمَها، ورحم الله أحمد شوقي القائل: « ورُبّ مُستمعٍ والقلبُ في صممِ».

نسأل الله السَّلامة من مُوجبات النّدامة؛ في الدُّنيا والبرزخ ويوم القيامة، آمين.




الوصايا الشاذلية
ن

- حرف النون -

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٨٩ - [نِعَمُ اللّه تعالى أكثرُ مِنْ أن يُشكَرَ عليها إلا ما أعانَ اللّه عليه، وذنوبُ بني آدم أكثرُ مِن أنْ تُغفرَ إلا ما عفا اللّه تعالى عنه].

أقول: أكثر نعم الله تعالى لا يقابلها الخلقُ بالشكر، فنعمُه تعالى لا تُحصى، والخلقُ عاجزون عن أداء شُكرها، فلو طُلب من كل إنسانٍ أن يُحصيَ نِعمَ اللّه تعالى، وأن يُقابل كلَّ نعمةٍ بالشُّكر الخاصِّ بها لظهر عجزُه، بل الشُّكرُ على النّعمة نعمةٌ تستوجب الشكر، ولذا قال العارف محمود الوراق ﷺ:

إذا كانَ شُكري نِعمَةَ اللّهِ نِعمَــةً ... عَلَيَّ لَهُ في مِثلِها يَجِبُ الشُكرُ
فَكَيفَ بلوغُ الشُّكرِ إلّا بِفَضلِــهِ ... وَإِن طالَتِ الأَيّامُ وَاتَّصَلَ العُمرُ
إِذا مَسَّ بِالسَــرّاءِ عَمَّ سُــرورُها ... وَإِن مَسَّ بِالضَرّاءِ أَعقَبَها الأَجرُ
وَما مِـنهُمــا إِلا لَــهُ فيهِ نِعمَــةٌ ... تَضيقُ بِها الأَوهامُ وَالبرُّ وَالبَحرُ

ولهذا قال رسول الله ﷺ:

(لاأُحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك)[١].

والشُّكر لغةً: هو فعلٌ يُنبئ عن تعظيمِ المُنعمِ بسبب كونه منعمًا على الشّاكر أو غيرِه، وهو قولٌ باللسان وعملٌ بالأركان واعتقادٌ بالجَنان.

والشُّكر اصطلاحًا هو: صَرفُ العبدِ جميعَ ما أنعمَ اللّهُ به عليه فيما خُلِقَ لأجلِه، وعرَّفه الإمام الجُنيد ﷺ: « بأن لا يُعصى اللّه بنِعمِه »، ومعنى ذلك: ألاّ يُسَخّرَ نعمةَ اللّه وإمدادَه في معاصي اللّه تبارك وتعالى، ولهذا أكثرُ الخلق لا يَشكرون الله على نعمه لأنهم يعصونه فيها، والقليلُ منهم من يكون شاكراً لأنعم

[١] رواه مسلم، وأصحاب السنن.

الله تعالى، والأقلُّ منه الشَّكور؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[١].

قال بعض العارفين: الشَّاكر هو الذي يَشكر مرّةً، والشَّكور هو الذي يتكرّر منه الشُّكر، وقيل: الشّاكر مَن يَشكُر على الرّخاء، والشَّكور مَن يَشكُر على البلاء، وقيل: الشّاكر من يشكُر على العطاء، و الشّكور من يشكُر على المنع، وهذا الشُّكر لا يقعُ من العبدِ إلا بعون اللّه تعالى وتوفيقِه لمن أحبهم من عباده، وفي الحكم العطائية: «من فضله عليك أنْ خلَق ونسبَ إليك ».

ثم ذكر الشيخ: أنَّ الخلق يُذنبون ولا يقابلون كلّ ذنبٍ باستغفارٍ وتوبةٍ؛ بل فيهم مَن يُصِرُّ على الذّنب، وفيهم مَن يَستحلّه؛ فإن كان شركًا أو كبيرةً محرّمة فلا نصيبَ له في المغفرة، وأما ذنوب المؤمنين فهي التي تُغفر فضلاً من الله تعالى لأنها أكثرُ من استغفارِهم وتوبتهم؛ بل هم لكثرةِ ذنوبهم مُستَحِقُّون للعقوبة والعذاب، ومع استحقاقهم لذلك يَحلُم اللّه ويعفو عنهم، ويغفرُ لهم تكرمًا وفضلاً،قال اللّه تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾[٢]؛ وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[٣]، فإن لم يتداركِ اللّهُ تعالى عبدَه بعفوِه لكان من الهالكين، نسألُ اللّه السَّلامة والعافية في الدنيا والآخرة، فليكثر أحدُنا من الاستغفار بالصّيَغِ الواردةِ في الأحاديثِ وعن السّلف ومنها هذه الصّيغة: أستغفرُ اللّه العظيمَ الذي لاإله إلا هو الحيُّ القيّومُ وأتوب إليه، ففي الحديث عن رسول اللّه ﷺ قال: (**من قال: أستغفر اللّهَ الذي لا إله إلا هو الحيّ القيّوم وأتوبُ إليه، غُفر له وإن كان فرّ من الزّحْف**)[٤]، ولْيُكثرْ من سيّد الاستغفار الذي رواه شَدَّادُ بْنُ

[١] سورة سبأ، (الآية (١٣)

[٢] سورة الكهف، الآية (٥٨)

[٣] سورة الشورى، الآية (٣٠)

[٤] رواه الترمذي وصححه

أَوْسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: (**سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، اغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ** » قَالَ: **وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهْوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**)[١].

ومن المأثور ونسبَه بعضُهم إلى سيّدنا الخضِر عليه السّلام: اللهمّ إنّي أستغفرُك من كلِّ ذنبٍ تُبتُ إليكَ منه ثمّ عُدتُ إليه، وأستغفرُك من كلّ ماوعدتُكَ به من نَفسي ثمّ لمْ أُوفِ لكَ به، وأستغفرُك من كلّ نعمةٍ أنعمتَ بها عليَّ فاستعنتُ بها على معصيتِك، وأستغفرُك من كلّ عملٍ أردتُ به وجهَك الكريمَ فخالطني فيه غيرُك، وأستغفرُك يا عالمَ الغيبِ والشّهادة ياذا الجَلال والإكرام من كلّ ذنبٍ أذنبتُه فى ضياء النّهار أو سواد اللّيل في ملأٍ أو خَلاءٍ سرّاً و علانيةً يا حليم، ولْيكثرْ من الصّدقة فإنها (**تُطفِئُ الخطيئةَ كما يُطفِئُ الماءُ النّار**)[٢] قاله سيّدُنا رسولُ الله ﷺ.

اللهمّ اغفرْ لنا ذنوبنا وإسرافَنا في أمرنا، اللهمّ إنّك عفوٌّ تُحِبُّ العفوَ فاعفُ عنّا، واجعلنا من عبادِك الشّاكرين، اللهمّ آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٩٠ - [نِعمَ الزَّينُ حُسْنُ الخُلُق].

أقول: الزّين ضد الشَّين، ويُطلق الزّين على كل شيء حسن، كما يطلق الشّين على كل شيء قبيح، وفي الحديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النّبيَّ ﷺ

[١] رواه البخاري

[٢] رواه الترمذي، والنَّسائي، وابن ماجه

قَالَ: (**إِنَّ الرِّفقَ لا يَكُونُ في شيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ**)[١]. وقيل مثل ذلك في الحِلْم، والتّواضع، والكلامِ الطّيّب، والحياءِ، وحُسْنِ المنطق مُعْرَبًا بلا لحنٍ فيه، فهذا كله من الزّين، وهو كلُّه داخلٌ في حُسن الخُلُق كما قال الشيخ رحمه الله، قال العلامة ابن منظور رحمه الله في لسان العرب:

الخُلُق بضم اللام وسكونها، وهو: الدِّينُ والطّبع والسّجية، وحقيقتُه أنّه لصورة الإنسان الباطنة وهي: نفسه وأوصافها ومعانيها المختصةُ بها؛ بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثوابُ والعقابُ يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكرّرت الأحاديث في مدح حُسن الخلُق كقوله ﷺ: (**أكثرُ ما يُدخلُ النّاس الجنّة؛ تقوى اللّه، وحُسنُ الخلُق**)[٢]، وقوله ﷺ: (**أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا**)[٣]، وقوله ﷺ: (**ليس شيءٌ أثقلَ في مِيزانِ المؤمن يوم القيامة مِنْ خُلُق حَسن، وإنّه ليُدرِكُ به صاحبُه درجةَ الصّائم القائم**)[٤]. كما جاء في الحديث الصحيح مرفوعًا إلى رسول اللّه ﷺ، وبيّنه بعضُ أهل العلم بقوله: بشاشةُ الوجه عند اللقاء، وطِيبُ الكلام، وكفُّ الأذى، وبذلُ النّدى، وقال آخرون: معناه ما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: (**أن تصِلَ مَنْ قطعك، وتُعطيَ مَن حرَمك، وتعفوَ عمّن ظلَمك، وتُحسنَ إلى مَن**

---

[١] رواه مسلم

[٢] رواه الترمذي، وابن ماجه

[٣] رواه أبو داود، والترمذي.

[٤] رواه أبو داود، وأحمد مختصراً، والترمذي بنحوه

أساءَ إليك)[١]، وسمّاه بعضهم البِرّ لما في الحديث: (**البِرُّ حُسْنُ الخُلُق**)[٢].

وفي معناه قول الشاعر:

أُخَيَّ إنّ البرّ شيءٌ هيّنُ وجهٌ طليقٌ ولسانٌ ليّنُ

وقيل: حُسْنُ الأخلاق يُدِرُّ الأرزاق، اللهمّ حسِّن أخلاقَنا، وباركْ لنا فيما رزقتَنا، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٩١ -[نِعمَ الملبوسُ العافية].

أقول: جاء في الحديث: عن رِفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: قامَ أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه على المنبرِ ثمَّ بَكى، فقالَ: قامَ رسولُ اللهِ ﷺ عامَ الأوَّلِ على المنبرِ ثمَّ بَكى؛ فقالَ: (**سلوا اللهَ العفوَ والعافيةَ فإنَّ أحداً لم يُعطَ بعدَ اليقينِ خيراً منَ العافية**)[٣].

قال شُرّاح الحديث: العفوَ، أي: مَحْوَ الذُّنوبِ وسَتْرَ العيوبِ، **(والعافيةَ)**، أي: السَّلامةَ في الدِّينِ مِن الفِتن والبدع والمعاصي، وفي البَدنِ مِن الأمراض، أو السَّلامةَ في الدُّنيا مِن النَّاسِ وشُرورِهم، وأن يُعافِيَك اللهُ مِنهم ويُعافِيَهم منك؛ **(فإنَّ أحَداً لم يُعطَ بعدَ اليَقينِ)**، أي: الإيمانِ والبصيرةِ في الدِّينِ **(خيراً مِن العافيةِ)**، أي: أفضلَ من أن يُعْطى معه العافيةَ؛ وهذا في أعلى المنازل، ويترتب عليه العافية بعد الموت من عذاب القبر، والعافية يوم القيامة من أهوال يوم القيامة، ويليه المعافى في دينه، المبتلى في بدنه أو أهله أو ماله، فإن صبر واحتسب كتب له محو السيئات ورفع الدرجات، ويليه المبتلى في دينه، المعافى في دنياه، كأكثر أهل الكفر والردة

---

[١] رواه أبو داود

[٢] رواه مسلم

[٣] رواه الترمذي

وأهل البدع والمعاصي، وهذا أمره إلى ربه إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه؛ ما لم يكن مشركًا أو مرتداً بقول أو فعل أو اعتقاد فلا نصيب له في المغفرة، ويليه المبتلى بدينه بالكفر أو الردة، المبتلى بدنياه بالفقر والأمراض مع سخطه على الله، وعدم رضاه، والعِياذ بالله، وهذا جُمِع عليه شقاوةُ الدنيا والآخرة، نسأل الله السَّلامة من موجبات الندامة في الدنيا والآخرة، ونسأله العافية ودوامها، ونعوذ به من المعاصي وأسبابها، اللهمّ آمين ياربّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٩٢ -[نِعمَ العبدُ مَنْ خالفَ هواه، وأقبلَ على طاعةِ مولاه].

أقول: مخالفةُ الهوى المذمومِ شرطٌ من شروط دخول الجنة، وعلامةٌ على كمال الإيمان وتمكُّنه من قلب العبد؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[١]، وقال رسول الله ﷺ: **(لا يُؤمن أحدُكم حتى يكونَ هواهُ تبعًا لِما جِئتُ به)**.

فلا بدّ من اقترانِ مخالفةِ الهوى مع طاعةِ المولى سبحانه؛ لأنّ النّفس الأَمّارة بالسُّوء تُحبُّ التّفلت من امتثال أوامرِ اللّه تعالى، وتُحِبّ ارتكاب ما نهى اللّه تعالى عنه، فمَن أطاع مولاه فقد خالف هواه، ومن أطاع هواه فقد عصى مولاه، وهو من علامات الضّلال والهلاك؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[٢]، وقال رسول الله ﷺ: **(ثلاث مهلكات: شُحٌّ مُطاع، وهوىً مُتّبع، وإعجابُ المرء بنفسه)**[٣].

---

[١] سورة النازعات، الآيات (٤٠ - ٤١)

[٢] سورة ص الآية (٢٦)

[٣] رواه أحمد، والطبراني، والبزار.

وجاء عن سيدنا عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « إنّما أخاف عليكم اثنتين: اتَّباعَ الهوى، وطُولَ الأمل، أمّا اتّباعُ الهوى فإنّه يصُّد عن الحقّ، وأما طولُ الأمل فإنه يُنسي الآخرة»، وفي الحكم العطائية: « لا يُخاف عليك أن تلتبسَ الطُّرقُ عليك، ولكن يُخاف عليك مِن غَلَبة الهوى عليك».

نسألُ اللّه السّلامة مِن مُوجبات النّدامة في الدّنيا، وفي يوم القيامة بكرمه وفضله، آمين.



الوصايا الشاذلية

هـ

- حرف الهاء-

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٩٣ - [هُدَى اللّه نورٌ في القلبِ، يُفَرّقُ به العاقلُ بين الحقِّ والباطل].

أقول: الخلفاءُ الرّاشدون والعلماءُ الرّبانيون وُرّاثُ النّبيين عليهم الصلاة والسلام، وأتباعُهم من المؤمنين؛ آتاهمُ اللّه تعالى نورَ الفُرقان الذي يُفرّقون به بين الحقّ والباطل فيما هو مرأيٌّ ومسموعٌ ومقروء، وهو ثمرةُ تقوى اللّه حَقّ تُقاته ظاهراً بتقوى الجوارح، وباطناً بتقوى القلب؛ قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾[١]، فالكتبُ التي ألّفوها في العلومِ والسُّلوك، والأورادُ التي قالوها؛ كلُّها ممتزجةٌ بنور الفُرقان الذي آتاهم اللّه إيّاه، فمن فاته نورُ الفُرقان استقلالاً لعدم بلوغه مراتب حقيقة التقوى؛ فليقتبسْ من نور الفرقان الذي آتاهم الله إياه؛ بقراءة أورادهم وكتبهم، رضي الله عنهم ونفعنا بهم، وقد بيَّن اللّه لنا هدايةَ المؤمنين إلى الحقّ بقوله سبحانه: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢١٣﴾[٢].

وفي سنن الدَّارمي رحمه الله: وبإسناده إلى أبي سلمة الحمصي رحمه الله أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن الأمر يحدُث ليس في كتابٍ ولا سُنّة؛ قال: (**يَنظرُ فيه العابدونَ من المُؤمنين**)، وجاء في طبقات الحنابلة: قال المروذي رحمه الله: سمعت أبا عبدالله يعني الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول: عبد الوهّاب الورّاق رجلٌ صالحٌ، مثلُه يُوفّق لإصابةِ الحقّ، وهذا كان جواباً منه رحمه الله عندما سُئل: مَن نُجالس مِن بعدِك؟

---

[١] سورة الأنفال، الآية (٢٩)

[٢] سورة البقرة، الآية (٢١٣)

قال: عبد الوهّاب الورّاق؛ فقيل له: ليس عنده كثيرُ علم، فذكره، وهذا يعني أنّ الصّالحين من العلماءِ والعارفين والأولياء يُوفّقون لإصابةِ الحقّ لأنهم مُلهَمون مُحدّثون ﷺ ونفعنا بهم.

اللهمّ اهدِنا فيمن هديت، واهدِنا لما اخُتلف فيه من الحقّ بإذنك، واحفظنا من أن يلتبس علينا الحق بالباطل فنضلّ عن سواء السّبيل، ووفقنا لاتّباع أهلِ الحقّ، والاقتباسِ من نورهم، وأن نقتديَ بهُداهم بفضلك يا ربّ العالمين، اللهمّ وأرِنا الحقّ حقّاً وارزقْنا اتّباعه، وحبّبنا فيه وفي أهله، واجعلنا من أنصارِه وأنصارهم، وأرِنا الباطلَ باطلاً وبغّضنا فيه وفي أهله، اللهمّ واقذفْ بنا على الباطل بأنواعِه في جميع بِقاعه فنَدْمَغَه بالحقّ على الوجه الأحقِّ يا لطيفُ يا واسعُ يا عليم اللهمّ آمين يارب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٩٤ - [هَريقوا دُموعَكم مِن خَشية اللّه تنجُوا من عذاب النّار].

أقول: البكاءُ من خشية اللّه تعالى وصفُ عباد اللّه الصّالحين، وسنّة من سُنن سيّد الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتمّ التّسليم؛ قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾[١]، وَقَالَ سبحانه: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾[٢]، وَقَالَ الله تعالى في علماء أهل الكتاب: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[٣] فكيف هو حال علماء الإسلام وحال المسلمين عند قراءة القرآن وسماعه؟، وقد ثبت بكاؤه ﷺ

---

[١] سورة مريم، الآية (٥٨)

[٢] سورة الإسراء، الآية (١٠٩)

[٣] سورة المائدة، الآية (٨٣)

في الصّلاة، وعند سماع القرآن الكريم؛ فعن مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخّير عن أبيه ﷺ قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ يُصلِّي وفي صدره أزيزٌ كأزيز المِرجَل من البكاء»[١]؛ الأزيزُ: صوتُ القِدْر عند غليانها، المِرجَل: القِدْر الذي يُطبَخ فيه.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: « **قالَ لي النبيُّ ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قالَ: (نَعَمْ) فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّساءِ حتَّى أَتَيْتُ إلى هذِه الآيَةِ:** ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[٢]، **قالَ: (حَسْبُكَ الآن) فالْتَفَتُّ إلَيْهِ، فإذا عَيْناهُ تَذْرِفانِ**»[٣]، وثبت مثل ذلك عن الخلفاء الراشدين و بقية الصحابة الكرام ﷺ والشواهد كثيرة منها: ما جاء من حديث عائشة ﷺ قالت: «وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ»[٤].

قال العلامة الباقِلَّاني ﷺ في «الانتصار للقرآن»: ولما قدم أهل اليمن أيامَ أبي بكر الصّديق ﷺ سمعوا القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر ﷺ: «هكذا كنا ثم قست القلوب »[٥]، ثم قال الباقِلَّاني: « يعني بذلك: أن قلوبَ كثيرٍ من أهل ذلك العصر قست دونه، ودُون الأئمة ومن جرى مجراهم من جِلَّة الصحابة ﷺ، وقد يُمكن أن يكون قال ذلك على وجه العِظة وطلب الزّيادة والخشوع». أقول: أو على سبيل التواضع وهضم النفس؛ فهو ﷺ أتقى هذه الأمة وألينها قلبًا، وقد وصف رسول الله ﷺ أهل اليمن برقّة القلب، فقال: (**أتاكم أهلُ اليمن،**

---

[١] أخرجه الخمسة إلا ابن ماجه، وصحَّحه ابن حبان، وأخرجه أيضًا ابن خزيمة، والحاكم، وصحَّحاه.

[٢] سورة النساء، الآية (٤١)

[٣] رواه الشَّيخان.

[٤] رواه البخاري

[٥] حديث مرسل رواه الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى في الحِلية، وغيره

هم أرقُّ أفئدةً وألينُ قلوبـًا)[١].

ومنها: « أن عمر رضي الله عنه صلى صلاة الصّبح وقرأ سورة يوسف عليه الصلاة والسلام حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٢]، فسُمع نَشِيجه»[٣]، والنّشِيج هو: أن يَغَصّ بالبكاء في حلْقه.

وهذه الحكمةُ مأخوذةٌ من أحاديث رسول الله ﷺ: فعن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(عينانِ لا تمَسُّهما النّار: عينٌ بكت من خشية اللّه، وعينٌ باتت تحرُس في سبيل اللّه)**، وفي رواية أنس بن مالك رضي الله عنه: **(عينانِ لا تمسُّهما النّار أبدا: عينٌ باتت تكلَأ المسلمين في سبيل اللّه، وعينٌ بكتْ من خشية اللّه)**[٤]، وذكر رسول الله ﷺ في حديث السبعة الذين يُظلهم الله تحت ظِلّ عرشه قوله: **(ورجلٌ ذكرَ اللّه خاليـًا ففاضتْ عيناه)**[٥].

فعلامة رِقّة القلب دموعُ العين، وعلامةُ قسوته جمودُ العين، وفي صيغ الاستعاذة: (**ونعوذُ باللّه من قلبٍ لايخشع**) وأُدرج فيها: ومن عينٍ لا تدمع، اللهمّ آمين ياربّ العالمين.



[١] رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.
[٢] سورة يوسف، الآية (٨٦)
[٣] رواه البخاري
[٤] رواه أبو يعلى.
[٥] رواه الشَّيخان

الوصايا الشاذلية

و

-حرف الواو-

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٩٥ - [ويلٌ لِمَن نَسِيَ آخرتَه بدُنياه].

أقول: قال ابن منظور ﷺ في لسان العرَب: ويل: كلمةُ عذاب، وحلولُ الشّرّ، والفضيحةُ، و البليّةُ، وقال سِيبويه ﷺ: ويلٌ له وويلاً له أي قبحًا، وويلٌ وادٍ في جهنّم، وقيل: بابٌ من أبوابها، فمعنى الحكمة: أنّ من باع آخرته من أجل دُنياه، أو من أجل دنيا غيره؛ فله الويلُ، أي: الهلاكُ والعذاب، واستعمل الشّيخ كلمةَ نَسِي؛ وهي تأتي بمعنى ترك وضيّع، قال في اللسان: قولُه عزّ وجلّ: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾[١]، قال ثعلب ﷺ: لا يَنْسى اللّه عزّ وجلّ؛ إنَّما معناه: تركوا اللّه فتركهم؛ فلما كان النّسيان ضربًا من التَّرك وضعه موضعه، وفي التهذيب: أي: تركوا أمر اللّه فتركهم من رحمته، وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾[٢]، أي: تركتها فكذلك تُترك في النّار، فهذا تركَ آخرتَه وباعها من أجل دُنياه، فكان له الويل، وقوله - بدنياه - الباءُ غالبًا تدخل على الأعواض، فهو استعاض بالدُّنيا عن الآخرة، ومثلُه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾[٤]، قال العلامة القرطبي ﷺ: اشترَوُا: من الشّراء، وهو هنا مستعار، ومعناه: استبدلوا واختاروا الحياة الدنيا على الآخرة، والكفر على الإيمان، وإنما

---

[١] سورة التوبة، الآية (٦٧)

[٢] سورة طه، الآية (١٢٦)

[٣] سورة البقرة، الآية (٨٦)

[٤] سورة البقرة، الآية (١٦)

أخرجه بلفظ الشّراء توسعاً لأنّ الشّراء والتجارة راجعان إلى الاستبدال، والعرب تستعمل ذلك في كلِّ مَن استبدل شيئاً بشيء، أقول: ومثلُه قولُه تعالى فيمَن تخلّف عن الجهاد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾[١]، قال العلامة القرطبي رحمه الله: قوله: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: بدلاً، والتقدير: أرضيتم بنعيم الدّنيا بدلاً من نعيم الآخرة، فَمِن تتضمن معنى البدل؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ٦٠﴾[٢]، أي: بدلاً منكم، عاتبهم اللّه تعالى على إيثار الراحة في الدّنيا على الراحة في الآخرة؛ إذ لا تُنال راحةُ الآخرة إلا بنَصَبِ الدّنيا، أقول: وعن يحيى بن أبي كثير رحمه الله؛ قال: « لا يُستطاع العلمُ براحة الجسم»[٣]، وبهذا المعنى ما في ديوان الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أَخي لَن تَنالَ العِلمَ إِلّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنبيكَ عَن تَفصيلِها بِبَيانِ
ذَكاءٌ وَحِرصٌ وَاِجتِهادٌ وَبُلغَةٌ ... وَصُحبَةُ أُستاذٍ وَطولُ زَمانِ

وبمعنى الحكمة ما قاله البوصيري رحمه الله في بردته:

ومن يبعْ آجلاً منهُ بعاجلِهِ ... يبِنْ له الغَبْنُ في بيعٍ وفي سَلَمِ

قال العلاّمة ابن حجر الهيتمي رحمه الله في شرحه: قوله - بعاجلِهِ - أراد به الدُّنيا الفانية؛ بأن أخذَ العاجلَ وترك الآجل؛ لأنّ الباء في حيّز البيع تدخل على المأخوذ، يبِن؛ أي: يظهرْ له الغَبْن؛ أي: النّقص والخَسارة، أي: في دنياه وفي آخرته.
نسأل اللّه السَّلامة والعافية في الدُّنيا والآخرة.

---

[١] سورة التوبة، الآية (٣٨)
[٢] سورة الزخرف، الآية (٦٠)
[٣] رواه مسلم

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٩٦ - [ويْحَ مَنْ خالفَ مولاهُ واتَّبع هَواه].

أقول: جاء في اللّسان: ويْحَ كلمةُ ترحُّمٍ وتوجُّعٍ لِمَن تنزلُ به بَلِيّة، وقال الجوهري رحمه الله: ويْح: كلمةُ رحمة، وويل: كلمةُ عذاب، وقيل: هما بمعنىً واحد، وقال أبو زيد : الويل: هَلَكة، والويْح: قُبُوح، وقال سِيبويه رحمه الله: الويلُ يُقال لمن وقع في هلَكة، والويْحُ زجرٌ لِمَن أشرفَ على الهلَكة؛ فتبيّن أن ويْح في كلام الشيخ بمعنى الويل، وبمعنى الزّجر، وبمعنى التّقبيح للفعل، وليست للتّرحم إلاّ إذا أُريد مَن هو حيٌّ لم يمُتْ بعدُ؛ فإنّه يُرحَم بأنْ يُدعى له بالهِدايةِ والتّخلصِ ممّا ابْتُليَ به من اتّباعِ الهوى ومخالفةِ المولى، وأمّا مَن مات مصراً على ذلك ولم يتُبْ؛ فإن كان اتّباعُ هواهُ في كُفرٍ أو شِرْكٍ أو بِدعةٍ مُكَفّرةٍ فهذا لا يُترحّم عليه، ولا يُدعَى له بالمغفرة، وأمّا مَنْ اتّبع هواهُ في المعاصي والذُّنوبِ والبِدعِ غيرِ المُكَفّرةِ فهذا أمرُه مفوّضٌ لِرَبِّهِ إن شاءَ غفرَ لهُ، وإن شاء عذَّبه؛ ثم يُخْرَج من النّار ويُدخَلُ الجَنّة لأنّه من أهل التّوحيد، وهذا يُترحّم عليه ويُدعَى له بالمغفرة، وقد دلّتْ على ذلك نصوصٌ كثيرةٌ في الكِتاب والسُّنّة؛ ومنها قولُ اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾[١]، وقال اللّه تعالى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ

[١] سورة النساء، الآية (٤٨)

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[٢].

وفي كتُب السّنن: عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه، قال: كان اليهودُ يتعاطَسُون عند النّبيّ ﷺ يَرجُون أن يقولَ لهم يرحمُكمُ اللّه فيقول: (**يَهديكم اللّهُ ويُصلِحُ بالَكم**)[٣]، وعن السّيدة عائشةَ رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قُلْتُ لرسولِ اللّهِ ﷺ: إنَّ ابنَ جُدْعَانَ في الجاهليَّةِ كان يَقري الضَّيفَ ويُحسِنُ الجوارَ ويصِلُ الرَّحِمَ فهل ينفَعُه ذلك ؟ قال: (**لا، إنَّه لم يقُلْ يومًا قطُّ: اللَّهمَّ اغفِرْ لي خطيئتي يومَ الدِّينِ**)[٤]، قال شيخ الإسلام النّووي رحمه الله: معنى هذا الحديث: أنّ ما كان يفعله من الصّلة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه في الآخرة؛ لكونه كافراً، وهو معنى قوله ﷺ: (**لم يقلْ: ربّ اغفر لي خَطيئتي يوم الدِّين**) أي لم يكن مصدِّقًا بالبعث، ومن لم يصدّقْ به كافرٌ ولا ينفعه عمل.

قال القاضي عِياض رحمه الله: وقد انعقد الإجماع على أنّ الكفار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يُثابون عليها بنعيمٍ ولا تخفيفِ عذاب، لكنّ بعضَهم أشدُّ عذابًا مِن بعض بحسب جرائمهم، هذا آخر كلام القاضي.

وذكر الإمام الحافظ الفقيه أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه « البعث والنشور » نحو هذا عن بعض أهل العلم والنظر، قال البيهقي: وقد يجوز أن يكون حديث

---

[١] سورة الأعراف، الآيات (١٥٦، ١٥٧)

[٢] سورة طه، الآية (٨٢)

[٣] رواه أصحاب السنن، قال الترمذي: حسن صحيح.

[٤] رواه مسلم.

ابن جُدْعان وما ورد من الآيات والأخبار في بطلان خيرات الكافر إذا مات على الكفر، ورُدّ في أنّه لا يكون لها موقع التّخلص من النار وإدخال الجنة ولكن يخفّف عنه عذابُه الذي يستوجبه على جناياتٍ ارتكبها سوى الكفرِ بما فعل من الخيرات، هذا كلام البيهقي.

نسأل اللّه الجنّة وما قرّب إليها من قولٍ وعمل ونيّة واعتقاد، ونعوذُ باللّه من النّار وما قرّب إليها من قولٍ وعمل ونيّة واعتقاد.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٩٧ - [ويلٌ لكلِّ ظالمٍ بَغِيٍّ، وفاجرٍ غَوِيّ].

أقول: الظُّلْمُ قسمان: الأوّل: ظلم الإنسان لنفسه؛ وذلك بالشّرك، وترك فرائض اللّه، والتعدِّي لحدود اللّه، والاستخفاف بدين اللّه، والاستهزاء بشعائر اللّه، وهذا الذي يُطلَق عليه: الفاجرُ الغويّ، والثاني: ظُلمُ الإنسان لغيره؛ وذلك بالاعتداء على مخلوق للّه، وإيذائه، وإلحاقِ الضَّرر به، في نَفْسٍ أو جسدٍ أو مالٍ أو عِرْض، وأشدُّه على مَن لا يجدُ له ناصراً إلا اللّه سبحانه، ويُسمّى البغيُ: الفسادَ في الأرض بغير الحقّ، وقد أمر اللّه تعالى بالعدل والإحسان، ونهى اللّه سبحانه وتعالى عن الفحشاء والمُنْكَر والبغي؛ وهما قسما الظُّلم؛ بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[١]، وبقوله سبحانه فيما حكاه عن قولِ قوم قارونَ له: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾[٢]، وأخبر أنّه أهلك

[١] سورة النحل، الآية (٩٠)

[٢] سورة القصص، الآية (٧٧)

الأُممَ السّابقة بسبب بغيهم؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾[١]، ومنهم قارون الذي قال اللّه تعالى فيه: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

وأخبر النّبي ﷺ أنّ من الذُّنوب ما تعجّل عقوبتُه في الدُّنيا مع ما له من العذابِ في الآخرة؛ ومن ذلك البغيُ والعُقوق؛ قال النّبي ﷺ: (**ما مِن ذنبٍ أجدرُ أن يُعجَّلَ لصاحبه العقوبةُ مع ما يُدَّخَر له، من البغي، وقطيعةِ الرّحِم**)[٣]، وفي رواية: (**كلُّ ذنوبٍ يؤخِّرُ اللّهُ منها ما شاءَ إلى يومِ القيامةِ إلّا البَغيَ وعقوقَ الوالدَينِ، أو قطيعةَ الرَّحمِ، يُعجِّلُ لصاحبِها في الدُّنيا قبلَ الموتِ**).

ويقول الشاعر:

لا تَظلِمَنَّ إذا ما كُنتَ مُقتَــدِراً ... فَالظُّلمُ مَرتَعُهُ يُفضي إلى النَّدَمِ

تَنامُ عَينُــكَ وَالمَظــلومُ مُنتَبِــهٌ ... يَدعو عَلَيكَ وَعَينُ اللَهِ لَم تَنَــمِ

وفي القِصص:

أن رجلاً قويـًا غنيّـًا اعتدى على شيخٍ ضعيفٍ هَرِمٍ؛ فما كان منه إلا أن تَمْتم بكلماتٍ قائلاً: اللهمّ إنّه أراني فيَّ قوته؛ فأرني فيه قوّتك، وبأسَك الذي لا يُرَدُّ عن القوم الظّالمين؛ فأهلك اللّه ذلك الجبّار لحِينه، ومن سُنَن اللّه في خلقه أنه يُسَلِّط على الظّالم من يَنتقم منه؛ قال اللّه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[٤]، قيل للحجّاج لِمَ لا تحكم فينا بالعدل؟ فقرأ عليهم الآية، وهو أحد معاني الحديث القُدُسي الصحيح: (**يا عِبَادِي، إنَّما هي**

[١] سورة الشورى، الآية (٤٢)

[٢] سورة القصص، الآية (٧٦)

[٣] رواه البخاري في الأدب المفرد، و أبو داود، والترمذي، بنحوه

[٤] سورة الأنعام، الآية (١٢٩)

أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)[١].

ومعنى: ما رواه جابرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: **(إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: أنتَقِمُ مِمَّن أُبغِضُ بِمَن أُبغِضُ، ثمَّ أُصَيِّرُ كلّاً إلى النَّارِ)**[٢].

وهو معنى قول: الظّالم سيفُ اللّه في الأرض، ينتقِم به ممّن يشاء، ثم ينتقمُ منه، وليس بحديث، ومن ذلك قول بعض السلف: مَن أعانَ ظالمًا سلّطه اللّه عليه، ورُوي: **(أعمالُكم عُمّالُكم، وكما تكونوا يُولّى عليكم)** وهو ضعيف، ومعناه صحيح في الغالب، مع وجودِ حِقَبٍ زمانيّة تُخالفه، اللهمّ إنّا نعوذُ بك مِن أنْ نَظلِم أو نُظلَم، أو نَبغيَ أو يُبغى علينا، ونعوذُ بك من كُلّ ظالمٍ بغيٍّ، وفاجرٍ غَوِيّ، اللهمّ آمين ياربّ العالمين.

۞ وقال رحمه اللّه تعالى:

١٩٨ - [وارُوا عَوْراتِكم بالإحسان].

أقول: وارُوا أي: استرُوا، عوراتِكم: جمع عَوْرة؛ قال في اللسان: كلُّ عيبٍ وخَللٍ في شيءٍ فهو عَوْرة، والسَّوْأة، وكلُّ ما يُستحيا منه إذا ظهر، فالمراد العمومُ؛

أي: كلُّ عيبٍ في خَلْقٍ أو خُلُق، وكلُّ نَقصٍ وذنْبٍ ومعصية، فكلُّ ذلك يسترُه الإحسانُ، والحسنةُ من طاعةٍ أو قُربةٍ أو معروفٍ داخلةٌ في معاني الإحسان؛ قال اللّه تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ

---

[١] رواه مسلم

[٢] رواه الطبراني في الأوسط

[٣] سورة هود، الآية (١١٤)

لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾[١]، وعن أبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادةَ، وأبي عبْدِ الرَّحْمنِ مُعاذِ بْنِ جبلٍ ﷺ، عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: (اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ)[٢]، ومن الإحسان الجُودُ والكرَمُ والسّخاءُ؛ وروى جابرٌ ﷺ عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى قال: **(إنّ هذا دينٌ ارتضيتُه لنفسي ولن يَصلُحَ له إلا السّخاءُ وحسنُ الخلُق فأكرموه بهما ما صحبتموه)**[٣]، وروي: **(ما جَبَل اللّه تعالى وليّاً إلّا على السّخاءِ وحُسنِ الخُلُق)**[٤]، وفي رواية: **(ما جبَلَ اللّه وليّاً قطُّ إلاّ على السّخاء)**[٥].

ومنه قول الإمام الشافعي ﷺ:

وَإِن كَثُرَتْ عُيوبُكَ في البَرايا ... وَسَرَّكَ أَن يَكونَ لَها غِطــاءُ

تَسَتَّر بِالسّـــخاءِ فَكُلُّ عَيبٍ ... يُغَطّيــهِ كَما قيـلَ السّــخاءُ

وقال الشاعر:

ويُظهِرُ عيبَ المرءِ في النّاسِ بخلُه ... ويَسترُه عنهم جميعـاً سـخاؤُه

تَـغَـطَّ بأثــوابِ السَّــخـاء فـإنني ... أرى كلّ عيبٍ بالسّخاءِ غطاؤُه

اللهمّ حسّن أخلاقَنا، وباركْ أرزاقَنا، آمين.



---

[١] سورة الرعد، الآية (٢٢)

[٢] رواهُ التِّرْمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ

[٣] رواه الحافظ الطبراني في الأوسط

[٤] رواه ابن عساكر في التاريخ من رواية عروة ﷺ مرسلاً، ورواه أيضاً الديلمي عنه عن عائشة ﷺ.

[٥] رواه الحكيم الترمذي


الوصايا الشاذلية
لا

-حرف لام ألف-

۞ وقال رحمه الله تعالى:

١٩٩ - [لا تأمنْ منْ نَمّ لك أن ينِمَّ عليك].

أقول: نمّ في اللغة يستعمل بمعنيين:

الأول: نقلُ حديث قومٍ إلى قومٍ ليس على جهة الإفساد؛ كالإخبار عن مجلس وكلام الناس فيه، ومنه الحديث الصحيح: عن أمّ كُلثُوم بنت عقبة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ليس الكذّابُ الذي يُصلِح بين النّاس فيَنمِي خيراً أو يقولُ خيراً**)[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله:(**فيَنْمِي**) بفتح أوله وكسر الميم أي يُبَلّغ، تقول: نَميت الحديث أَنمِيه إذا بلغتَه على وجه الإصلاح وطلب الخير، فإذا بلّغته على وجه الإفساد والنميمة قلت: نمّيته بالتشديد كذا قاله الجمهور، ووقع في رواية « الموطأ » يُنمي بضم أوله، قوله: (**أو يقول خيراً**) هو شكٌّ من الرَّاوي، قال العلماء: المراد هنا أنه يُخبِر بما علمه من الخير ويسكت عما علمه من الشر، ولا يكون ذلك كذبًا لأن الكذب الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به، وهذا ساكت، ولا ينسب لساكتٍ قول.

والثاني: نقله على جهة الإفساد والشر، والاسم: النميمة، وهي من الكبائر؛ فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا يَدخُلُ الجنّة قَتّات**)[٢]، قال في عون المعبود: قوله: (**لا يدخل الجَنّة**): أي في أول وهلة كما في نظائره أي: مع أول من يدخلها، (**قتّات**) ووقع في رواية لمسلم بلفظ (**نمّام**) وهما بمعنىً، وقيل: الفَرْق بين القتّات والنّمّام أن النمّام الذي يحضر القصة فينقلها، والقتّات الذي يتسمع من حيث لا يُعلَم به ثم ينقل ما سمعه، والنميمةُ مُوجبةٌ لعذاب القبر؛ ففي

---

[١] رواه الشَّيخان

[٢] رواه الشَّيخان

الحديث الصحيح: عن عبد الله بن عبّاس ﷺ قال: (مرَّ النّبيُّ ﷺ بقبرين، فقال: **إنّهما ليُعذّبان، وما يُعذّبان في كبير،ثم قال: بلى كان أحدهما لا يستترُ من بوله، وأما الآخَر: فكان يَمشي بالنّمِيمة)**[١]؛ وقوله: (**وما يُعذّبان في كبير**) أي: في أمرٍ يشُقّ عليهما تركُه، بل تركُه متيسّرٌ لهما، وفي استطاعتهما، ومع ذلك ارتكباه.

والمرادُ من الحِكمة التنبيهُ على أنّ الذي ينقلُ لك أخبارَ النّاس غيرُ مأمونٍ أن ينقلَ لهم أخبارَك؛ فكن على حذرٍ منه، ولا تُطلعْه على شيءٍ من أسرارِك، فمِنْ مأمنِهِ يُؤتى الحَذِر، ومن نمّ لك نمّ عليك، نسألُ اللّه السَّلامة من مُوجباتِ النّدامة، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٠٠ - [لاتأمنْ منَ المَكْر، ولا تنسَ الفضلَ].

أقول: قال الله تعالى:﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[٢]، قال الإمام الطبري ﷺ: أفأمن هؤلاء الذين يُكَذِّبُون الله ورسوله ﷺ استدراج الله لهم بما أنعم عليهم من صحة الأبدان ورخاء العيش؟، وقال العلامة القرطبي ﷺ: قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾، أي: عذابَه وجزاءَه على مكرهم، وقيل: مَكرُه: استدراجُه بالنّعمة والصّحة، قال العلّامة الصّاوي ﷺ: المكر في الأصل: الخديعة والحيلة؛ وذلك مستحيل على الله تعالى، وحينئذٍ فالمراد بالمكر أن يفعل بهم فعل الماكر؛ بأن يستدرجهم بالنِّعَم أولاً؛ ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتَدِر، وقال العلّامة ابن منظور ﷺ في اللّسان:

---

[١] رواه الشَّيخان

[٢] سورة الأعراف، الآية (٩٩)

وفي التّنزيل العزيز: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾[١]، قال بعضهم معناه: سنأخذهم من حيث لا يعلمون، وقال بعضهم: سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم، وقيل: سنأخذهم من حيث لا يحتسبون، وذلك أنَّ الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به فيركنون إليه ويأنسون به؛ فلا يذكرون الموت فيأخذهم على غِرّتهم أغفلَ ما كانوا؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حُمل إليه كنوز كسرى: اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أكون مستدرَجًا فإني أسمعك تقول: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

فتبيَّن أنّ الاستدراج أن يفتح اللّه أبوابَ النَعيم الدّنيوي على عباده وهم يعصونه، وينسون ذكره وشكره؛ قال اللّه تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٣]، وبمعناه: الإملاء، قال الله تعالى: ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾[٤]، وقال النّبي ﷺ: **(إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لَيُمْلِي لِلظّالِمِ، حتّى إذا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ،** ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾[٥] ﴾)[٦]، وأما قوله: ولا تنسَ الفضل، فمعناه: لا تنس فضلَ اللّه عليك، واشكرْه على نعمه الظاهرة والباطنة ما علمتَ منها وما لم تعلم، ومن هنا قال العامّة: إذا أردت أن تعرف فضل الله

[١] سورة الأعراف، الآية (١٨٢)
[٢] سورة الأنعام، الآية (٤٤)
[٣] سورة النحل، الآية (٢٦)
[٤] سورة الأعراف ، الآية (١٨٣)
[٥] سورة هود، الآية (١٠٢)
[٦] رواه الشَّيخان

عليك فأغمض عينيك، ولا تنسَ كذلك فضلَ رسول اللّه ﷺ الذي أنقذك الله به من شفا حفرة من النار، وفتح اللّه لك بنوره ﷺ أقفالَ القلب والعقل والسمع والبصر، ولا تنس فضل الوالدين، ولا فضل الأشياخ والمعلّمين؛ وهذا معنى قول: من علّمني حرفًا صرتُ له عبداً؛ وليس بحديث، وورد بمعناه آثار، ومنها: قال الإمام شُعبة رحمه الله: «من كتبتُ عنه أربعة أحاديث فأنا عبدُه حتى أموت»[١]، وقال أيضًا: «كنت إذا سمعت من الرجل الحديث، كنت له عبداً ما حيي، فكلما لقيته، سألته عنه »[٢].

ولا يخفى أن المراد بالعبودية هنا: هو مقام الأدب، والتوقير، والاعتراف بالفضل، وحفظ الجميل، ومعرفة الحق، والوفاء للمعلم أبد الدهر، ولا تنسَ كذلك فضلَ كلّ من أحسن إليك، وكافئهم على ذلك، وأثنِ عليهم؛ قال اللّه تعالى: في تذكّر فضل الأزواج عند الطلاق وبعده: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾[٣]، وقال رسول اللّه ﷺ: **(من صنع إليكم معروفًا فكافِئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى ترَوا أنّكم قد كافأتموه)**[٤] وهذا الباب يُسمى فقهَ المكافأة، وفي الحديث: يقول النّبي ﷺ: **(لا يشكرُ اللّهَ من لا يشكرُ النّاس)**[٥]، وفي رواية: **(إنّ أشكر النّاس للّه عزّ وجلّ أشكرُهم للنّاس)**[٦]، اللهمّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ، مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلِينَ لَهَا، وَأَتِمِمْهَا عَلَيْنَا، آمين يارب العالمين.

---

[١] رواه الحافظ ابن عساكر رحمه الله في «تاريخ دمشق»

[٢] رواه الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع».

[٣] سورة البقرة، الآية (٢٣٧)

[٤] رواه أبو داود، والنّسائي بسند صحيح

[٥] رواه الحافظ أبو داود رحمه اللّه تعالى

[٦] رواه الأمام أحمد رحمه الله تعالى

الوصايا الشاذلية

ي

-حرف الياء-

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٠١ - [**يُستَدلُّ على عَقْلِ المَرْءِ بحُسْنِ مَقَالِه، وعلى طاهرِ أصلِهِ بجَميلِ فِعَالِه**]. أقول: العقولُ السليمة متفاوتة في الإدراك والفَطانة، ولكن ثَمّ قاسِمٌ مشتركٌ بين جميعها وهو التسليم للمُسلَّمات العقلية القطعية التي أجمع عليها العقلاء والتي تتفق مع ما جاءت به الشرائع السماوية عن الله تعالى، ومنها حبُّ الكمال والطّهارة والنّظافة، والابتعادُ والتّرفعُ عن الرّذائل والقبائحِ والسّفاسف، وبهذا يستدل على حُسنِ العقلِ ونُضوجِه وكَماله، والكلامُ دالٌّ على ذلك؛ فإذا سمعتَ كلاماً حكيماً وكلمةً طيبةً من متكلم فاستدلَّ بذلك على بلوغِه سنّ الرُّشد والكمال، وقد قال اللّه تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾[1]، فالرّجلُ العاقل عن اللّه تعالى، والمستفيدُ من دُروسِ الحياةِ والتّجاربِ ومجالسة الحكماء، هو الذي يهزِم العداوةَ ويقلِب العدوّ من أرحامِه وإخوانِه وجيرانِه إلى وليٍّ حميمٍ؛ قال اللّه تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[2]، و كذلكَ يُستدَلّ على طِيب أصلِ المرءِ وطهارتِه بجَميلِ فِعالِه وآثارِه الحسنة، وهذا الحكمُ على الأغلب إذ لكلِّ قاعدةٍ شواذٌّ، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله في ذلك:

المـرءُ يُعرَف في الأنـام بفعـلـه ... وخَصائل المرءِ الكريـم كأصلـه

اصـبرْ على مُـرّ الزّمـان وحُلـوِه ... واعلـمْ بأنّ اللّـه بالـغُ أمـرِه

---

[١] سورة الإسراء، الآية (٥٣)

[٢] سورة فصلت، الآيات (٣٤ - ٣٥)

لا تســـتغيبُ فتُـستغابَ فرُبّمـــا ... مَـــنْ قالَ شـــيئًا قيل فيه بمثلِـــه
وتجنّبِ الفحشـــاءَ لا تنطِـــقْ بها ... ما دُمـــتَ في جِـــدّ الكلامِ وهَـزْلِـه
وإذا الصّديقُ أَســـى عليك بجهلِـــه ... فاصفحْ لأجلِ الوُدّ ليـــس لأجلِـــه
كم عـــالـــمٍ مـتفضـــلٍ قد ســـبّه ... مَنْ لا يُـــساوي غـــرزةً في نعلِـــه
البحرُ تعلو فوقَـــه جِيـــفُ الفَـــلا ... والدُّرُ مطمـــورٌ بأســـفلِ رملِـــه
واعجبْ لعُصفورٍ يُزاحمُ باشـــقا ... إلا لـطيـــشـــتِه وخِفّـــةِ عقـلِـــه
إيّاك تجني سُـــكّراً مِن حنظـــلٍ ... فالشـــيءُ يَـرجِعُ بالمذاقِ لأصلِـه
في الجوِّ مكتوبٌ على صُحفِ الهوا ... منْ يَعملِ المعـروفَ يُجزَ بـمثلِـــه

نسأل اللّه الهدايةَ والرُّشد لنا ولأهلينا والمسلمين، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٠٢ - [يَسيرُ الرِّياءِ شِرْك، ويَسيرُ الظنِّ شكٌّ].

أقول: الجملة الأولى مقتبسةٌ من حديثِ أبي سعيد الخُدْري ﷺ قال:

(خرج علينا رسولُ اللّه ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدّجال، فقال: ألا أخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدّجّال؟ قال: قلنا: بلى، فقال: الشِّركُ الخفيُّ، أن يقومَ الرّجلُ يصلي، فيزيّنُ صلاتَه لما يَرى من نظرِ رجلٍ إليه)[١].

وعن محمود بن لبيد ﷺ، قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: **(إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصْغَرُ قالوا: يا رسول اللّه وما الشِّرك الأصغرُ؟ قال: الرِّياءُ، إنّ اللّه يقول: يوم تُجازَى العبادُ بأعمالهم: اذهبوا إلى الّذين كُنتم تُراءون بأعمالكم في الدُّنيا، فانظروا هل تَجدون عندهم جزاءً)**[٢]، ومن هنا قال الإمامُ الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ رحمه الله: « تركُ العملِ من أجل النّاسِ رِياءٌ، والعملُ من أجل النّاسِ شِركٌ، والإخلاصُ أن يُعافيَك اللّه منهما ».

---

[١] رواه الإمامُ ابن ماجه رحمه الله تعالى بإسناد حسن.

[٢] رواه الإمام أحمد

وأما قوله: « ويسيرُ الظنّ شكٌّ »، فقد بيّن أهلُ العلم أنّ مراتبَ الحُكم على خبرٍ أو عملٍ أربعة: الوَهمُ، والشّكّ، والظّنّ، واليقينُ؛ جاء في البحر الرائق لابن نُجَيم رحمه الله: الشّكُّ: تَساوي الأمرين، والظّنّ: رُجْحانُ جهةِ الصّواب، والوَهْمُ: رُجْحان جهةِ الخطأ؛ وهو بمعنى ما قاله الأُصوليُّون: الشّكُّ: هو تردُّدُ الذِّهنِ بينَ أمرَينِ على حدٍّ سواءٍ، وقيلَ: التَّردُّدُ بينَ الطَّرفينِ، فإن كان على السَّواءِ فهو الشَّكُّ، وإلَّا فالرَّاجِحُ الظَّنُّ، والمرجوحُ وَهمٌ، والشّيخ في الحِكمة جعلَ يسيرَ الظّنّ شكًا، وكلُّ ذلك لا يُقبَل في العقائد الأُمّات ولا يُقبَل فيها إلا اليقين؛ وهو المتواترُ قطعيُّ الثُّبوت وقطعيُّ الدّلالة؛ لأنّ اللّه تعالى أخبر عن الأُمم السّابقة أنّهمُ اتّبعوا الظّنّ و أنّه لا يُغني من الحقّ شيئًا، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[١]، وقال اللّه تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾[٢]، وقال اللّه تعالى حكايةً عن الكافرين: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[٣]، وقال عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾[٤]، وأمّا في فروع العقائد كالسّمعيات غيرِ المُتواترة فيُقبَل الدّليلُ الظّنّيُّ كخبر الواحد، ومُنكِرُ المُتواتر من النُّصوص كافرٌ، ومُنْكرُ الظنيِّ فاسقٌ، وأمّا في نقل أخبار الناس فلا يُقبَل إلا اليقين،

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: (**إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحديثِ**)[٥]، ورُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم سُئل عن الشّهادة؛

---

[١] سورة يونس، الآية (٣٦)

[٢] سورة النجم، الآية (٢٨)

[٣] سورة الجاثية، الآية (٢٤)

[٤] سورة الجاثية ، الآية (٣٢)

[٥] رواه الشَّيخان

فقال للسّائل: **ترى الشّمس، قال: نعم، قال: على مثلها فاشهدْ أو فدَعْ)** [١]، ومثالُ المراتبِ في الأعمال كالمصلي الذي لم يتيّقن كم صلّى ثلاثاً أو أربعاً مثلاً؟ فإن كان احتمال الأربع هو الأرجح فذلك هو الظّنّ، واحتمال الثلاث هو الوهم، وإن استوى عنده الاحتمالان فهذا هو الشّكّ فيبني حينئذٍ على الأقلّ ويَسجدُ للسّهو، ومن قواعد الأُصوليّين قولُهم: « اليقين لا يزول بالشك ».

ومن كلام الشيخ أبي المواهب الشّاذلي رحمه الله: « إذا نقلَ إليك أحدٌ كلاماً عن صاحبٍ لك؛ فقل: يا هذا أنا من محبة أخي ووُدّه على يقين، ومن قولك على ظنّ، ولا يُترَك يقينٌ بظنٍّ»، اللهمّ اجعلنا من أهل علمِ اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين، وأبعدنا عن الوهم والشكّ والظنّ في العقائد والأعمال والأخبار، آمين يارب العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٠٣ - [يَسيرُ الهوى يُفْسدُ العقل].

أقول: الهوى المذمومُ في عقيدة أو عبادة أو عادة يُفسد قلب الإنسان وعقله، ويصدُّه عن الحقّ، ويُضلّه عن العلم، ويجعلُ مُتّبعه عبداً له، قال الله تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

---

[١] رواه الإمامُ الحاكمُ، والحافظُ البيهقي.

[٢] سورة الجاثية، الآية (٢٣)

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يُؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواه تبعًا لما جِئتُ به)**[٣].

وجعل رسول الله ﷺ اتّباع ما تهواه النّفس من المُهلكات فقال: **(ثلاثٌ مُهلِكاتٌ، وثلاثٌ مُنجِياتٌ، وثلاثٌ كفَّارَاتٌ، وثلاثٌ دَرَجاتٌ؛ فأمّا المهلِكاتُ: فشُحٌّ مُطاعٌ، وهَوًى مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرْءِ بنفْسِهِ، وأمّا المنْجياتُ: فالعدْلُ في الغضَبِ والرِّضا، والقصْدُ في الفقْرِ والغِنى، وخشيةُ اللهِ تعالَى في السِّرِّ والعلانيةِ، وأمّا الكفَّاراتُ: فانْتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ، وإسْباغُ الوُضوءِ في السَّبَرَاتِ، ونقلُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ، و أمّا الدَّرجاتُ: فإطْعامُ الطعامِ، و إفْشاءُ السلامِ، و الصلاةُ باللّيلِ و الناسُ نِيامٌ)**[٤].

وذكر رسولُ الله ﷺ أهل الأهواء ووصفهم بقوله: **(وإنَّهُ سيخرجُ من أُمَّتي أقوامٌ تَجارى بِهم تلكَ الأهواءُ كما يَتَجارى الكَلَبُ بصاحِبِه، لا يَبقى منه عِرْقٌ ولا مَفصِلٌ إلَّا دخلَه)**[٥]، قال الشّريف الجُرجاني رحمه الله في «التعريفات»: أهل الأهواء الذين لا يكون معتقدهم معتقد أهل السنة، وهم الجَبْرية والقَدَرية والرّوافض والخوارجُ والمُعطّلة والمُشَبّهة، اهـ.

---

[١] سورة الأعراف، الآيات (١٧٥ - ١٧٦)

[٢] سورة ص، الآية (٢٦)

[٣] قال الإمام شيخُ الإسلام أبو زكريا يحيى بنُ شرفٍ النّووي رحمه الله: حديث صحيح رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح.

[٤] رواه الحافظ الطّبراني بسند حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[٥] رواه الإمام أبو داود رحمه الله تعالى بسند حسن عن معاوية رضي الله عنه.

وقوله: (الكَلَبُ): قال العلّامة ابن الأثير رحمه الله في «النهاية»:

الكَلَب بالتحريك: داء يعرِض للإنسان من عضّ الكَلْب الكَلِب فيصيبه شبه الجنون، فلا يَعَض أحداً إلا كَلِبَ، وتَعرِض له أعراضٌ رديئة، ويمنع من شرب الماء حتى يموت عطشـًا؛ اهـ.

وقال سيّدنا عليٌّ رضي الله عنه: « إنّ أخوفَ ما أخافُ عليكم اتّباعُ الهوى وطولُ الأمل، فأمّا اتّباع الهوى فيصدُّ عن الحقّ، وأمّا طولُ الأمل فيُنسي الآخرة ».

فإذا تحكَّم الهوى في القلب أطفأ نورَه فلا يجدُ صاحبه في نفسه داعيـًا إلى فعل الطاعات والخيرات، ولا وازعـًا أو رادعـًا عن ارتكاب المُنكَرات، وأطفأ نورَ العقل فلا يفكّر فيما يَنفعه، أو يَنفع من حوله، أو يسعدُه ويسعدهم، بل ينحصر فكرُه فيما يَضرُّه ومن حوله، ويُشقيه ويُشقيهم، والعِياذُ باللّه تعالى.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٠٤ - [يسيرُ الحقِّ يُدمِّرُ كثيرَ الباطل].

أقول: الإنسان يتقلّب بين ما هو حقّ كالعبادات، والطاعات، والقُرُبات، وبين ما هو باطل كالمعاصي، والتعدِّي لحدود الله، والاعتداء على الحقوق العامة والخاصة، ويبيِّن الشيخ رحمه الله في هذه الحكمة أن يسيرَ الحقِّ؛ أي: قليلَه يدمّر كثيرَ الباطل؛ أي: يُذهبه ويُزهقه؛ قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[٢]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[٣].

---

[١] سورة الأنبياء، الآية (١٨)

[٢] سورة الإسراء، الآية (٨١)

[٣] سورة هود، الآية (١١٤)

وأخبر رسول الله ﷺ عن كثير من الأقوال والأفعال التي يمحو الله بها الخطايا ويرفع بها الدرجات، وعن كثير من الخصال التي يَغفر الله بها ما تقدم من الذنوب وما تأخّر، و ما تقدّم خاصّة، وقد أَلَّف العلماء كُتُبًا في بيانها، ومنها كتاب العلامة شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي رحمه الله، وقد سماه الخصال المكفرة للذنوب، فليقرأه طلاب العلم للعامة، وليغتنمِ المؤمن فعل تلك الخصال حتى إذا وقع في ذنب يقع مغفوراً بسبب متقدم أو متأخر إن شاء الله، فلا يضره ولا يعاقب عليه، ومن ذلك ما رواه أَبو هريرةَ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: (**أَلا أَدُلُّكُمْ عَلى مَا يمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلى يَا رسولَ اللهِ، قَالَ: إِسْباغُ الْوُضُوءِ عَلى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطا إِلى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بعْد الصَّلاةِ، فَذلِكُمُ الرِّباطُ، فَذلكُمُ الرِّباطُ**)[١].

وعنه رضي الله عنه أَنَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (**الصَّلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إِلى الجُمُعَةِ، كفَّارةٌ لِمَا بَيْنهُنَّ، مَا لَمْ تُغش الكبَائِرُ**)[٢].

وعن عبد الله بن عمروٍ رضي الله عنهما مرفوعًا: (**خَصلتانِ أو خَلَّتانِ لا يحافظُ عليهِما رجلٌ مسلمٌ إلَّا دخلَ الجنَّةَ، هُما يسيرٌ ومَن يعملُ بِهِما قليلٌ، تسبِّحُ اللهَ عشراً وتحمدُ اللهَ عشراً وتُكَبِّرُ اللهَ عشراً في دُبرِ كلِّ صلاةٍ؛ فذلِكَ مائةٌ وخمسونَ باللِّسانِ وألفٌ وخمسُمائةٍ في الميزان، وتسبِّحُ ثلاثًا وثلاثينَ وتحمدُ ثلاثًا وثلاثينَ وتُكَبِّرُ أربعًا وثلاثين - عطاءٌ لا يدري أَيَّتُهُنَّ أربعٌ وثلاثونَ - إذا أخذَ مَضجعَهُ فذلِكَ مائةٌ باللِّسانِ وألفٌ في الميزانِ، فأيُّكم يعملُ في اليومِ ألفَينِ وخمسَمائةِ سَيِّئةٍ؟ قالوا: يا رسولَ اللهِ كيفَ هُما يسيرٌ ومَن يعملُ بِهِما قليلٌ، قالَ: يأتي أحدَكُمُ الشَّيطانُ**

---

[١] رواه مسلم

[٢] رواه مسلم

إذا فرغَ مِن صلاتِهِ فيذَكِّرُهُ حاجةَ كَذا وَكَذا فيقومُ ولا يقولها، فإذا اضطجعَ يأتيهِ الشَّيطانُ فينوِّمُهُ قبلَ أن يقولها، فلقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يعقِدُهُنَّ في يدِهِ) [١].

وذكر حجة الإسلام الإمام الغزالي رضي الله عنه في الإحياء في باب فضيلة التعلم: عن الإمام عطاء رحمه الله: «مجلس ذكر يُكَفِّر سبعين مجلساً من مجالس اللَّلهو».

وقال بعضهم: إذا وقعت في معصية فلا تترك الطاعة، أتُهزَم مرتين.

نسأل الله السَّلامة من الذنوب والخطايا كلها، وأن يغفرها الله لنا، بفضله وكرمه، آمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٠٥ -[يدُ اللّه تعالى أبداً عالية].

أقول: ذكرَ اللّه تعالى في كتابه اليدَ واليدين والأيدي وأضافها إليه واللّه تعالى أعلمُ بمراده، نُؤمن بها بلا تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ، وذهب بعض أئمة السّلف أنها أوصاف له كما أَخبَر لا كما يخطُر بعقول البشر، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٢]، في ذاته أو صفاته أو أفعاله، قال اللّه تعالى في ذكر اليد:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[٣]، وقال عزّ وجلّ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾[٤]، وقال في ذكر اليدين: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا

---

[١] رواه أصحاب السنن، وأحمد.

[٢] سورة الشورى، الآية (١١)

[٣] سورة آل عمران، الآية (٧٣)

[٤] سورة الحديد، الآية (٢٩)

قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[١]، وقال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾[٢]، وقال الله تعالى في ذكر الأيدي: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾[٣]، والمدلولُ في هذه النّصوص هو التنزيهُ للّه تعالى عن مشابهة خلقه؛ لأنه يتعيَّن حمل النّصوص المتشابهة على النّصوص المُحْكَمة التي مدلولها التنزيه، فالله تعالى لم يتعبَّدنا بعقيدتين متضادتين تنزيهٍ وتشبيهٍ؛ بل بعقيدة واحدة هي التنزيه في جميع النصوص فينبغي حملها عليه، وأراد الشيخ بيان أن القُوَّة للّه، وأنه سبحانه غالبٌ على أمره، وأن الفضل بيده، وأن له صفة القاهرية فوق جميع خلقه، جلّ جلالُه وعمّ نوالُه.

اللهمّ اجعل يدك مبسوطةً علينا وعلى أهلينا وإخواننا برحمتك، وتولّ قبضَ أرواحنا بيدك يارحمن يا رحيم، آمين ياربّ العالمين.

۞ وقال رحمه الله تعالى:

٢٠٦ - [يومُ العدلِ على الظّالم أشدُّ من يومِ الظّلم على المظلوم].

أقول: جاء في الحديث عن أبي ذرّ رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ أنه قال: يقول اللّه تعالى: **(يا عبادي! إني حرّمتُ الظُّلم على نفسي وجعلتُه بينكم مُحرّمًا فلا تَظَالموا)**[٤]، أي: يستحيل أن يتصف سبحانه به، وإنّ اللّه سبحانه أهلك الأمم السابقة بسبب الظُّلْم؛ والمراد به الاعتداء على مخلوقٍ بأخذ حقه، أو إيذائه، أو إهلاكه وإفساد حرثه ونسله، قال الله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ

---

[١] سورة المائدة، الآية (٦٤)

[٢] سورة ص، الآية (٧٥)

[٣] سورة يس، الآية (٧١)

[٤] رواه مسلم

[٥] سورة النمل، الآية (٥٢)

يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾[١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾[٢].

وإن اللّه سبحانه وتعالى تعهّد بنصرة المظلوم وإجابة دعائه على من ظلمه ولو كان كافراً؛ ففي الحديث:عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: (**اتقوا دعْوة المظلوم فإنها تُحمَلُ علَى الغَمامِ، و تُفتَحُ لها أبوابُ السَّماءِ، و يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: «وعزَّتي وجلالي لأنصرَنَّكَ ولَو بعدَ حينٍ** »)[٣].

وعن أنس ﷺ مرفوعاً: (**اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**)[٤]، وفي رواية: (**وإن كان فاجراً، ففجوره على نفسه**).

۞ وفي قصص التاريخ:

أن خالد ابن يحيى البرمكي سأل أباه: أبعد المال والسلطان صرنا لهذا السجن؟، فأجابه: يابُنيَّ لعلها دعوة مظلوم سرت بليل ونحن نيام غفلنا عنها؛ ولم يغفُل الله عنها، ثم قال:

رُبَّ قومٍ قد غَدَوْا في نَعْمةٍ ... زَمَنًا والدهرُ رَيَّانٌ غَدَقْ
سَكَتَ الدهرُ زَمَانًا عنهمُ ... ثم أبكاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقْ

وقال الشاعر:

لا تَظلِمَنَّ إِذا ما كُنتَ مُقتَدِراً ... فَالظُلمُ مَرتَعُهُ يُفضي إِلى النَّدَمِ
تَنامُ عَينُكَ وَالمَظلومُ مُنتَبِهٌ ... يَدعو عَلَيكَ وَعَينُ اللَهِ لَم تَنَمِ

---

[١] سورة الأعراف، الآية (١٦٥)

[٢] سورة هود، الآيات (٨٢ -٨٣)

[٣] رواه الترمذي، وابن ماجه.

[٤] رواه أحمد، وابن ماجه، وأبو يعلى، وصححه الضياء.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه: قال حدثنا أبو أسامة، عن أبي جعفر، قال: سمع ابن سيرين ﷺ رجلاً يَسُبُّ الحَجَّاج، فقال ابن سيرين: إن الله حَكَم عَدْل يأخذ للحَجَّاج ممَّن ظلمه، كما يأخذ لمن ظُلِم من الحَجَّاج.

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة -ومن طريقه أبو نُعَيم في الحلية، والبيهقي في الشُّعب، وابن عساكر في تاريخه- من طريق سهيل بن أبي حزم قال: سمع ابن سيرين رجلاً يَسُبُّ الحَجَّاج، فقال: مه - أيُّها الرَّجل -، إنك لو وافيت الآخرة كان أصغرُ ذنبٍ عملته قطُّ أعظمَ عليك من أعظم ذنب عمله الحجّاج، واعلم أن الله حَكَم عَدْل؛ إن أخذ من الحَجَّاج لمن ظُلِم شيئًا، فسيأخذ للحَجَّاج ممن ظَلَمه، فلا تشغلنَّ نفسك بسبّه.

والشيخ بيَّن في الحكمة أن يومَ انتقام الله تعالى من الظالم أشدُّ من يوم ظلمه لغيره، وهذا كلّه من اسم الله تعالى العَدْل، واسمه المنتقم.

نسأل الله السَّلامة من مُوجبات النَّدامة في الدنيا وفي يوم القيامة، وبهذه الحكمة تمَّ بتوفيق الله وفضله الانتهاء من شرح هذه الحكم المباركة، رحم الله قائلها، وجزاه خيراً.

كان ذلك يوم الخميس الواقع في: ١٨ / جمادى الثاني / ١٤٤٦ هـ

الموافق لـ ١٩/ كانون الثاني / ٢٠٢٤ م

فلله الحمد والشُّكْر والمِنَّة والفضل.

خادم العلم وأهله

محمد بن عبد الهادي الخرسة

الدمشقي الأزهري

فهرس المحتويات

حرف الألف ٦
١- [إيَّاك والعجز؛ فإنَّه شَينُ الدِّين، وبئسَ القرين] ٧
٢- [إيَّاك والعجز؛ فأوَّله جنون، وآخره ندم] ٧
٣- [إيَّاك والبِطْنة؛ فمَن لزمها كَثُرت أسقامه، وفسدت أحلامه] ٨
٤- [إيَّاك وطاعةَ الهوى، فإنَّه يقودك إلى كلِّ مِحْنَة] ٩
٥- [إياك والمنَّ بالمعروف، فإنَّ الإمنان بالمعروف يُفسد الإحسان] ١٠
٦- [إنما العقلُ التَّخُّوفُ من الإثم، والنَّظَرُ في العواقب، والأخذُ بالحَزْم] ١١
٧- [إنما النَّاس عالمٌ ومتعلِّمٌ ومستَمِعٌ، وما سواهم هَمَج] ١٣
٨- [إنَّما العالِم مَنْ قادَه علمُه إلى الوَرَع، والزُّهدِ في عالَم الفَناء، والرَّغبة في عالَم البقاء] ١٤
٩- [إنما يَعْرِفُ الفَضلَ لأولي الفَضل أولوا الفضل] ١٥
حرف الباء ١٧
١٠- [بحُسْنِ المُوافَقَة؛ تدومُ الصُّحْبة] ١٨
١١- [بالإحسانِ يُستعبَد الإنسان] ١٩
١٢- [بالتَّواضُعِ تُعْرَفُ الرِّفْعة] ٢٠
١٣- [بالتَّوفيق تكونُ السعادة] ٢١
١٤- [بالصِّدقِ تكونُ النَّجاة] ٢٢
١٥- [بالرِّفْقِ تُدْرَك المَقَاصد] ٢٤
١٦- [بالإخلاص تُرْفَع الأعمال] ٢٥
١٧- [بالتَّواني يكون الفَوات] ٢٦
١٨- [بِقَدْر اللَّذات يكون التَّنغِيص] ٢٦
حرف التاء ٢٨
١٩- [تكادُ ضمائرُ القلوب تَطَّلعُ على سرائرِ الغُيوب] ٢٩
٢٠- [تجرُّعُ غُصَصِ التَّحكُّم يُطفِئ الغَضَب] ٣٠
٢١- [تكثُّرُكَ بما لا يَبقى لكَ ولا تَبقى له؛ مِنْ أعظم الجَهْل] ٣١

٢٢- [تَتبُّعُ العُيوب من أعظم الذُّنوب] ٣٢
٢٣- [تناسَ مساوئَ النَّاسِ تستدمْ وُدَّهم] ٣٤
حرف الثاء ٣٦
٢٤- [ثمرةُ العِلْمِ معرفةُ الله تعالى] ٣٧
٢٥- [ثمرةُ الإيمانِ الفوزُ بالله تعالى] ٣٧
٢٦- [ثمرةُ الوعظِ الانتباه] ٣٨
٢٧- [ثمرةُ العقلِ الاستقامة] ٤٠
٢٨- [ثمرةُ الحَزْمِ السَّلامة] ٤١
٢٩- [ثمرةُ اللَّجَاجِ العَطَب] ٤٢
٣٠- [ثمرةُ العَجْز فَقْدُ الطَّلب] ٤٣
٣١- [ثمرةُ الزُّهْدِ الرَّاحةُ] ٤٥
٣٢- [ثمرةُ طولِ الحياةِ السَّقَم والهَرَم] ٤٦
٣٣- [ثَمرةُ المُجَاهدة قَهْرُ النَّفْس] ٤٧
حرف الجيم ٤٨
٣٤- [جَمِيلُ الفِعال يُوجِب حُسْنَ الجزاء] ٤٩
٣٥- [جُودُ الإنسانِ يُوجِبُ له الإحسان، وجَهَالتُه يُغَطِّيها السَّخَاء] ٤٩
٣٦- [جميعُ السَّيئاتِ تمحُوها الحسنات] ٥٠
حرف الحاء ٥٢
٣٧- [حِكْمَةُ الحِكْمَةِ الإعراضُ عن دار الفناء، والوَلَهُ بدارِ البقاء] ٥٣
٣٨- [حدُّ العقل النَّظرُ في العواقب، والرِّضا بما يَجري به القضاء] ٥٤
٣٩- [حرامٌ على كُلِّ ذي عقلٍ مغلوبٍ بالشَّهوات أن ينتفعَ بالحِكْمة] ٥٥
٤٠- [حرامٌ على كُلِّ قلبٍ متولِّهٍ بالدُّنيا تسكُنُه التَّقوى] ٥٦
حرف الخاء ٥٧
٤١- [خيرُ العلومِ ما أصلحك] ٥٨
٤٢- [خيرُ العَملِ ما صحِبَه الإخلاص] ٥٩
٤٣- [خيرُ إخوانِك مَنْ واساك، وخَيرٌ منه مَنْ كفاك] ٦٠

٤٤- [خيرُ مَنْ صاحبْتَه ذو العِلْم والحِلْم] ٦١
٤٥- [خيرُ من شاورتَ ذو النُّهى والعقل، وأولوا التَّجارُب والحَزْم] ٦٢
٤٦- [خيرُ الاجتهادِ ما قارَنه التَّوفِيق] ٦٣
٤٧- [خيرُ النَّاسِ مَنْ أَخْرجَ الحِرْصَ من قلبه، وخالفَ هواهُ في طاعةِ ربِّه] ٦٤
٤٨- [دارِ عدوَّكَ وأخلِصْ له وُدَّك؛ تحظَ بالآخرة، وتَحُزِ المُروءة] ٦٤
حرف الدال ٦٧
٤٩- [دعِ الانتقامَ فإنه من سُوءِ أفعال المُقْتَدِر، ولقد أَخَذَ بجوامعِ الفَضْل مَنْ رَدَعَ نَفسَه عن سُوءِ المُجَازاة] ٦٨
٥٠- [داوِ الغَضَب بالصَّمْت] ٦٩
٥١- [داوِ الشَّهوةَ بالعقل] ٧٢
حرف الذال ٧٤
٥٢- [ذِلَّ في نفسكَ وعِزَّ في دِينك] ٧٥
٥٣- [ذُلُّ الرِّجالِ في المَطَامِع] ٧٦
حرف الراء ٧٨
٥٤- [رأسُ الإيمان الصِّدق] ٧٩
٥٥- [رأسُ الإسلامِ الأمانةُ] ٨٠
٥٦- [رأسُ النِّفاقِ الخِيانةُ] ٨٢
حرف الزاي ٨٤
٥٧- [زَينُ المُصَاحبةِ الاحتمالُ] ٨٥
٥٨- [زُهْك في الدُّنيا يُنْجِيك، ورغبتُك فيها تُرْدِيك] ٨٦
٥٩- [زَخَارِفُ الدُّنْيا تُفْسِدُ العُقُولَ الضَّعيفة] ٨٧
٦٠- [زِينةُ البواطنِ أَجْملُ مِنْ زِينةِ الظَّواهر] ٨٩
٦١- [زِينةُ الإيمان طهارةُ السَّرائر، وحسن العوامل في البواطن لا الظواهر] ٨٩
٦٢- [زيادة الشَّهوة تُزْرِي بالمُروءة] ٩١
٦٣- [زهدُ المرءِ فيما يَفْنى على قَدْر رَغْبتِهِ فيما يَبْقى] ٩٣

حرف السين ٩٧
٦٤- [سببُ فسادِ العَقْل: الهوى] ٩٨
٦٥- [سَبَبُ الشَّقاءِ حُبُّ الدُّنيا] ٩٩
٦٦- [سببُ الفِتنة الحِقد] ١٠٠
٦٧- [سببُ الفُرْقة الاختلاف] ١٠٢
٦٨- [سببُ السَّلامة الصَّمْت] ١٠٣
٦٩- [شرُّ إخوانِك المُواصِل عند الرَّخاء، والمُنْقَطِعُ عند البَلاء] ١٠٤
٧٠- [شَرُّ الخلائقِ المُتَكَبِرُون] ١٠٦
٧١- [شرُّ الشِّيَم الكَذِبُ] ١٠٧
٧٢- [شَرُّ النَّوال؛ ما تقدَّمه المَطْل، وأعقبه المَنّ] ١١٠
٧٣- [شَرُّ النَّاس مَنْ لا يُرجى خيرُه، ولا يُؤمَن شرُّه] ١١٢
٧٤- [شَرُّ إخوانك مَنْ أغرَّك بالعاجِلة عن الآجلة] ١١٤
٧٥- [شرُّ الأصحاب سريعُ الانقلاب] ١١٥
٧٦- [شَرُّ الأمور التَّسَخط بالمقدور] ١١٧
حرف الصاد ١١٩
٧٧- [صلاحُ السَّرائر مِنْ صِحَّةِ البصائر، وحُسنِ العمل بالبواطن لا بالظَّواهر] ١٢٠
٧٨- [صُنْ عِرضَك تُكفَ أذاك] ١٢١
٧٩- [صِلْ مَنْ وصلك، ولا تَفْصِل من فَصَلك] ١٢٣
حرف الضاد ١٢٦
٨٠- [ضَلالُ الدَّليل هلاكُ المُستَدِلّ] ١٢٧
٨١- [ضَلَّ منِ اهتدى بِغيرِ هُدَى الله عزَّ وجلَّ] ١٢٨
٨٢- [ضاع مَنْ كان قصدُه غيرَ الله] ١٣٠
٨٣- [ضادِدِ الجَزَعَ بالصَّبْر، وضادِدِ التَّكَبُّرَ بالتَّواضُع، وضادِدِ الهوى بالعقل] ١٣٢
حرف الطاء ١٣٤
٨٤- [طُوبى لمن راقبَ قلبَه، وأَقلعَ عن ذَنْبِه] ١٣٥
٨٥- [طُوبى لمن غلبَ نفسه ولم تَغْلبْه] ١٣٦

٨٦- [طُوبى لمن مَلَك هواه ولم يَمْلِكْه] ١٣٧
٨٧- [طُوبى لمن كابدَ هواه، وكَذَّب مُناه] ١٣٨
حرف الظاء ١٤١
٨٨- [ظنُّ المرءِ مِيزانُ عقلِه، وفعلُه أصدقُ شا هدٍ على أهلهِ] ١٤٢
٨٩- [ظنُّ العاقل خيرٌ من يقينِ الجاهل] ١٤٤
٩٠- [ظالمُ الحقِّ مَنْ نَصَر الباطل] ١٤٥
٩١- [ظَفَرُ الكريمِ يُنجي، وظَفَرُ اللئيمِ يُردي] ١٤٧
٩٢- [ظُلمُ المرءِ في الدنيا عُنوان شقاءِ الآخرة] ١٤٨
٩٣- [ظَلَمَ المعروفَ مَن و ضعَه في غير أهله] ١٥١
٩٤- [ظَلَمَ الحِكمةَ مَن وضعها في غير أهلها] ١٥٢
٩٥- [ظِلُّ الكِرام رعاني، وظِلُّ ا لِّلئَام أرادني] ١٥٣
٩٦- [ظنُّ أولي النُّهى والألباب؛ أقربُ شيء إلى الصواب] ١٥٥
حرف العين ١٥٧
٩٧- [عليكَ بالآخرةِ تأتيكَ الدُّنيا جامعةً صاغرة] ١٥٨
٩٨- [عليكَ بالحِكْمة فإنها الخَلَّة الفاخرة] ١٥٩
٩٩- [عليك بالسَّكينة، فإنها أحسن وأفضل زينة] ١٦١
١٠٠- [عليك بالمُوَاصلة والمُوافقة، وإياك والمُقاطعة والمُفارقة] ١٦٣
١٠١- [على قَدْر شرَف النَّفْس تكون المُروءة، وعلى قدْر الدِّين يكون اليقين] ١٦٤
١٠٢- عند حضور اللَّذات والشَّهوات يتورع الأتقياء] ١٦٦
١٠٣- [عجبتُ لمن يَظْلِمُ نفسَه كيف يُنْصِفُ غيرَه] ١٦٩
١٠٤- [عجبت لمن يَجْهَلُ نفسه كيف يَعْرِفُ ربَّه ؟!] ١٧٠
حرف الغين ١٧٤
١٠٥- [غايةُ المعرفة أن يعرفَ المرءُ نفسَه] ١٧٥
١٠٦- [غايةُ الإنصاف أن يُنْصِفَ الإنسانُ من نفسه] ١٧٥
١٠٧- [غايةُ الإيمان الموالاةُ لله، والمعاداة في الله] ١٧٧
١٠٨- [غَناء العاقل بقلبه، وغَناء الجاهل بماله] ١٧٨

١٠٩ - [غضُّ الطَّرْف من المُروءة] ١٨٠
١١٠ - [غيِّروا العادات تسهُلْ عليكم الطاعات] ١٨١
١١١ - [غيرُ مُنْتَفِعٍ بالموعظةِ قلبٌ مُعَلَّقٌ بالشَّهوات] ١٨٣
١١٢ - [غَلَبَةُ الهَزْلِ تُبطلُ عَزيمة الجِدّ] ١٨٤
حرف الفاء ١٨٧
١١٣ - [في تصاريفِ الدُّنيا اعتبار] ١٨٨
١١٤ - [في السُّكون إلى الغَفْلة اغترار] ١٩٠
١١٥ - [في كل نظرة عبرة] ١٩١
١١٦ - [في حُسْن المُصَاحَبة تَرْغَبُ الرِّفاق] ١٩٢
١١٧ - [في خلافِ النَّفْسِ رُشْدُها، وفي طاعَتِها غَيُّها] ١٩٤
١١٨ - [فاعلُ الخيرِ خيرٌ منه، وفاعلُ الشَّرِّ شرٌّ منه] ١٩٥
١١٩ - [فازَ مَنْ مَلَكَ هَواه، ومَلَكَ دواعيَ نفسِه] ١٩٧
١٢٠ - [فازَ مَن كابَدَ هَواه، وكذّب مُناه] ١٩٨
١٢١ - [فِرّوا إلى اللّه تعالى، ولا تفِرّوا منه فإنّه مُدرككم ولن تُعجزوه] ٢٠٠
١٢٢ - [فوتُ الحاجة أهونُ مِنْ طلبها من غير أهلها] ٢٠٢
١٢٣ - [فازَ من استبصَرَ بنور الهُدَى، وخالف دعاوِي الهَوى] ٢٠٣
حرف القاف ٢٠٥
١٢٤ - [قليلٌ من الأدب؛ خيرٌ من كثير من النَّسَب] ٢٠٦
١٢٥ - [قولُ - لا أعلم - نصفُ العلم] ٢٠٨
١٢٦ - [قلَّ مَنْ صَبَر إلَّا ظَفِر] ٢١٠
١٢٧ - [قِلّةُ الأكل تَمنعُ مِن إعلالِ الجَسد] ٢١١
١٢٨ - [قِلّةُ الخِلْطَةِ تصونُ الدِّين، وتُريحُ مِن مُقارنةِ الأشرار] ٢١٢
١٢٩ - [قلوبُ الرِّجالِ وَحْشِيةٌ، مَنْ أَلِفها أقبلتْ عليه] ٢١٤
١٣٠ - [قُدْرتُك على نفسِكَ مِن أعظمِ القُدرة، وإمارتُك عليها خيرُ الإمارة] ٢١٦
١٣١ - [قاربُوا النّاس بأخلاقهم؛ تأمنوا غوائِلهم] ٢١٨
١٣٢ - [قدِّموا بعضاً يكونُ لكم، ولا تبخلوا كيلا يكونَ عليكم] ٢١٩

١٣٣ - [قَبولُ عُذْرِ المُذْنبِ مِن مَواجبِ الكَرَم ومَحاسنِ الشِّيَم] ٢٢١
حرف الكاف ٢٢٥
١٣٤ - [كل عا رفٍ خائف] ٢٢٦
١٣٥ - [كلُّ قانعٍ غَنِيّ] ٢٢٦
١٣٦ - [كلُّ عاقلٍ مَغْبُونٌ] ٢٢٩
١٣٧ - [كلُّ طامعٍ أسيرٌ] ٢٣٠
١٣٨ - [كلُّ حَريصٍ فقيرٌ] ٢٣٠
١٣٩ - [كلُّ فانٍ يسيرٌ] ٢٣١
١٤٠ - [كلُّ راضٍ مستريحٌ] ٢٣٣
١٤١ - [كلُّ جمعٍ إلى شتات] ٢٣٧
١٤٢ - [كلُّ داءٍ يُتداوَى منه إلا سوءَ الخُلُق] ٢٣٨
١٤٣ - [كلُّ شيءٍ يَميل إلا طرا ئفَ الحِكمة] ٢٤١
١٤٤ - [كلُّ شيءٍ يُستطاع إلا تغييرَ الطِّباع] ٢٤٢
١٤٥ - [كم مِنْ غَنيٍّ يُسْتغنى عنه، وكم مِن فقيرٍ يُفتقر إليه] ٢٤٣
١٤٦ - [كمْ مِن أَكلةٍ مَنعتْ أَكَلات] ٢٤٥
١٤٧ - [كمْ من طالبٍ خائب، وكم من مرزوقٍ غيرِ طالب] ٢٤٦
١٤٨ - [كم مِن مغرورٍ بالسَّترِ عليه] ٢٤٧
١٤٩ - [كمْ مِنْ مُستدَرجٍ بالإحسان إليه] ٢٤٩
١٥٠ - [كم مِنْ مبتلىً بالنَّعماء، ومانٍّ عليه بالبَلاء] ٢٥١
١٥١ - [كم مِنْ غنيٍّ فقيرٌ، وكم مِنْ فقيرٍ غنيٌّ] ٢٥٣
١٥٢ - [كفى بالغَفْلةِ ضَلالاً] ٢٥٥
١٥٣ - [كفى بالشَّيبِ نذيراً] ٢٥٦
١٥٤ - [كفى بالتَّكَبُّر تَلَفـًا] ٢٥٨
١٥٥ - [كفى بالاغْتِرار جَهْلاً] ٢٥٩
١٥٦ - [كفى بالمرءِ عَثْرةً أن يُبصِرَ من عُيوبِ النّاس ما يخفى عليه مِن عيوبِ نفسِه] ٢٦٠
١٥٧ - [كفى بالمَرءِ جهلاً أن يُنكِرَ على النّاس ما يأتي بمثلِه] ٢٦٢

١٥٨ - [كفى توبيخًا على الكذب علمُك بأنّك كاذب] ٢٦٥
١٥٩ - [كثرةُ الأمانيِّ مِنْ فسادِ العَقل] ٢٦٨
١٦٠ - [كثرةُ الغضب تُزري بصاحبها وتُبدي معايبَه] ٢٦٩
١٦١ - [كثرةُ الأكل من الشّرَه] ٢٧١
١٦٢ - [كثرةُ الدُّنيا قِلّة، وعِزّها ذِلّة] ٢٧٢
١٦٣ - [كُنْ بالوَحدةِ أنيسًا يَفرَّ منكَ قُرناءُ السُّوء] ٢٧٥
١٦٤ - [كُنْ من الكريمِ على حَذَرٍ إذا أهنتَه، ومن اللئيمِ إذا أكرمتَه، ومن الحليمِ إذا أحرجتَه] ٢٧٧
١٦٥ - [كُلّما ارتفعتْ رتبةُ اللئيمِ نقصَ النّاسُ عنده، والكريمُ ضدّ ذلك] ٢٧٩
١٦٦ - [كُلّما قَوِيتِ الحِكْمةُ ضَعفُتِ الشَّهوة] ٢٨٠
حرف اللام ٢٨٢
١٦٧ - [للأحمقِ في كلِّ قولٍ يمين] ٢٨٣
١٦٨ - [للإنسان فضيلتان: النُّطْق والعقل، فبالعقل يستفيد، وبالنُّطْق يُفِيد] ٢٨٤
١٦٩ - [لِيَنْهَكَ من - ذكر - معايبِ النّاسِ ما تعرفُهُ مِن معايبِ نَفسِك] ٢٨٦
١٧٠ - [لن يَهْلِك العبدُ حتى يُؤثِر شهوتَه على دِينه] ٢٨٧
١٧١ - [ليس التَّملُّق مِن خُلُق الأتقياء] ٢٨٩
١٧٢ - [ليسَ لِمُتَكَبِّرٍ صَدِيقٌ] ٢٩١
١٧٣ - [ليسَ معَ الاختلافِ ائتلاف] ٢٩٢
١٧٤ - [ليسَ مع الشّهوةِ عَفاف] ٢٩٤
١٧٥ - [لو عقَل أهلُ الدُّنيا لخَرِبتْ] ٢٩٧
١٧٦ - [لو كُنّا نأتي لِمَا يأتون ما قامَ للدّين عَمود، ولا اخضَرَّ للإيمانِ عُود] ٢٩٩
١٧٧ - [لسانُ المُرائي جميل، وفي قلبهِ داءٌ دخيل] ٣٠٠
١٧٨ - [لسانُ الحال أصدقُ مِن لسانِ المقال] ٣٠٢
حرف الميم ٣٠٤
١٧٩ - [مَنْ جهِلَ قلَّ اعتذارُه] ٣٠٥
١٨٠ - [مَنْ حَذّرك كَمَنْ بشّرك] ٣٠٨

١٨١- [ما تواضَعَ إلا رفيعٌ، ولا تكبّر إلا وضيع] ٣١٠
١٨٢- [ما أحسنَ العفوَ معَ الاقتدار، وما أقبحَ العُقوبةَ مع الاعتذار] ٣١٢
١٨٣- [مَن أكرمَ مُحدِّثه حسُن مشهدُه] ٣١٤
١٨٤- [من خبُث عُنصرُه ساءَ منظرُه] ٣١٥
١٨٥- [مَنِ احتاج إلى الدّنيا صحِب الأدنياء، ومَنِ احتاج إلى الآخرة صحِب الأتقياء] ٣١٦
١٨٦- [مَن اعترفَ بالجَريرة؛ فقد استُحِقَّتْ عليه العُقوبة] ٣٢٠
١٨٧- [مَنْ لم تُؤدّبْهُ الكرامةُ أدّبتْهُ المَلامة] ٣٢١
١٨٨- [مَنْ لمْ يُنصتْ لحديثِك؛ فارفعْ عنه مَؤونة الاستماعِ منك] ٣٢٢
حرف النون ٣٢٥
١٨٩- [نِعَمُ اللّه تعالى أكثرُ مِنْ أن يُشكَرَ عليها إلا ما أعانَ اللّه عليه، وذنوبُ بني آدم أكثرُ مِن أنْ تُغفرَ إلا ما عفا اللّه تعالى عنه] ٣٢٦
١٩٠- [نِعمَ الزَّينُ حُسْنُ الخُلُق] ٣٢٨
١٩١- [نِعمَ الملبوسُ العافية] ٣٣٠
١٩٢- [نِعمَ العبدُ مَنْ خالفَ هواه، وأقبلَ على طاعةِ مولاه] ٣٣١
حرف الهاء ٣٣٣
١٩٣- [هُدَى اللّه نورٌ في القلبِ، يُفَرّقُ به العاقلُ بين الحَقِّ والباطل] ٣٣٤
١٩٤- [هَريقوا دُموعَكم مِن خَشية اللّه تنجُوا من عذاب النّار] ٣٣٥
حرف الواو ٣٣٨
١٩٥- [ويلٌ لِمَن نَسِيَ آخرتَه بدُنياه] ٣٣٩
١٩٦- [ويْحَ مَنْ خالفَ مولاهُ واتَّبع هَواه] ٣٤١
١٩٧- [ويلٌ لكلِّ ظالمٍ بَغِيٍّ، وفاجرٍ غَوِيّ] ٣٤٣
١٩٨- [وارُوا عَوْراتِكم بالإحسان] ٣٤٥
حرف لام ألف ٣٤٧
١٩٩- [لا تأمنْ منْ نَمّ لك أن ينِمَّ عليك] ٣٤٨
٢٠٠- [لاتأمنْ منَ المَكْر، ولا تنسَ الفضلَ] ٣٤٩

حرف الياء ٣٥٢
٢٠١- [يُستَدلُّ على عَقْلِ المَرْءِ بحُسْنِ مَقَالِه، وعلى طاهرِ أصلِهِ بجَميلِ فِعَالِه] ٣٥٣
٢٠٢- [يَسيرُ الرِّياءِ شِرْكٌ، ويَسيرُ الظنِّ شكٌّ] ٣٥٤
٢٠٣- [يَسيرُ الهوى يُفْسدُ العقل] ٣٥٦
٢٠٤- [يسيرُ الحقِّ يُدمِّرُ كثيرَ الباطل] ٣٥٨
٢٠٥- [يدُ اللّه تعالى أبداً عالية] ٣٦٠
٢٠٦- [يومُ العدلِ على الظّالم أشدُّ من يومِ الظّلم على المظلوم] ٣٦١
فهرس المحتويات ٣٦٤